أفلاطون

آخر أيام سقراط

بحوارات

نقله إلى العربية
أحمد الشيباني

دار الكاتب العربي

آخر أيام سقراط

سقراط
حياته وفلسفته

أ – في هذا الكتاب

لقد أجمع الباحثون والنقاد على ان المحاورات ولا سيما فيدو وكريتو ويوثيغرو ومن ثم الدفاع الذي ألقاه سقراط أمام المحكمة التي قضت عليه بالإعدام هي لب فلسفة سقراط وجوهرها . فسقراط أو بالأحرى أفلاطون يقدم إلينا في هذا الكتاب نظريات معلمه في الدين والدولة والقانون وعقائده في الأخرويات من دينونة وخلود وغيرهما ، ويرسي ، وان كان بصورة يكتنفها الكثير من الغموض والابهام ، من قواعد التوحيد في الدين ، ومبادىء تلك الاخلاق الرفيعة التي وجدت اكتمالها في مذهب الفيلسوف الالماني الشهير عمانوئيل كنت ، ولا سيما في كتابه الفذ والمعروف باسم « نقد العقل العملي . »

ومع ان الفضل كل الفضل في وصول فلسفة سقراط إلينا، لا بل وفي

خلوده كذلك ، يعود حصراً الى أفلاطون ، ذلك لأن سقراط لم يخلف لنا أي أثر خطه يراعه ، ومع ان معظم النقاد يجزمون بأن ما جاء في المحاورات انما يعبر عن فلسفة أفلاطون ونظرياته بالذات، ومع ان بعضاً من النقاد يقولون بأن أفلاطون قد أنطق سقراط وجعله يبدي وينادي بآراء ونظريات لم ترد على لسانه أصلاً ، غير انهم يقرون ويعترفون بأن أفلاطون قد قام بتدوين معظم ما ورد على لسان سقراط في هذا الكتاب بأمانة وإخلاص، وان كان قد عمل فيه توسيعاً وتعليقاً وتنقيحاً وتذييلاً. كما ويجمع النقاد على أن أفلاطون قد دوّن محاورة يوثيغرو بعد أن كان قد دوّن دفاع سقراط الذي ألقاه أمام المحكمة وسط محاورة كريتو ، لكن التسلسل الروائي أو بالأحرى المسرحي يحتم علينا أن نبدأ بمحاورة يوثيغرو ، وذلك لأن هذه المحاورة هي المدخل التمهيدي لقصة نهاية سقراط الفاجعة .

تعمد سقراط في محاورة يوثيغرو تسفيه المعتقدات الدينية التي كانت اثينا تدين بها ، وأبراز التناقضات الشديدة في مبادىء الإيمان وقواعده الأساسية ، وإظهار فساد الأسس والطقوس التي يستند إليها مفهوم التقى والورع . فيوثيغرو هذا فقيه ضليع في الدين وعقائده ، وقد جاء اثينا ليشكو أباه ويدعي عليه بتهمة قتل ، أو بالأحرى التسبب في قتل أحد العمال العاملين لدى والده ، لأن هذا العامل قد أردى أحدهم قتيلاً بطعنة من خنجر . وقد رأى يوثيغروا ان واجبه الديني يحتم عليه أن يتقدم بشكوى ضد والده ، ويطالب بمحاكمته على ما اقترفته يداه من جريمة أو

بالأحرى من إثم. ويستطرد يوثيغرو قائلا بأنه على الرغم من أن شكواه هذه قد أثارت عليه جميع أقاربه، وجعلته هدفاً للوم أصدقائه ومعارفه، غير أن ورعه وتقواه يحتمان عليه ـ ارضاءً لضميره ـ أن يضرب عرض الحائط بملامة الناس اياه ، والاذعان للقوانين الإلهية التي تحدد ما هو ورع وما يكون زندقة وعقوقاً وإلحاداً . وهنا ينطلق سقراط فيستدرجه الى محاورة تناولت تقريباً جميع طقوس الدين الرسمي ومعتقداته ، وهدمت جميع الأسس التي قامت عليها هاتيك الطقوس وتلك المعتقدات. فسقراط ينطلق به في هذه المحاورة من نقطة معينة ثم يدور به ويستدير ، وبعد أن يصول معه ويجول في ميدان الإيمان الديني ، ويتوخى معتقداً أثر معتقد ، يعود به ثانية الى النقطة التي كانا قد انطلقا منها حين بدء المحاورة ، وبذلك يعرض عليه بصورة جلية وواضحة ، بطلان الأسس التي يرتكز عليها دين شعب اثينا وطقوسه .

ومن ثم ينتقل هذا الكتاب ليقدم إلينا الدفاع الذي ألقى به سقراط أمام المحكمة التي قضت بإعدامه . ففي عام ٣٩٩ ق. م. قام ثلاثة من النافذين من أهل اثينا ، وهم ميليتوس وانيتوس وليكون ، ووجهوا الى سقراط تهمتين هما :

١ ــ الهرطقة .

٢ ــ افساد اذهان الشبيبة .

كانت الدائرة الملتفة حول سقراط تضم عدداً من أبرز أعضاء الحزب

الارستقراطي الذي حكم اثينا في عام ٤٠٤ ق. م. وذلك إثر ثورة هذا الحزب على الحزب الديمقراطي واغتصابه مقاليد السلطان منه . وقد شكل الحزب الارستقراطي عقب توليه مقاليد الأمور هيئة تتألف من ثلاثين شخصاً لحكم البلاد ، وقد عرف التاريخ هؤلاء فيما بعد باسم الطغاة الثلاثين . ولقد كان السيبياديس أبرز هؤلاء الارستقراطيين ، وكان صديقاً حميماً لسقراط ، وكان الشعب الأثيني ، حين محاكمة سقراط لا يحتفظ من ذكرى السيبياديس إلا انه خان بلاده واشاع في رحابها الخراب والدمار . كما وان نقد سقراط العلني للرأي العام واتهامه اياه بالجهالة والغوغائية جعلاه هدف ظنون الحزب الديمقراطي وشكوكه ، وأثار عليه حقد عدد كبير من المحلفين الذين نظروا في الدعوى المقامة عليه. ولقد بادر انيتوس ، وهو أوسع أعضاء الحزب الديمقراطي نفوذاً، هيئة المحكمة والمحلفين قائلا :

« ليس أمامنا الا أمران هما ألا نقدم أصلا سقراط للمحاكمة ، اما وقد قدمناه فمن المتوجب ان تقضوا عليه بالإعدام ، وان من الأفضل ان يموت » .

والحق ان محاكمة سقراط هذه لا تختلف في العديد من وجوهها عن المحاكمات السياسية التي نشهدها وشهدناها في كثير من الدول والأنظمة التي تجري في أعقاب الثورات الأهلية ، والانقلابات الاجتماعية ، بحيث يصدر الممسكون بأزمة تلك الأنظمة احكامهم على خصومهم قبل المحاكمة

بـل بدونها ، وحيث تمسي المحكمة والمحاكمة اجراءً شكلياً تستوجبه التقاليد اكثر مما تستوجبه ضرورات العدالة ومستلزمات الحق والحقيقة. فالمرء هنا،وحين قراءتهدفاع سقراط عن نفسه والتمعنولو قليلافيدفوعه يدرك بالبداهة بطلان اتهام سقراط بافساد اذهان الشبيبة وفساد الأسس المستندة اليها تلك التهمة ، ولكن الحزب الديمقراطي الحاكم كان يعلم حق العلم أن سقراط كان ولا يزال القائد العقلاني والموجـه الروحي للحزب الارستقراطي،وكان يدرك انفيبقاء سقراط علىقيد الحياة خطراً داهماً على كيان الدولة ونظامها الاساسي . لذا ، ومع ان سقراط قد فنَّـد أبرع تفنيد التهمتين الموجهتين اليه ، وفضح تغرض خصومه ، وافتراءهم عليه بل جهالتهم ، غير ان اكثرية المحلفين وجدته مذنباً فيما وجه اليه من اتهام .

فبعد أن ألقى النـائب العام مطالعته ورد عليه سقراط ، أصدر المحلفون البالغ عددهم خمسماية محلف قرارهم بادانته . وحـين إصدار مثل هذا القرار ، كان من المتوجب عـلى المدعي ان يقترح العقوبـة التي يرى انزالها بالمتهم، كما كان يحق للمدعىعليه أن يقترح هو ايضاً بدوره العقوبة التي يرى انزالهـا بـه ، وكان المحلفون يقترعون عـلى كلا الاقتراحين ، فاقترح خصوم سقراط انزال عقوبـة الإعـدام به ، أمـا سقراط فطالب بأن تقوم الدولة بالتكفل بتدبير أمور عيشه كعقوبة له ، وذلـك كي يتابـع رسالته في هدايـة الناس الى الخير والصلاح . لكن اكثرية المحلفين أخـذت برأي الخصوم وأهملت اقـتراح سقراط ، ولم تأخـذ حتى برأيه

عندما قبل بأن تفرض عليه غرامة مالية بلغت ما يعادل المئة والخمسين جنيهاً استرلينياً ، وتعهد أفلاطون وكريتو وغيرهما من اصدقاء سقراط وتلاميذه بسدادها اذا عجز هو عن ذلك ، والحق ان سقراط كان عاجزاً عن تدبير مثل ذلك المبلغ نظراً لفقره المدقع ، واملاقه الشديد ، وقد اعلم اعضاء المحكمة والمحلفين بأنه ليس باستطاعته تدبير اكثر من خمسة جنيهات .

وقد ارتفع سقراط بدفاعه هذا الى اسمى ذرى الشجاعة ، وبدا في قاعة المحكمة كما لو كان هو المدعي لا المدعى عليه ، وترفع باباء وشمم عن اللجوء الى التضرع والتوسل والاسترحام ، وأعلن قائلاً :

« انني عندما أخرج من هذه القاعة، سأخرج وقد قضيتم عليّ بعقوبة الموت ، لكن خصومي سيخرجون منها وقد ادانتهم الحقيقة بالغواية والافساد والشر . »

أما محاورة كريتو فتظهر احترام سقراط وإجلاله الشديدين للقوانين. فكريتو ـ ويبدو انه أقرب الأصدقاء الشخصيين الى سقراط ـ قد جاءه وجرب معه شتى الأساليب والوسائل لإقناعه بالهرب من سجنه، وأكد له أنّ سبل الهرب معدة له ، وأبوابه مشرعة على مصارعها أمامه ، وناشده باسم الصداقة وباسم اولاده ـ اولاد سقراط ـ بأن يستجيب لطلبه ، وأن يلجأ الى تساليا ، حيث سيجد ملاذاً امينا وملجأ لن تطاله يد اثينا ولا قوانينها ، وحيث يتوفر فيها الأصدقاء الكفيلون

بتأمين كل حماية ورعاية له ، غير ان سقراط اجابه على عرضه ذاك قائلا :

« فلنفترض يا كريتو انه ونحن نُعد العدة للفرار من هذا المكان ، ان جاءتنا قوانين اثينا ودستورها وجابهتنا سائلة : ما الذي تنوي فعله يا سقراط ؟ هل بامكانك ان تنكر انك بعملك هذا الذي تفكر وتنوي القيام به ، تتعمد ، بما لديك من قوة ، تدميرنا وتقويض اركان الدولة ايضاً ؟ هل تعتقد بأنه سيكون بمقدور أية مدينة أن تستمر في البقاء ، والا تنقلب رأساً على عقب اذا لم يكن للأحكام القضائية الصادرة عن محاكمها أية قوة للنفاذ ، واذا اقدم الأفراد على الاستهانة بها والحيلولة دون تنفيذها . »

فسقراط يرى لا بل يؤمن بأن أي فرد يقبل بالعيش في بلد ما ، يكون قد قطع بذلك على نفسه عهداً بمراعاة قوانين ذاك البلد والتقيد بجميع احكامه ، اذ يكون قد تعاهد وقوانين البلد على العيش واياها في وفاق وانسجام دائمين ، ولذا يتوجب عليه ضميراً وأخلاقاً ان يفي بعهده ويقوم بتعهداته ، حتى ولو كان وفاؤه بما عاهد وتعهد يؤدي به الى التهلكة . فضلا عن ان سقراط يرى في هذه المحاورة ان حكم الإعدام الذي صدر بحقه ، لم يصدر عن القوانين السارية المفعول في اثينا ، وانما عن أهواء القائمين على السلطة وسدنتها ، وليست قوانين اثينا هي التي ادانته ، وانما ادانه حكام اثينا وأرباب السلطان فيها فقط .

أما محاورة فيدو فهي كما ارى أهم المحاورات التي وردت على لسان سقراط جميعاً. ففي هذه المحاورة تتجلى فلسفة سقراط بأروع مظاهرها، ويتبدى ايمانه الراسخ بالله وبخلود الروح وبعبثية المادية وحياة الجسد. كما يشع ايمانه مشرقاً بأزلية الإنسان وأبديته، ويقينه الوطيد بأن الموت لن يكون البتة الخاتمة الفاجعة للحياة.

هذه لمحة خاطفة ألقي بها على هذا الكتاب العظيم، وقد تعمدت ألا أسهب في العرض والشرح والتعليق، وذلك لأن عقائد سقراط الواردة في هذا السفر هي من البساطة والوضوح بحيث لا تحتاج ابداً الى أي تفسير أو شرح، ولأن عقائده قد غدت في يومنا هذا بدهيات لا بل مسلمات بالنسبة لكل انسان يؤمن بالله كناظم لهذا الكون وخالق لهذه العوالم، ويرى في الأخلاق الدستور القويم لكل حياة في ميداني النظرية والممارسة.

ب – لمحة عن حياة سقراط

ولد سقراط في اثينا عام ٤٦٩ ق. م. وكان والده مثالاً وأمه قابلة. وقد انخرط في شبابه بصفوف الجيش، ولفت الأنظار اليه بما ابداه من بسالة واقدام وشجاعة. وعندما بلغ الخمسين تزوج من كزانتيبي التي خلدتها سلاطتها كزوجة، وشراستها كامرأة، ونزقها كربة بيت وأم. فسقراط هو صاحب ذاك القول المأثور:

« تزوج يا بني فإن وفقت في زواجك عشت سعيداً، وان لم توفق

غدوت فيلسوفاً » .

يصف ويل ديورانت سقراط في كتابه قصة [1] الفلسفة قائلا :

« اذا جاز لنا ان نحكم ، استناداً الى التمثال النصفي الذي وصل الينا لسقراط من النحت القديم ، نقول بأنه كان بعيداً عن الجمال البعد الذي بمقدور حتى الفيلسوف ان يكون منه . فرأسه أصلع ، ووجهه ضخم مستدير ، وعيناه جاحظتان غائرتان ، وانفه افطس زهير . لقد كان رأسه رأس عتال اكثر من كونه رأس اوسع الفلاسفة شهرة . ولكننا اذا نظرنا الى الرأس ثانية ، فاننا نرى من خلال الحجر الغشيم ، شيئاً من ذلك اللطف الإنساني وتلك البساطة الوديعة ، اللذين جعلا من هذا المفكر الأنيس الودود معلماً يستقطب حب اجمل شباب اثينا . »

والحق اننا لا نعرف سوى النزر اليسير من حياته ، وانما نعرف على وجه التأكيد بأنه كان من اولئك الذين نذروا انفسهم للتبشير بالحق والخير والجمال ، وللهداية والارشاد ، ولمكافحة الضلال والفساد .

فسقراط كان شديد الإيمان بالخير الاخلاقي ، وكان يعتبر الاخلاق الركيزة الأساسية للحياة ، وكان اول من نادى بمذهب التوحيد، وحارب مذهب تعدد الآلهة ، فضلا عن انه كان المعلم الأول الذي قدم للمسيحية مذهبها الاخلاقي ، فهو اول من نادى بأنه لا ينبغي للإنسان البتة ان يرد

(١) قمنا بترجمة هذا الكتاب وقد صدر عن المكتبة الأهلية في بيروت .

على الشر بالشر ، أو يكافح الجريمة بالجريمة ، والإثم بإثم مثله . وسقراط كان اول من جعل فكرة الواجب المولد لجميع زخوم الحياة ، وطالب الإنسان بأن يتعشق الحقيقة لا املا بتحقيق فائدة او منفعة شخصية ، بل تجرداً لوجه الحقيقة والحق . ولقد كان لاسلوبه الاستجوابي في البحث الأثر البالغ في المنطق والميتافيزياء ، اذ اسفر هذا الاسلوب ، من خلال عبقريتي افلاطون وارسطو ، عن اكتشاف وتحديد تلك المعاني العامة او المفاهيم ، مفاهيم الكيفية والجوهر والصفة والماهية والمادة والصورة ... الخ .

ومع ذلك كان لا يفتأ يردد قوله بانه ليس بالمعلم ، وان كل ما يتمتع به من قوى ذهنية انما هو مهارة عقلية شبيهة بفن والدته كقابلة ، وذلك من حيث ما يقدمه من عون للآخرين على توليد افكارهم . كما بلغ منه التواضع مبلغاً جعله يفسر قول كاهنة هيكل دلفي القائل بأن سقراط هو اعمق الناس حكمة على وجه البسيطة ، اقول جعله يفسر هذا القول، بأن ما يعنيه ابولو هو كون حكمته تبتدىء باعترافه بجهالته ، وبكونه يعرف انه لا يعرف شيئاً ، وان عليه ان يقنع الآخرين بجهلهم هذا . غير ان تلميذه افلاطون كان لا ينفك يردد :

« اشكر الله على انني ولدت يونانياً ولم اولد بربرياً ، وحراً لا عبداً، وذكراً لا أنثى ، ولكن اشكره قبل كل شيء على أنني ولدت في عصر سقراط . »

وقد دفع به ايمانه الى استعداء جميع فلاسفة اثينا وشعرائها وساستها وحتى العمال المهرة عليه ، اذ كان يقصد كل انسان بارز ومرموق في المجتمع وفي أي ميدان من ميادين الثقافة والعلم ليناقشه ، وكانت مناقشاته هذه في جميع الحالات والأحوال تسفر عن فضح جهالة من يقصده واستثارة حقده عليه . ولا شك في ان هذا الأمر كان من أهم العوامل التي قررت ما آل اليه سقراط من مصير فاجع ، ذلك لأنه قد استعدى على شخصه الجهل والغرور والكبرياء البشرية ، وهذه بطاشة حقود لا تتسامح ابداً مع من يتحداها ويسفهها جهاراً نهاراً .

لكن العامل الأساسي في دفع سقراط الى نهايته الحزينة يتمثل في كفره بمعصومية الديمقراطية الغوغائية او القطيعية عن الخطأ ، وفي ايمانه الراسخ بأن افضل الانظمة السياسية تقوم على ارستقراطية العقل والفضيلة والاخلاق ، ولذلك كان اليغاركي[1] الهوى في سياسة اثينا ، ويبدو انه قد لعب دوراً بارزاً خلال الفترة التي تولى فيها الحزب الاليغاركي مقاليد الامور فيها. لذلك كله كان عليه ان يدفع الثمن للحزب الديمقراطي المنتصر . وقد دفعه دون وجل او تردد ، ودخل التاريخ كأول شهيد لحرية الفكر البشري .

أحمد الشيباني

(١) لا اريد للقارىء انيفهم هنا كلمة الاليغاركية بمعناها الحرفي، بل المجازي، فسقراط كان من اشد الناس فقراً واملاقاً .

يوثيفرو

(يصادف سقراط يوثيفرو خارج قاعة المحكمة التي سيحاكم فيها، ويوثيفرو هذا عرّاف وضليع في أمور الدين . وعندما يسأله سقراط عما جاء به الى اثينا يجيبه قائلا بأنه جاء ليتهم أباه باقتراف جريمة قتل ، فيذهل سقراط لقوله هذا، ويسأله عما إذا كان اتهامه لأبيه يتفق وواجبه الديني ، وهنا يدور بينهما الحوار التالي) :

يوثيفرو : أي تبدل ثوري طرأ عليك يا سقراط ، إذ أراك تخليت عن غزواتك المعتادة التي عرفتها رحـاب الليسيوم ، فها أنت تمضي وقتك تذرع رواق الملك آرخون جيئة وذهابا ، وأنا لا أعتقد بأن لك فعلاً قضية سينظر فيها الملك آرخون كما هي حالي ؟!

سقراط : كلا يا يوثيفرو ، فقضيتي ليست بقضية خاصة ، بل هي قضية عامة .

ي : أحقاً ما تقول ؟ أعتقد بأن أحدهم قد ادعى عليك ، وذلك لأنني لا أرغب في الانتقاص من قدرك ، إذ أقول بأنك أنت المدعي .

س : كلا لست بالمدعي .

ي : إذن قد ادعى عليك أحدهم .

س : صدقت ، فهذا هو واقع الحال .

ي : من يكون ذاك المدعي ؟

س : أنا لا أعرفه حق شديد المعرفة ، فهو – كما يبدو – شاب خامل الذكر ، ولكن أعتقد بأنه يدعى ميليتوس ، وهو من سكان حي بيثيس ، فهل بمستطاعك أن تتذكر ميليتوس البيثيسي هذا ، فهو ذو شعر طويل ولحية مدببة وأنف أقنى ؟

ي : كلا إنني لا أذكره . ولكن هلا أخبرتني بنوع الدعوى التي أقامها عليك ؟

س : بنوعها ؟! انه كما اراه ليس بالتافه او اليسير ، كما ان ادعاءه هذا ليس بانجاز سهل ، وخاصة بالنسبة لشاب له من العمر ما لميليتوس منه . فهذا الشاب يزعم أنه يعرف كيف تُفسد اخلاق الشبيبة ، ويدعى أنه يعرف المسؤولين عن افسادها . ولذا تراني اعتقد بأنه ألمعي ، إذ اكتشف جهالتي ، وانطلق يشكوني الى الدولة ويتهمني بافساد اخلاق معاصريه ، شأنه في ذلك شأن صبي صغير يشكو لأمه . ولكن يبدو لي ان ميليتوس هذا هو السياسي الوحيد من بين ساستنا ، الذي بدأ حياته بداية صحيحة وانطلق على الجادة ، وذلك لأن النهج الصحيح للسياسة يتمثل في ان يهتم المرء أولاً بكل ما يعود على الشبيبة بأوسع خير ، مثله في ذلك مثل البستاني الصالح الذي يهتم أول ما يهتم بالغرسات الصغيرة الطرية العود ، ومن ثم يلتفت للأخرى . وهذا ما يفعله اليوم ميليتوس ، فهو يركز الآن اهتمامه على القضاء علينا نحن معشر الأوبئة التي تهدد – حسب زعمه – الشبيبة الغضة الإهاب ، ومن ثم سيتوجه للعناية بمن هم اكبر من أولئك سناً ، وهكذا سيمسي مصدراً لخيرات عميمة تغمر الدولة بنعم لا تعد ولا تحصى . وعلى كل حال فهذه ستكون النتيجة الطبيعية لبداية كتلك .

ي : الحق انني شديد الرغبة في أن أكون كذلك يا سقراط ، ولكنني أخشى للغاية أن يحدث العكس . ويبدو لي ان ميليتوس في محاولته إلحاق الأذى بك ، انما يسعى فقط للبدء في تدمير مدينتنا ، وتوجيه طعنة قاتلة الى

قلبها . بالله عليك هلا اعلمتني بما يسنده إليك من أفعال يزعم أنها تفسد الشبيبة ؟

س : إنها مزاعم منافية للعقل يا صديقي الطيب للغاية ، فهو يزعم أول ما يزعم أنني أختلق الآلهة ، وتماماً بسبب انني أختلق آلهة جديدة ، ولا أعترف بالآلهة القديمة ، قد أقام عليّ هذه الدعوى ، وهذا هو ما يزعمه .

ي : لقد اتضح الآن الأمر لي ، فهذه الدعوى قد أُقيمت عليك بسبب قولك بأن صوتاً خارقاً للطبيعة يتحدث إليك بصورة دائمة . وهكذا اتهمك ميليتوس باعتناق عقائد منافية للدين الرسمي المقرر للدولة ، وهو سيحاول في المحكمة تشويه سلوكك ، وذلك لأنه يعلم أنّ من السهل عليه تشويه هذا النوع من الأمور في أعين الجمهور . وانك تعلم يا سقراط بأنه حتى فيما يتعلق بي ، عندما تصدر عني في الجمعية العامة بعض النبوءات عما يكنه المستقبل في طيات غيبه ، وأدلي ببعض الأقوال عن الدين ، فانهم يهزأون بي ويسخرون مني ، وأبدو في نظرهم كما لو فقدت رشدي ، ومع ذلك لم تصدر عني كلمة واحدة لم تثبت الأيام صحتها — ولكن الأمر سيان لديهم — فهم يحسدوننا جميعاً على ما نمتلك من مواهب ومزايا . ومع ذلك ينبغي علينا ألا ندعهم ينكدون حياتنا ، بل علينا ان نحاربهم بجسارة واقدام .

س : ولكن — يا عزيزي يوثيفرو — ان يضحكوا منك فقط ليس بالأمر الذي يقلق أو يزعج . ويبدو لي ، كما تعلم ، ان شعب اثينا يكترث أدنى اكتراث إذا ما اعتقد بأن أحدهم خبير أو ضليع ، شريطة ألا يحاول إبداء مهارته . فهذا الشعب يغضب أعنف الغضب فقط عندما يعتقد بأن أحدهم يسعى ليجعل الآخرين ماهرين بمقدار ما هو ماهر — ولربما كان الحسد ، كما تقول ، أو غيره هو السبب الكامن وراء هذه الحقيقة .

ي : إذن فأنا لست بتواق البتة الى امتحان شعور هذا الشعب إزائي فيما يتعلق بما قلته يا سقراط .

س : لا تقلق لهذا الأمر ، لأن من المرجح أن أبناء هـذا الشعب يشعرون بأنك قلما تختلط بجماهير النـاس ، وأنك لا ترغب أقـل رغبة في نشر حكمتك، لكن الأمر مختلف بالنسبة لي، فأنا – بسبب طبيعتي الاجتماعية – أخشى أن يزعموا أنني أكشف عما يختزنه عقلي لكل إنسان ، وأقوم بهذا الأمر ليس دون تقاضي أي أجر على ذلك وحسب ، بل مبدياً كذلك كامل استعدادي لدفع أجر لكل من يرغب في الإصغاء إليّ . وهكذا كما قلت لتوي – إذا كانوا عازمين فقط على الهزء بي ، كما يضحكون منك ، فعندذاك لن يكون الأمر إلا طريفاً بهيجاً إذ نمضي وقتنا في قاعة المحكمة بين هزل وضحك . ولكن إذا مـا أرادوا أن يحملوا القضية عـلى محمل الجد ، فلن يكون آنذاك من كائن يعرف ما ستكون النتيجة باستثنائكم أنتم معشر الانبياء .

ي – أستطيع القول إن هذه القضية لن تسفر عن أي شيء يا سقراط، وأنا واثق بأنك ستعالج أمرها بنجاح ، كما أتوقع أنا بالذات معالجة دعواي .

س : ما هي دعواك يا يوثيفرو ، هل أنت المدعي أم المدعى عليه ؟

ي : المدعي .

س : ومن يكون المدعى عليه ؟

ي : انه أحد الناس ، الذي بادعائي عليه سأضاعف في شهرتي بكوني مجنوناً .

س : ولم ذلك ؟ وهل خصمك حاضر البديهة حتى ذاك الحد من حضورها ؟

ي : كلا ، انه ليس كذلك إطلاقاً ، فهو رجل طاعن في السن .

س : من يكون ذاك الرجل ؟

ي : إنه والدي .

س : أعلى والدك تدعي أيها الرجل الطيب ؟!

ي : نعم ، هذا واقع الحال .

س : ما التهمة التي تنسبها إليه ؟ ولم تدفع به الى المحكمة ؟

ي : التهمة هي القتل يا سقراط .

س : يا إلهي ! من البدهي انه ليس لمعظم الناس أيـة فكرة عما تكونه عدالة قضية كهذه ، بحيث يخيـل إليّ انه ليس بمستطاع كل شخص ان يسلك مسلكاً كهذا ، ما خلا الشخص البالغ اعمق اعماق الحكمة .

ي : أصبت كبد الحقيقة يا سقراط .

س : حسناً ! من يكون الشخص الذي قتله والدك ؟ أهو احد افراد بيتك ؟ لا شك انه كذلك ، فأنت بداهة لن تدعي على والدك لقتله احد الغرباء .

ي : من المضحك ان تعتقد يا سقراط بانه ليس هناك اي فارق ما إذا كان القتيل احـد افراد بيتي ، او كان غريباً عني ، وان لا تدرك ان النقطة الوحيدة في الأمر هي ما إذا كان القاتل قد قتل بصورة مشروعة او غير مشروعة ، وانه إذا كان قتله مشروعاً فيجب ان ندعه وشأنه ، اما إذا كان العكس فيجب علينا ان ندعي عليه وأعني بذلك إذا كان القاتل شريكاً لك في مصطلاك ومائدتك ، وانك بسبب اختلاطـك بشخص كهذا ، وأنت تعي أمره ولا تطهر نفسك وتطهره بالادعـاء عليه ، ستتساوى وإياه في تحمل وزر جريمته .

لقد كان القتيل عاملاً من عمالي ، وكنا نقوم بأعمال الزراعة في نكسوس حيث كان يعمل في خدمتنا . فتجرع الخمرة وثمل ، ومن ثم تشاجر وأحد خدمنا وطعنه بخنجر ، فأقدم والدي على تقييد يديه وقدميه وألقى به في خندق ، ثم أرسل برجل الى اثينا ليستشير السلطات المختصة فيما يتوجب عمله . ولم يقم والدي البتة اثناء ذلك بابداء أقل اهتمام ممكن بالقاتل ، وانما أهمله كلياً ، معتقداً بانه لا ضير إذا ما مات ، لأنه كان

يعتبره قـاتلاً . والذي حـدث بالفعل ، انه توفي نتيجة للجوع والعراء والسجن ، وذلك قبـل ان يعود الرسول بمـا أشار به الخبير القانوني . أما سبب غضب والدي وأقاربي عليّ فمرده انني قد ادعيت على أبي بجريمة قتل القاتل ، مـع ان والدي ، (كما يزعمون) ، لم يقدم عـلى قتله ، ثم على افتراض انه قتله ، فعلى المرء ألا يكترث بالدفـاع عنه بالنظر لكونه قاتلا . كما ان من الإلحاد ان يقوم الإبن بالادعاء على أبيه متهماً اياه بجريمة قتل . وان اقاربي والحق يا سقراط يدركون أضعف إدراك موقف الشريعة الإلهية من الإيمان والإلحاد .

س : ولكن قل لي يا يوثيفرو هل تعتقد حقاً بانك تفهم أحكام الشريعة الإلهية ، وتعرف ما يجعل أفعال البشر أفعالاً صادرة عن الورع أو الزندقة ، وهـل تدرك ذلك الإدراك الصحيح الذي يجنبك ، في مثل هـذه الأحوال التي تصفها ، كل ريبة أو شك فيما تفعل ؟ ألا تخشى انك بسَوْقك أباك الى المحكمة قد تقترف أنت بالذات فعلا من أفعال الزندقة والإلحاد ؟

ي : كلا يا سقراط ، فأنا لن أكون ذا شأن كبير ، كما ان يوثيفرو لن يكون أفضل من أي فرد عادي من الناس ، لو لم اكن صحيح المعرفة بمثل جميع هذه الامور .

س : إذن ففي هذه الحالة ، ونظراً لأنك تتمتع بمثل هـذه الموهبة المذهلة ، فإن أفضل عمل يمكنني فعله هو – كما أعتقد – أن امسي تلميذاً لك ، علّي أستطيع قبل عرض دعوى ميليتوس ، أن أتحداه بهذا الموضوع بالذات قائلا بأنني كنت حتى في المـاضي شديد الرغبة في الاطلاع عـلى الدين وعقائده ، ونظراً لمـا يزعم ميليتوس بأنني انمـا أصبحت تلميذاً لك لأنني مخطىء خطير الخطأ في تفكيري المستقـل ونظراتي المـارقة في الدين . وهكذا ستسمعني أقول: «هلا تسمح لي يا ميليتوس ، فيوثيفرو فقيه ضليع في مثل هذه المواضيع ، ولذا عليك أن تفترض بأن معتقداتي هي كذلك

صحيحة ، وبالتالي أن تسقط دعواك عني . وإذا كنت لا تسلم بما قلت ، عليك إذن قبل أن تتهمني وتدعي عليّ ، أن تتهم أستاذي بافساد المتقدمين في السن، افسادي أنا بالذات وافساد ابيه – فلقد افسدني بتعاليمه، وأفسد أباه بتحذيره إياه وتقويمه». أما إذا رفض ميليتوس ان يسقط عني دعواه، او أن يدعي عليك بدلاً مني، فمن الافضل لي عندئذ – كما أعتقد – أن اعود فأتحداه ثانية داخل قاعة المحكمة . هل أصبت في قولي هذا يا يوثيفرو ؟

ي : لقد اصبت كل الصواب يا سقراط ، وهكذا فانه إذا ما حاول حقاً الادعاء عليّ ، فسأجد آنذاك – كما اعتقد – نقطة الضعف في ادعائه ، وسندحض دعواه امام المحكمة جملة وتفصيلا .

س : أنا وطيد القناعة بما تقول يا صديقي العزيز ، ولذا تراني شديد الرغبة في ان اصبح تلميذك ، لأنني اعرف ان هذا الشخص ميليتوس ، (وهناك ولا شك أشخاص آخرون ، لكنني اخص منهم ميليتوس بالذات) ، يبدو لي انك لم تلفت حتى انظاره إليك ، في حين ان عينيه الحادتين قد كشفتاني له بكل يسر وسهولة ، وهكذا اقدم على الادعاء عليّ بتهمة الكفر والزندقة . والآن اتوجه اليك طالبا ان تعلمني ، وما دمت تصر على انك تعرف الامور معرفة صحيحة وأكيدة ، فما الذي تعنيه بالورع والزندقة ، وذلك فيما يتعلق بالقتل وغيره من الامور. أليس صحيحاً ان الورع يكون في كل فعل متوافق ذاتياً ، وان الزندقة هي في كل أمر النقيضُ كل النقيض للورع ، لكنها تكون متلائمة مع ذاتها ، وأعني بذلك أنّ كل شيء نعتبره زندقة ، يمتلك خاصة او ميزة واحدة وأكيدة ، من حيث كونه زندقة ؟

ي : ما تقوله يا سقراط هو صحيح كل الصحة .

س : إذن قل لي كيف تُعرّف الورع والزندقة ؟

ي : حسناً جداً ! فأنا أقول ان الورع يتمثل تماماً فيما أفعله الآن : فأنت عندما تدعي على مجرم بتهمة القتل ، او بتهمة سرقة معبد او بأية جريمة أخرى كهذه او تلك ، وسيان الأمر عندما تقوم به ، أكان المجرم أباك أو أمك او أي شخص آخر ، ففعلك هذا يكون صادراً عن ورع وتقى ، أما ألا تدعي على شخص كذاك فإنها لزندقة وإلحاد. وسأقدم أنا لك دليلا على ذلك يا سقراط – ولقد قدمته للآخرين قبل الآن تبريراً لسلوكي – وأرغب من وراء تقديمه في إظهار ما للشريعة من موقف : وأعني بهذا انه يتوجب على المرء ألا يستسلم لأيّ فاعل إثم مهما تكن حاله أو يكن شأنه . والآن فلتتأمل في هـذا الدليل القاطع : ان الناس يعتقدون ، طائعين مختارين ، بان زفس هو أفضل الآلهة جميعاً وأشدهم تقى وصلاحاً ، وهم مـع ذلك يسلمون بأنه كبل أباه بالسلاسل والأغلال لأنه التهم أبناءه لتحديهم الحق ، وان أباه قد قام بدوره فشوه جده بسبب أفعال مشابهة لفعل زفس ذاك ، ولكنهم رغم ذلك يلومونني أشد اللوم لادعائي على والدي عندما اقترف إثماً ، وهم بهذا يناقضون أنفسهم أوضـح مناقضة ، مـن حيث انهم يشترعون قاعدة لسلوك الآلهة ، وأخرى لسلوكي تناقض تلك .

س : هل تعتقد يا يوثيفرو بأن هذا هو سبب ادعائهم عليّ ، وذلك لأنني عندمـا أسمع أي أمريء يروي روايات كهذه عن الآلهة ، أجد من العسير عليّ أحياناً التسليم بها ؟ وبدهي أن موقفي هذا يجعلهم يقولون إن نظراتي مغلوطة . وهكذا إذا كنت ، وانت الخبير في هـذا الضرب من الامور ، تعتقد كذلك بصحة مثل هذه الروايات ، فينبغي آنذاك على امثالي مـن الناس أن يسلموا بصحتها ايضاً . وما الذي يمكن لنا قوله عندمـا نقر نحن بذواتنا بأننا نجهل كل الجهل هـذا الموضوع ؟ ولكنني اناشدك الصداقـة وأسألك باسمها هـل تعتقد فعلا بأن هذه الروايات قد حدثت كما يصف حدوثها الناس ؟

ي : نعم أعتقد بذلك ، وباشياء أخرى أشد غرابة من تلك ، اشياء لا يعرف بها العاديون من الناس .

س : إذن فأنت تعتقد كذلك بان هناك فعلاً حرباً أهلية تدور رحاها بين الآلهة ، وتعتقد بان الآلهة تخوض ضد بعضها بعضاً المعارك العنيفة ، وتنشب بينها المنازعات الشديدة ، وغير ذلك من هذا القبيل ؟ وأعني بقولي هذا تلك الامور التي يصفها الشعراء ويصورها اساتذة الفن في لوحاتهم الدينية ، ويرسمونها خاصة على الرداء الذي يحملونه الى الاكروبوليس في المهرجان البانأثيني ، هذا الرداء الذي تغطيه صور كتلك ، فهل يحق لنا القول يا يوثيفرو بأن هذه الروايات صحيحة وأكيدة ؟

ي : نعم انها صحيحة كل الصحة ، وليست هي وحدها أكيدة (كما قلت لتوي) ، بل هناك كذلك عدد غفير للغاية من وقائع ديننا وحقائقه التي ستذهلك حين سماعك بها ، وأنا لواثق مما أقول .

س : لن أعجب من ذلك . ولكن عليك أن تحدثني عنها في فرصة أخرى ، حينما يتوفر لنا الفراغ من الوقت ، بيد انني أرغب اليك في الوقت الراهن أن تجيبني بدقة أشد ، عن السؤال الذي طرحته عليك لتوي . وذلك لأنك ، كما ترى يا صديقي ، عندما سألتك عما يكونه الورع ، فلم تكن إجابتك بالشافية الوافية ، فلقد قلت بان ما تفعله الآن — أي ان ادعاءك على أبيك بجريمة قتل — هو فعل صادر عن التقى والورع .

ي : نعم إن ما قلته كان صحيحاً يا سقراط .

س : لا شك في ذلك ، ولكنك ، بالتأكيد ، تسلم بان هناك العديد من الافعال الاخرى ، تكون أفعالاً صادرة عن ورع .

ي : نعم ان الامر كذلك .

س : حسناً ، وأن ما رغبت اليك أشد رغبة هو أن تطلعني عليه ، لم يكن يتمثل

في إطلاعك إياي على فعل من ورع أو فعلين، وانما رغبت اليك في أن تصف لي الشكل أو الصورة التي تجعل الافعال الورعة ورعة ؛ لانك قد قلت – كما اعتقد – بأن الافعال الزنديقة تكون زنديقة ، وكذلك الورعة ورعة ، استناداً الى مزية واحدة ووحيدة . هلا تذكر ذلك ؟

ي : نعم أذكره .

س . إذن فلتشرح لي عما تكونه هذه المزية في ذاتها ، حتى أتمكن – حينما اركز ناظري عليها وحين استعمالها كانموذج من نعت أي فعل – فعلك أو فعل أي أمريء آخر – بالفعل الورع وذلك عندما يكون منطبقاً على ذاك الانموذج ، وبالزنديق في حال عدم انطباقه عليه .

ي : ليكن ما تريد ، إذا كنت يا سقراط تريد الجواب عن سؤالك على الصورة التي ذكرت .

س : نعم ، هذا كل ما أريده .

ي : حسناً جداً ، ان كل ما يكون مقبولاً لدى الآلهة يكون تقياً وورعاً ، وما لا يكون كذلك يكون كفراً وإلحاداً .

س : انه لجواب ممتاز ، ولقد جاء تماماً في الصورة التي أردتها . اما ان هذا صحيح ، فهو ما لا أعرفه بعد ، ولكنك ستوضح لي ولا شك ان ما قررته هو الجواب الصحيح .

ى : طبعاً وتأكيداً .

س : إذن فلنتأمل ملياً فيما نقوله ، اننا نقول بان الفعل أو الشخص الذي ترضى عنه الآلهة يكون فعلاً أو شخصاً ورعاً ، وان الفعل أو الشخص الذي تكرهه الآلهة يكون فعلاً أو شخصاً زنديقاً ، وان الورع ليس الأمر ذاته كالزندقة ، وانما هو نقيضها المباشر . أليس هذا هو الموضوع الذي يدور بحثنا حوله ؟

ي : نعم انه ذاك .

س : إذن ، فتعريفنا هذا يبدو تعريفاً مقبولاً .

ي : اعتقد كذلك يا سقراط .

س : ألم نقل أيضاً ان الشقاق يسود صفوف الآلهة ، وان الخلاف يسيطر على وجهات نظرهم ، وانهم يشعرون بالبغضاء والعداوة إزاء بعضهم بعضاً ؟

ي : نعم لقد قلنا ذلك .

س : وما نوع الخلاف الذي تنشأ عنه العداوة والغضب يا صديقي العزيز ؟ فلننظر اليه على هذا الضوء ! فإذا اختلفت معك على أي من عددين يكون أحدهما أكبر من الثاني ، فهل سيثير هذا الخلاف الغضب أو العداوة بينك وبيني ؟ ألا يتوجب علينا أن نبت في خلاف من هذا القبيل بلجوئنا الى الحساب ؟

ي : طبعاً وتأكيداً .

س : ولنفترض اننا اختلفنا على الحجم النسبي لشكلين ، ألا يتوجب علينا أن نسارع الى القياس لنبت في خلافنا ؟

ي : تماماً كذلك .

س : كما أعتقد بأن خلافنا على ثقل شيئين نبت فيه عن طريق وزن كل منهما، أليس كذلك ؟

ي : طبعاً .

س : إذن ما الذي يكونه موضوع الخلاف الذي نعجز عن الوصول الى البت فيه ، والذي يتسبب في معاداة الواحد منا للآخر ، ويجعلنا نفقد اعصابنا ويقذف بنا في دوامات السخط والغضب ؟ من البدهي انك لا تستطيع

ان تحدد ذاك الموضوع بسهولة او ارتجالاً ، ولكن فلنتأمل ما اذا كانت المواضيع المطلوبة هي مواضيع خطأ أم صواب ، عار أم شرف ، خير أم شر ! أليس صحيحاً انه عندما لا نستطيع ان نتفق على مثل هذه المواضيع ، يكِنُّ الواحد منا للآخر آنذاك العداء ، وألا تنطبق هذه القاعدة عليّ وعليك وعلى بقية الجنس البشري ؟

ي : نعم ، فهذا هو نوع الخلاف على المواضيع التي ذكرتها يا سقراط .

س : وما شأن الآلهة يا يوثيفرو ، اذا كانت تختلف إطلاقاً فيما بينها ، ألا يكون الخلاف بينها ناشئاً عن هذه الاسباب تماماً ؟

ي : حتماً وتأكيداً .

س : إذن ، فان للآلهة – يا عزيزي يوثيفرو – استناداً الى وجهة نظرك تلك ، وجهات نظر مختلفة فيما يكون صواباً او خطأ ، وفيما يكون مشرّفاً او مشيناً ، وفيما يكون خيراً او شراً ، وذلك لأن الخلافات لن تتوزع الآلهة ، لو لم تكن وجهات نظرها مختلفة في هذه المواضيع ، أليس الأمر كذلك ؟

ي : لقد أصبت كبد الحقيقة .

س : إذن فهل كل فئة من فئات الآلهة هذه ، تحب ما تعتبره مشرّفاً وصواباً وخيراً وتكره ما يكون نقيضه ؟

ي : طبعاً .

س : ولكن استناداً الى ما تقوله فان بعض الآلهة يعتبر الاشياء ذاتها كأشياء خيرة ، بينما يعتبرها البعض الآخر منها ، كأشياء شريرة ، وأعني بتلك الاشياء التي يختلفون ويتنازعون وينقسمون حولها ويقتتلون بسببها ، أليس كذلك ؟

ي : نعم انه لكذلك .

س : إذن فان الاشياء ذاتها تكون محبوبة في نظر بعض الآلهة ، مكروهة لدى البعض الآخر منها .

ي : هذا ما يبدو لي يا سقراط .

س : وعليه ، واستناداً الى هـذه المحاكمة العقلية ، تكون الاشياء ذاتها ورعة وزنديقة معاً .

ي : لربما كان الأمر كما تقول .

س : إذن فانك لم تجب عن سؤالي أيها الصديق الألمعي . فانا لم أرغب إليك في ان تطلعني على شيء ما يكون في ذات الوقت ورعاً وزنديقاً ، وكما يبدو ان مـا يكون محبوباً لدى بعض الآلهة ، يكون كذلك مكروهاً لدى البعض الآخر . وهكذا فان ما يتعلق بادعائك عـلى أبيك بغية تقويمه قد يحظى برضاء زفس ، بينما قد يستثير غضب كرونوس واورانوي ، وقد يكون مستحسناً في عيـني هفستوس ومستقبحاً في ناظري هـيرا ، وهكذا دواليك فيما يتعلق بالآلهة الأخرى التي يسود الخلاف فيما بينها .

ي : لكن يخيل الي ، يا سقراط ، انه لا يوجد أي إله يختلف عن الآخر حول هذه القاعدة القائلة ، بأن أي امرىء يقتل آخر دون مبرر يجب ان يقدم الى العدالة .

س : إذن فلتقـل لي يا يوثيفرو — وذلك فـيما يتعلق بالكائنات البشرية — ألم تسمع البتة بأن أي امرىء يدافع عن قاتل اقترف جريمته دون مبرر ، او عن أي مجرم آخر اقترف جريمة أخرى ، إنما يحاول ان يوفر له فرصة الافلات من العقاب ؟

ي : انهم لا يتوقفون ابداً عن الاختصام حول هذه الأمور ، وبخاصة في المحاكم .

فهم يقترفون أي عدد من الجرائم ، ومن ثم يبذلون كل جهد من قول وفعل للافلات من القصاص .

س : وهل يعترف اولئك بالفعل أنهم مذنبون – ومع ذلك وعلى الرغم من اعترافهم هذا – فهل يطالبون بألا يعاقبوا ؟

ي : طبعاً انهم لا يفعلون ذلك .

س : إذن فهم لا يبذلون كل جهد ، لأن هناك أمراً واحداً لا يجرأون على التلفظ به ، وهو انهم لا يتناقشون في انهم يجب ألا يعاقبوا اذا ما كانوا مذنبين ، بل انهم ينكرون ذنوبهم ، أليس كذلك ؟

ي : صدقت فيما تقول :

س : إذن فهم لا يختلفون على وجوب انزال العقاب بالمذنب ، لكنهم يختلفون عمن يكونه الشخص المذنب ، وعما يفعله ومتى يقوم بفعله .

ي : صحيح ما تقوله .

س : إذن أليست هذه هي أيضاً حال الآلهة – افتراضاً بأنهم يختلفون في وجهات نظرهم حول ما هو صحيح وخطأ – وهكذا فان البعض منهم يتهم الآخر باقتراف الاثم ، بينما ينفي هذا الآخر التهمة عنه ، لأنه لا يوجد بالتأكيد ، يا صديقي الألمعي ، أي كائن ، سواء أكان إلهاً ام بشراً ، من يجرؤ على القول بعدم وجوب معاقبة من كان مذنباً .

ي : صدقت فيما تذهب إليه يا سقراط ، وعلى كل حال في معظم ما قلته .

س : ولكنني أعتقد بأن كل فعل يختصم حوله المتخاصمون ، سواء أكان هؤلاء بشراً أم آلهة ، (وذلك اذا افترضنا بأن الآلهة يختصمون فيما بينها) ، فان سبب إختصامهم يعود الى خلافهم على أحد الافعال ، حيث يقول البعض منهم بأنه كان فعلاً عادلاً ، ويدعي الآخر بأنه كان ظالماً او مجحفاً ،

أليس كذلك يا يوثيفرو ؟

ي : تماماً كما تقول يا سقراط .

س : هيا يا عزيزي يوثيفرو وأطلعني على جميع ما تختزنه من معرفة ، وذلك لأغدو أعمق حكمة . بربك قل لي هل اذا توفي أحد العمال الذي اقترف جريمة قتل لأن سيد القتيل قد كبله بالأغلال وألقى به في خندق في العراء ، واذا حدثت وفاته قبل ان يطلع آسره من السلطات على الاجراءات التي يجب ان يتخذها إزاء القاتل ، فأي دليل لديك يثبت ان جميع الآلهة ستعتبر وفاة ذاك القاتل بمثابة القتل جوراً وعدواناً ، وسترى بسبب ما حدث ان الابن محق في الادعاء على أبيه واتهامه بجريمة قتل ؟ هيا ، ولتحاول اعطائي بعضاً من دليل قاطع على ان الآلهة ستعتبر ، ولا ريب ، فعل الإبن هذا فعلاً سليماً ، واذا استطعت ان تبرهن لي على ذلك البرهان المرضي قناعة ، فلن أكف آنئذ طيلة ما تبقى لي من حياة عن التغني بحكمتك وإمتداحها في كل مجلس .

ي : ان ما تطالبني به — والحق يقال — لن يكون على الارجح أمراً هيناً ليناً ، ولكنني بالطبع استطيع ان ادلل على ذلك بصراحة ووضوح تامين .

س : انت تقول بأنه نظراً لاعتبارك إياي اشد غباءً من المحلفين ، فستبرهن لهم بوضوح ان مثل هذه الافعال هي أفعال ظالمة غير مشروعة ، وان الآلهة جميعاً تكره مثل هذه الافعال وتأباها .

ي : هذا تماماً ما أعنيه شريطة ان يستمع المحلفون الى ما أقول .

س : لا شك انهم سيصغون الى اقوالك شريطة ان يعتقدوا بأن دعواك معروضة العرض الحسن. ولكن خاطراً عنّ لي حينما كنت تحدثني ، وانني اتمعن فيه الآن على الشكل التالي :

« لنفرض أن يوثيفرو قد أوضح لي بما لا يقبل الشك ، ان الآلهة قاطبة تعتبر هذا النوع من الاجرام عملاً غير مشروع ، فإلى أي حد تكون قد مددت لي يد العون لمساعدتي على ادراك ما يعنيه الورع والالحاد ؟ وهذا كما يبدو قد يكون مكروها لدى الآلهة . ولكننا لم نجد في واقع الحال حتى الآن الفارق بين ما يكون ورعاً وما لا يكون كذلك ، وان كل ما توصلنا إليه هو ان ما يكون محبوباً في نظر بعض الآلهة يكون ايضاً مكروها لدى البعض الآخر منها . وهكذا فانني اسلم معك بما تكونه طبيعة فعل أبيك ، ولكن فلنفترض ، اذا رغبت في ذلك ، أن جميع الآلهة تعتبر فعل والدك فعلاً غير مشروع ، ولكن فلندخل بعضاً من تعديل على قاعدتنا ، ولنقل بأن جميع ما تكرهه الآلهة يكون مارقاً زنديقاً ، وبأن كل ما تحبه يكون تقياً ورعاً ، (في حين ان ما يحبه البعض منها ويكرهه البعض الآخر يكون لا ورعاً ولا زندقة) ، أعلى هذه الصورة تريد لصيغة تعريفنا ان تكون ، وذلك فيما يتعلق بما يكون ورعاً او زندقة ؟

ي : وهل من اعتراض على هذه الصيغة يا سقراط ؟

س : فيما يتعلق بي ليس لدي أي اعتراض عليها ، ولكن أريد منك ان تتأمل فيما اذا كان ما إفترضته آنفاً من صيغة يسهل عليك أمر تعليمي كما وعدتني بذلك .

ي : حسناً جداً ، انني أقول بأن الورع هو كل ما تحبه الآلهة ، وان نقيضه ، وهو جميع ما تكرهه الآلهة ، هو الزندقة والالحاد .

س : هل ينبغي علينا ان نتأمل ممحصين هذا التعريف لنرى ما اذا كان تعريفاً كافياً مقنعاً ، وهل ينبغي علينا التسليم به ، وان نقبل بفرضياتنا وفرضيات الناس الآخرين معتبرين ان ما يقوله المتحدث هو الحقيقة بعينها ، ولكن ألا ينبغي علينا تمحيص ما يدلي به المتحدث من أقوال !

ي : نعم – ينبغي علينا ذلك ، والأمر سيان – لدي ، فأنا اعتقد بأن هذا التعريف كاف ومقنع الآن .

س : مهلاً يا سيدي العزيز ! فعما قريب سنكون قادرين على الوصول الى حكم أفضل : فلنتأمل في هذه القضية التالية : هل ما يكون ورعاً يكون محبوباً في نظر الآلهة لكونه في ذاته ورعاً ، أم يكون ورعاً نظراً لأنه محبوب لدى الآلهة ؟

ي : لا أفهم ما تعنيه يا سقراط .

س : حسناً ! سأحاول تفسير ما قلته بصورة اوضح . هل نتحدث عن الاشياء بوصفها محمولة وحاملة ، مقودة وقائدة ، منظورة وناظرة ؟ وهل تفهم ان كل صنو من مثل هذين الصنوين من الاصطلاحات يكون مختلفاً عن الصنو الآخر ، وما هو وجه الخلاف بينهما ؟

ي : اعتقد بأنني افهم ذلك .

س : هل هناك كذلك شيء ما يكون معشوقاً وآخر غيره يكون عاشقاً ؟

ي : طبعاً وتأكيداً .

س : إذن فلتقل لي هل يكون المحمول شيئاً محمولاً لأن أحدهم يحمله ، أم أنه يكون كذلك بسبب أمر آخر ؟

ي : كلا انه يكون كذلك بسبب ما قلته اولاً فقط .

س : إذن فان الشيء المقود يكون مقوداً ، لأن هناك أحداً يقوده ، وكذلك حال الشيء المنظور ، أليس كذلك ؟

ي : بالصدق نطقت .

س : إذن فنحن لا نرى الشيء بسبب كونه شيئاً منظوراً ، وانما الأمر على

العكس من ذلك ، فهو شيء منظور لأننا نراه ، كما اننا لا نقود الشيء لأنه شيء مقود ، بل هو شيء مقود لأننا نقوده ، زد على ذلك اننا لا نحمل شيئاً بسبب كونه شيئاً محمولاً ، وإنما هو كذلك لأننا نحمله. هل اوضحت ما أعنيه الوضوح التام يا يوثيفرو ؟ ان ما أعنيه هو هذا : اذا كان يوجد هناك من شيء منتوج او مفعول فيه ، فهو ليس منتوجاً بسبب كونه نتاجاً ، وانما هو نتاج بسبب كونه منتوجاً ، ونحن لا نفعل فيه بسبب كونه موضوعاً للفعل ، وإنما هو موضوع للفعل لأننا نفعل فيه . ألا توافق معي على ان هذا هو واقع الحال ؟

ي : كل الموافقة .

س : وهكذا ترانا نعود الى مثلنا الأسبق ، فالشيء لا يحبه اولئك الذين يحبونه بسبب كونه موضوعاً للحب ، وإنما هو موضوع للحب لأن اولئك يحبونه .

ي : نعم ، على هذه الشاكلة يجب ان يكون الواقع .

س : إذن ما قولنا بالورع ؟ هل تحبه الآلهة جميعاً وفقاً لتعريفك ؟

ي : نعم .

س : هل تحبه بسبب كونه ورعاً ام نتيجةً لسبب آخر ؟

ي : بسبب كونه ورعاً .

س : إذن فالآلهة تحبه بسبب كونه ورعاً ، وهو ليس بورع بسبب كون الآلهة تحبه ؟

ي : هذا ما يبدو لي .

س : ولكن بسبب كونه شيئاً محبوباً في نظر الآلهة يكون موضوعاً للحب .

ى : طبعاً.

س : إذن فما تحبه الآلهة لا يكون الورع ذاته ، كما ان مـــا يكون ورعاً لا يكون الشيء ذاته الذي تحبه الآلهة كما تزعم ، فهذان شيئان مختلفان .

ي : كيف تبلغ هذا يا سقراط ؟

س : ذلك لأننا اتفقنا لتونا على انّ ما يكون ورعاً يكون محبوباً لأنه ورع ، وانه ليس ورعاً لأنه محبوب ، اليس كذلك ؟

ي : نعم .

س : كما اتفقنا على ان ما يكون محبوباً في نظر الآلهة يكون كذلك بسبب ان الآلهة تحبه انطلاقاً من واقع حبها له بالذات ، وانها لا تحبه بسبب كونه محبوباً في أنظار الآلهة .

ي : صدقت فيما قلت .

س . ولكن إذا كان ما هو محبوب في نظر الآلهة مطابقاً لما يكون ورعاً ، وإذا كان يا عزيزي يوثيغرو ما هو ورع محبوباً بسبب كونـه ورعاً ، فعندئذ يكون ما هو محبوب في نظر الآلهة محبوباً بسبب كونه محبوباً في نظرها ، واذا كان ما هو محبوب في نظر الآلهة محبوباً بسبب كون الآلهة تحبه ، فعندذاك يكون ما هو ورع ورعاً بسبب كون الآلهة تحبه . وبمقدورك على هذه الحال ان ترى ان العلاقة بينهما علاقة متناقضة تماماً ، الأمر الذي يريك ان الواحد منهما يختلف عـن الآخر . فالواحد منهما محبوب بسبب كون الآلهة تحبه ، والآخر تحبه بسبب كونه محبوبـاً . وانني اعتقد بأنه عندما سألتك عما يكون الورع ، كنت غـير راغب في الكشف لي عن جوهره ، وقمت فقط بالاشارة الى صفة واحدة من صفاته قـائلا بان للورع صفة كونه محبوباً في أنظار جميع الآلهة ، ولكنك لم تقل لي بعد ما يكونه ذاك الذي يتصف بتلك الصفة . ولذلك أرجوك ، اذا لم يكن لديك من مانع ، ألا تخفي عني الحقيقة ، بل فلتبدأ من جديد ولتقل لي ما يكونه

الورع الذي تحبه الآلهة ، أو الذي يتصف بأية صفة أخرى – ونحن لن نختصم حول هـذا الأمر – فلتقل لي بدون تحفظ ما يكونه الورع ، ومـا تكونه الزندقة او الإلحاد .

ي : ولكنني لا أستطيع يا سقراط ان اعبر لك عما يختزنه ذهني . فكل شيء أقدمه أو أعرضه أراه يسترسل في الانزلاق عن مركزه ويرفض البقاء في المكان الذي أضعه فيه .

س : ان أقوالك يا يوثيغرو هي من صنع يدي سلفي ديدالوس ، ولو انني كنت أنا الناطق بما قلت أنت، فانك ولا شك كنت ستسخر مني قائلا بان قرابتي لديدالوس هي التي جعلت أقوالي تنزلق وترفض البقاء مركزة عـلى المكان الذي وضعتها فيه . وكما هي الحال ، فان القضـايا هي قضاياك، ولذا فنحن بحاجة الى ملحة أو فكاهة أخرى ، وذلك لأن هذه القضايا ترفض بالنسبة لك البقاء حيث تضعها .

ي : انني كما أرى يا سقراط ان الملحة التي تستوجبها هذه القضايا (النظريات) هي تقريباً مشابهة تماماً للملحة التي أبديتها ، وذلك لأنني لست أنا الشخص الذي أخلع على تلك القضايا ملكة الحركة والتحرك ، وأجعلها بذلك لا تستقر في المكان الواحد ذاته ، بل يبدو لي انك أنت بالذات هو ديدالوس، وذلك لأن تلك القضايا فيما يتعلق بي كانت – لولاك – ستبقى حيث كانت مستقرة بالنسبة لي .

س : اذن ففي هذه الحـال ابدو ، يا صديقي العزيز ، كما لو انني كنت عبقرية أعظم من ديدالوس في فني ، فهو لم يعط سوى انجازاته الخـاصة قوة الحركة والتحرك ، بينما كما يبدو لي انني اعطي هذه القوة لمنجزات الناس الآخرين ولمنجزاتي أيضاً . ولكن أرغب اليك في الملاحظة ان أشد ملمح من ملامح فني مراوغة وخداعاً يتمثل في كون براعتي غير متعمدة أو مقصودة . والحق انني كنت افضل ان تكون نظرياتنا صحيحة وثابتة عـلى كل ما

يمتلك تانتالوس من ثروة وثراء ، وحتى على مهارة ديدالوس . ولكن يكفي ما قلناه عن هـذا الأمر . ونظراً لأنني أراك تبدو منهاراً معنوياً بعض الشيء ، فسأقوم بذاتي ببذل بعض مجهود كي تدرسني وتعلمني مـا يكونه الورع ، وأرجوك ألا تيأس قبل الأوان . والآن فلتتأمل ملياً فيما اذا كان كل شيء ورع يبدو لك صحيحاً أخلاقياً .

ي : نعم انه يبدو لي كذلك .

س : اذن فهل يكون كل شيء صحيح أخـلاقياً ورعاً ؟ أليست الحقيقة هي انه على الرغم من انّ ما يكون ورعاً يكون كلياً صحيحاً أخلاقياً ، غير ان ما يكون صحيحاً أخلاقياً لا يكون كلياً ورعاً ، بل يكون بعضه ورعـاً والبعض الآخر منه شيئاً ما آخر ؟

ي : لم أستطع متابعة ما تعنيه يا سقراط .

س : كيف ذلك ؟! فانت لأصغر سناً ولأوسع حكمة مني بكثير ، ولكن ثراء حكمتك قد جعلك – كما قلت لك آنفاً – مترهلاً وغير مبال بالجدل . انني والحق لعاجب من أمرك . هيا فلتسترد قواك ولتتحفز ! فان ما أعنيه هو في الواقع ، ليس عسيراً على الفهم . فأنا أقصد بقولي نقيض ما عناه الشاعر حينما قال :

« ولكن زفس خالق عالمنا هذا
لن يزجر أو يُعنف
لأنه حيث يوجد خوف
يوجد احترام واجلال ايضاً . »

وأنا لا أوافق على ما قاله هذا الشاعر . أترغب في أن أخبرك بسبب ذلك ؟

ي : كل الرغبة يا سقراط .

س : لا أعتقد صحيحاً أن يقول المرء حيث يوجد خوف يوجد احترام واجلال .

لأنه يبدو لي ان هنـاك العدد الوافر من الناس الذين يخافون المرض والفقر وأي عدوٍ آخر من مثل هذه النوائب ، والذين بالرغم من خوفهم هذا لا يكنون أقل شعور من الاحترام لمثل هذه الامور . ألا توافقني على ذلك ؟

ي : طبعاً وتأكيداً .

س : لكنه لصحيح القول القائل بأنه حيث يوجد احترام يوجد خوف كذلك . فهل هناك من انسان يشعر بالاحجام والخجل من الاقدام عـلى فعلٍ ما ، ولا يخشى في الوقت ذاته من السمعة السيئة التي تحيط بأعمال الشر ؟

ي : نعم انه يخشى .

س : اذن فليس من الصواب ان نقول بانه « حيث يوجـد خوف يوجد احترام ايضاً » . فالاحترام هو نوع من الخوف ، شأنه في ذلك شأن العدد الفردي حيث يكون هذا نوعاً من العدد ، وهكذا فانه لا يوجد عدد فردي حيثما يوجد عدد ، ولكن يوجد عدد حيثما يوجد عدد فردي . انك لا شك تفهم ما أعنيه ، أليس كذلك ؟

ي : طبعاً .

س : حسناً ! فهذا هو ما عنيته عندما سألت ، منذ هنيهة ، هل يوجـد ورع حيثما توجد استقامة اخلاقية ؟ اليست الحقيقة هي واقعاً انه حيثما يوجـد ورع توجد استقامة اخلاقية ، ولكن حيثما توجد استقامة اخلاقية لا يوجد دائماً ورع ؟ هـل نأخذ بهذه النظرة ام هل نرى من نظرة أخرى خلافـاً لتلك ؟

ي : كلا ! فلنأخذ بها فأنا أعتقد بأنك قد أصبت كبد الحقيقة .

س : اذن فلتلاحظ الخطوة التالية ! اذا كان الورع نوعاً من الاستقامة الاخلاقية ،

فعندئذ يتوجب علينا تسليماً ان نكتشف أي نوع من استقامة اخلاقية يكونه الورع . والآن فانك لو كنت قد سألتني مستفسراً عن أحد الامثلة الذي ضربته لتوي وقائلاً ، مثلا أي نوع من عدد يكونه العدد الزوجي ، أو سائلا عما تكونه طبيعة هذا النوع من العدد ، لأجبتك « بانه أي شيء لا يكون أخص (مختلف الاضلاع) بل يكون متساوي الساقين . ألا ترى معي ذلك ؟

ي : نعم انني أرى ما تراه .

س : اذن أريد منك ان تفسر لي ، وفقاً للأسلوب ذاته ، أي نوع من استقامة اخلاقية يكونه الورع وذلك كي اتمكن بدوري من الطلب الى ميليتوس كي يوقف حملته الظالمة عليَّ ويسقط دعواه بسبب قلة الخشوع ، فلقد علمتني أنت الآن ما يكفي لمعرفة ما يكون محترماً وورعاً وما لا يكون كذلك .

ي : حسناً يا سقراط ! يبدو لي ان الاجلال او الورع هو نوع من استقامة السلوك ومتعلق برعاية الآلهة ، اما النوع الباقي منها فهو ذاك المرتبط برعاية الكائنات البشرية .

س : انه كما أرى لجواب ممتاز يا يوثيفرو ، ولكنني مع ذلك لم استحصل على كل ما اردته تماماً ، لأنني حتى الآن لست واثقاً مما تعنيه بكلمة رعاية . وذلك لأنني أعتقد بانك لا تعني بكلمة رعاية ، في حالة الآلهة ، الرعاية من النوع ذاته ، والتي نستعملها بكل ما لهذه الكلمة من مجالات استعمال ، لأننا بالتأكيد نستعمل هذا المصطلح – فمثلا نحن نقول : لا يستطيع كل أمريء رعاية الخيل بل المدرب فقط ، أليس كذلك ؟

ي : طبعاً .

س : ولكن تدريب الخيول هو رعايتها .

ي : نعم .

س : ووفقاً للأسلوب ذاته لا يستطيع كل أمرىء رعاية الكلاب ، بل يستطيع ذلك مدربها فقط .

ي : تماماً كما تقول .

س : وذلك لان تدريب الكلاب هو رعايتها .

ي : صدقت فيما قلت .

س : كما ان الاعتناء بالماشية هو رعايتها .

ي : طبعاً .

س : اذن هل يكون الورع أو الاجلال رعاية للآلهة ؟ هل هذا هو ما تعنيه ؟

ي : نعم انه هذا .

س : وهل نتيجة كل رعاية هي الامر الواحد ذاته ؟ ان ما أعنيه بسؤالي هذا ان الرعاية تتوخى خير أو فائدة من نرعاه : فالخيل — كما ترى — يوفر لها التدريب فائدة وتحسيناً . ألا توافقنى على ما أوردت ؟

ي : نعم اوافقك على ذلك .

س : وكذلك هي حال الرعاية بالنسبة للكلاب والماشية .... الخ . أو هل تعتقد بأن الرعاية تهدف الى الحاق الاذى بمن وبما تحيط به ؟

ي : طبعاً لا أعتقد بذلك .

س : اذن فهي تهدف الى خيره ؟

ي : طبعاً .

س : اذن فإذا كان الورع بمثابة رعاية للآلهة ، فهل يكون ذا فائدة بالنسبة لها

وهل يجعلها افضل مما كانت ؟ فهل تسلم بأنه عندما تقوم بعمل ورع فانك تجعل أحد الآلهة افضل مما كان من قبل ؟

ي : كلا وألف كلا وتأكيدا لا .

س : رويدك يا يوثيغرو ! فأنا لم أعتقد بان ذاك هو ما كنت تعنيه ـ لقد كان ما تعنيه بعيداً كل البعد عنه ، وهذا ما حدا بي للضغط عليك كي تشرح أي نوع من رعاية للآلهة كنت تعني ، فأنا لا أعتقد بأنك عنيت ذاك النوع الذي وصفته .

ي : لقد صدقت فيما قلت يا سقراط ، فأنا لم اقصد ذاك النوع من الرعاية الذي وصفته .

س : اذن فأي نوع من رعاية للآلهة تعني بكلمة ورع ؟

ي : انها الرعاية ذاتها التي يوفرها العبيد لاسيادهم يا سقراط .

س : لقد ادركت ما تعنيه . فهذه ستكون ـ كما أظن ـ نوعاً من خدمة تؤديها للآلهة .

ي : هذا ما أعنيه تماماً .

س : إذن فلنتأمل في الخدمة التي يؤديها الأطباء ! هل تستطيع أن تعلمني بما يكونه الهدف الذي تستهدفه تلك الخدمة ؟ ألا تعتقد بأنه الصحة ؟

ي : نعم أعتقد بذلك .

س : وما هو هدف بناء السفن كخدمة ؟ وما الذي تهدف هذه الخدمة الى تحقيقه ؟

ي : من الواضح انه سفينة يا سقراط .

س : والمعماريون فهم كما أعتقد يستهدفون من وراء خدمتهم بناء منزل او منازل .

ي : طبعاً .

س : إذن فلتطلعني يا صديقي العزيز عما يكونه الهدف الذي يُنوى بلوغه عن طريق الخدمة التي نؤديها للآلهـة . لا شك انك تعلم ذلك ، فأنت تزعم بأن معرفتك بأمور الدين أعمق وأوسع من معرفة الجميع .

ي : نعم ، وأنا صادق في زعمي هذا يا سقراط .

س : إذن بربك قل لي عما يكونه ذاك الانجاز الرائع الذي تنجزه الآلهة بانتفاعها بخدماتنا ؟

ي : انها تحقق العديد من المنجزات الرائعة يا سقراط .

س : وكذلك القادة العسكريون يا صديقي ، ولكن الأمر سيان ، فبمستطاع المرء ان يلخص كل مـــا يفعلونه بانتصار هؤلاء في الحرب ، اليس الأمر كذلك ؟

ي : طبعاً .

س : زد عـلى ذلك ان الفلاحين يحققون كذلك العديد من المنجزات الرائعة ، ولكن بامكاننا ان نلخص جميع هـــذه المنجزات بوصفها انتاجاً للمواد الغذائية من التربة .

ي : تماماً هذا .

س : إذن ما قولك بالعديد من المنجزات الرائعة التي تحققها الآلهـة ؟ وما هي خلاصة ما تنجزه ؟

ي : لقد قلت لك منذ أمد جد قصير بأنه سيكون عملاً جد شاق بالنسبة اليك يا سقراط ، ان تعرف بصورة مفصلة واقع الامور . ولكن باستطاعتي ان اطلعك على هذا المقدار وبصورة عامة . ان المرء إذا كان يفهم كيف يقول ويعمل ، في صلواته وقرابينه ، ما يكون مسراً للآلهة ، فهذا يكون

الورع عينه ، وهذا النوع من المراعاة والطقوس هو الذي يصون ويحافظ على الحياة الخاصة والعامة في الدول . ولكن نقيض ما يكون مسراً للآلهة هو الكفر والزندقة ، وهذا هو الذي يقوض اركان كل شيء ويدمره .

س : انني لواثق يا يوثيفرو من انه كان بامكانك ان تجيب عن سؤالي باجابة اوجز بكثير من اجابتك تلك لو انك اردت ذلك . ولكنك في الواقع لا تميل الى تعليمي – وهذا الامر واضح تماماً فلماذا تلصت مني تماماً في اللحظة الحرجة ، وذلك حيث انك لو اجبتني لكنتُ قد اكتسبت لتوي كل ما اريد معرفته منك عن الورع . وكما يتوجب على العاشق ان يخطو خطوة فخطوة وراء معشوقته والى حيثما تقوده، كذلك ارجوك ان تعلمني ماتعنيه: بمصطلحي «وَرِع» و «وَرَع» ، اتعني بهما نوعاً من قربان وصلاة ؟

ي : نعم اعني ذلك .

س : ألا تتمثل التضحية في تقديمنا الهدايا للآلهة ، والصلاة في توجهنا بمطالبنا إليها ؟

ي : تماماً كما تقول يا سقراط .

س : إذن واستناداً الى هذه النظرة يكون الورع علم الطلب والعطاء .

ي : لقد ادركت ما أعنيه كل الادراك .

س : وأنا – كما ترى – عاشق متيم بحكمتك يا صديقي العزيز ، ولذلك أصغي إليك بكل ملكاتي وحواسي ، كي لا أدع لأية كلمة من كلماتك ان تسقط الى الارض . ولكن قل لي ما الذي يكونه شكل الخدمة هذه بالنسبة للآلهة ؟ هل تعتقد بأن هذه الخدمة تقوم على أساس طلبنا اليها وتقديمنا الهدايا إليها ؟

ي : نعم أعتقد بذلك .

س : إذن أفلا يكون الاجراء الصحيح لطلبنا منها ، ان نطلب منها مـا نحتاج إليه ؟

ي : طبعاً ! فأي شيء آخر يمكن ان يكون غير ما قلت .

س : وبالمثل ألا يكون الاجراء الصحيح في اعطائنا لها ان نقدم إليها ما تكون – في الواقع – بحاجة إليه منا ؟وذلك لأنه سيكون اعطاء أحد الاشخاص أشياء لا يحتاج إليها طريقة غير مجدية للتهادي .

ي : انه تماماً كما تقول .

س : إذن فإن الورع سيبدو يا يوثيفرو نوعاً من فن الاتجار بين الآلهة والبشر .

ي : نعم انه كذلك اذا ما رغبت في وصفه على هذا الشكل .

س : إنني لا أرغب فيه عـلى أي شكل آخر أفضل ، ما لم يكن بالفعل واقعاً وصحيحاً ، ولكن بربك قـل لي أيـة فائدة تجنيها الآلهة من الهدايا الـتي تتلقاها منا ؟ فمـا تعطيه الآلهة واضح كل الوضوح بالنسبة لكل امرىء ، لأنـه ليس هناك من خـير لم نحصل عليه منها ، ولكن أيـة فائدة تحصل هي عليها مما تتلقاه منا ؟ وهل ميزان تجارتنا معهـا هو في صالحنا الى ذاك الحد ، بحيث اننا نتلقى منها جميع الطيبات ، بينما لا تتلقى هي منا شيئاً ؟

ي : ولكن هل تعتقد واقعاً يا سقراط بـأن الآلهة تستحصل على فائدة من الاشياء التي تتلقاها منا ؟

س : إذن اذا لم يكن الأمر كذلك ، فما الذي بمقدور هداياانا ان تكون بالنسبة للآلهة يا يوثيفرو ؟

ي : انه التبجيل والاحترام والعرفان – كما كنت أقول لتوي – هل هناك من شيء آخر ؟

س : إذن فالورع هو ما يكون مسراً للآلهة ، ولكنه لا يعود بالنفع عليها ، وليس عزيزاً على قلوبها .

ي : انه كما أرى عزيز للغاية عليها .

س : إذن فالورع ، كما يبدو ، هو ايضاً ما يكون عزيزاً على قلوب الآلهة .

ي : انه كما تقول تماماً .

س : اذا كان هذا ما تقوله ، فهل تذهل اذا رأيت اقوالك تنزلق بصورة منظورة ، عن مرتكزاتها بدلاً من البقاء ثابتة عليها ؟ وهل ستتهمني بأنني أنا ديدالوس ، وأنا الذي أدفع بها الى الحركة ، في حين انك لأشد بكثير مهارة من ديدالوس ، إذ انك تجعل اقوالك تتحرك في دائرة مفرغة ؟ ألا ترى ان بحثنا قد استدار ودار ومن ثم عاد الى النقطة التي انطلق منها ؟ فأنت لا شك تذكر اننا قد توصلنا في مرحلة مبكرة من مراحل بحثنا الى الاتفاق على ان الورع وما يكون محبوباً في نظر الآلهة ليسا بالأمر الواحد ذاته ، وانهما أمران مختلفان . ألا تذكر ذلك ؟

ي : نعم اذكره .

س : إذن ألا تدرك انك تقول الآن بأن الورع هو ما يكون عزيزاً على قلوب الآلهة ؟ وهذا القول هو أكيداً بمثابة القول بأنه محبوب لدى الآلهة ، أليس كذلك ؟

ي : طبعاً .

س : إذن فإما ان نكون مخطئين في استنتاجنا الحالي ، او اننا اذا كنا مصيبين ، فعندئذ نكون مخطئين في فرضيتنا الراهنة .

ي : هذا ما يبدو لي .

س : إذن يتوجب علينا ان نعود ثانية الى نقطة الانطلاق في بحثنا عن الورع ،

وذلك لأنني لن اتخلى ابداً طائعاً مختاراً ، عن هذا البحث حتى احصل على الجواب الشافي الكافي . ولذلك ارجوك فقط ألا تعتبرني غير جاد فيما اقوله ، ولتبذل الآن جهدك لإعطائي أشد ما لك من انتباه ، ولتقل لي الحقيقة ، لأنك تعرفها ، هذا اذا كان هناك من أحد يعرفها ، وكبروتيوس ، يجب ألا أسمح لك بمغادرتي قبل ان تكون قد تحدثت ، فأنت لو لم تكن تعرف كل شيء عن الورع والزندقة ، لما كنت أبداً قد حاولت الادعاء على أبيك واتهامه بجريمة قتل ، كل ذلك من أجل عامل فقط . ولولاها لكنت شديد الخوف من الآلهة ، وشديد الخجل مما قد يعتقده بك الناس في اقدامك على مثل هذه المغامرة ، وذلك في حالة كونك مخطئاً فيما تفعله . ولذلك تراني واثقاً كل الثقة من الاعتقاد بأنك تعرف كل شيء عما يكون ورعاً وعما لا يكونه . ولذا فلتطلعني على رأيك في هذا الموضوع أيها الصديق العزيز للغاية ، ولا تخفه عني .

ي : سأطلعك عليه في وقت آخر يا سقراط ، لأنني الآن مرتبط بموعد وقد حان وقت ذهابي إليه .

س : يا لها من طريقة تعاملني بها أيها الصديق ! فلتتصور كيف تتركني على هذا الشكل وتطوح بي من ذروة أملي العظيم ؟ لقد كنت أعتقد بأنني لو تعلمت منك ما يكونه الورع والالحاد ، لنجوت من دعوى ميليتوس ، (بالبرهنة له على انني أمسيت الآن على يدي يوثيفرو عليماً بأمور الدين ، ولن اعود أبدي نظريات مستقلة ومارقة) ، وسأعيش بصورة افضل ما تبقى لي من العمر .

سقراط أمام المحكمة

في عام ٣٩٩ ق. م. تقدم ثلاثة من سكان اثينا – وهم ميليتوس ، وأنيتوس، وليكون – بدعوى ضد سقراط بوصفه يشكل خطراً داهماً على المجتمع .

وقد قصد هؤلاء من الجزء الاول من الاتهام – الهرطقة – اذكاء نيران الاهواء والتحيز ضده . (وهذه التهمة كانت قد استخدمت وبنجاح ضد الفيلسوف اناتساغوراس الذي نسبوا بعض آرائه الى سقراط) . لكن تهمة الهرطقة كان من الصعب اثباتها على سقراط لأنه كان شديد المراعاة لجميع الطقوس الدينية . ومع ذلك فإن سقراط لا شك قد قام فأشار في بعض الاحيان الى بعض المعتقدات التافهة في المذاهب التقليدية ، كما ان معاصريه قد اعتبروا « صوته الإلهي » كبدعة دنسة ابتدعها مفكر حر شديد الخطر .

أما التهمة الثانية والأشد خطورة من تلك فكانت تقول بأنه يفسد اذهان الشبيبة . وكانت هذه التهمة السخيفة والسطحية تستند الى اساس سياسي معين . فدائرته ضمت او بالأحرى كانت تضم بعض الارستقراطيين اليمينيين الذين مع انهم كانوا قد أمسوا حين محاكمة سقراط في عداد الاموات (كـ – كريتياس مثلاً) ، غير انهم بقوا محطاً للسخط والغضب ، كما كان من بين تلامذته ذاك الألمعي السيبياديس الذي لا يزال التاريخ يذكره حتى اليوم فقط بوصفه خائناً دمر بلاده . ولذلك كان بامكان خصوم سقراط الادعاء عليه بأنه هو الذي أضل اولئك الرجال ، وانه يقوم بتضليل الآخرين وافسادهم .

زد على ذلك ان اتهامه للرأي العام بالدهماوية والجهل قد جعله محطاً للريبة والشك في نظر الحزب الديمقراطي الذي كان انيتوس ينتسب إليه، وعضواً بارزاً فيه وأشد خصوم سقراط نفوذاً وخطراً . وهكذا استند اتهام سقراط الى اسس من عداء سياسي وديني . كما كان خصومه يعتمدون في إدانة المحكمة له على اولئك الذين جرح سقراط كبرياءهم ، كما وأمل الخصوم بأن موقف سقراط المتصلب من المحلفين الذين كانوا يترقبون المداهنة والتوسل ، سيجعله محطاً لبغضائهم وسخطهم .

أما إجراءات المحاكمة فجرت على الشكل التالي :

قام ليتيانتس فعرض دعواه ولم يستغن في عرضه بمحام . ومن ثم ألقى المدعي العام مرافعته ، وعندما رد سقراط على بيان النيابة أصدر المحلفون فوراً (وكان عددهم يبلغ الخمسماية من مواطني اثينا) حكمهم وبدون ان يقوم القاضي بتلخيص القضية لهم او بارشادهم ، وقد صدر بإدانة سقراط بأكثرية الاصوات . وكانت اذا تساوت الاصوات في الادانة والبراءة تحفظ المحكمة القضية ، وكان اذا ما استحصل المدعي على أقل من خمس مجموع اصوات المحلفين يغرم بغرامة نقدية . وعندما كان المحلفون يحكمون بالادانة (كما هي الحال وسقراط) ، لم يكن هناك من قانون يحدد العقوبة ، لذلك كان المدعي يقترح احداهما والمدعي عليه أخرى وكان المحلفون يختارون احداهما بالتصويت .

دفاع سقراط

لا أعرف ما هو الأثر الذي خلفه المدعون عليّ في نفوسكم ايها السادة ، لكن فيما يتعلق بي فانهم قد اكتسحوني ببلاغتهم اكتساحاً ، فأقوالهم كانت بليغة الفصاحة شديدة الاقناع ، ولكن من الجهة الأخرى فانني لا أكاد أجد في كل ما قالوه كلمة واحدة نطق بها لسان الحق وصاغها منطق الحقيقة . لقد أذهلني ، بصورة خاصة احد أباطيلهم ، وبهذا أعني : عندما قالوا لكم فلتحذروا شديد الحذر من ان تؤخذوا بشباك تضليلي وخداعي ، فليس لقولهم هذا سوى مغزى واحد هو انني خطيب مفوه ذرب اللسان . واني لأعتقد بانه لوقاحة ان يقولوا لكم ذلك بدون حياء او خجل ، إذ ان قولهم هذا سرعان ما سيدحض قاطع دحض ، عندما تتبينون ايها السادة انني لست بالخطيب المصقع ولست بالذرب اللسان — اللهم إلا إذا كانوا يعنون بالخطيب المفوه ذاك الذي ينطق بالحق ويقول الحقيقة . فإذا كان هذا ما يعنونه فانا إذن الخطيب الخطيب .

ان المدعين كما قلت لم يدلوا إلا بالقليل او بالأحرى باللاشيء مما هو واقع وحق ، ولكن ستسمعون مني الحقيقة كل الحقيقة ، وأنا ايها السادة لعاجز عن تأكيد ذلك بلغة بليغة منمقة كلغتهم ، لغة تتبرج بالكلمات النضيرة والجُمَل الزهيرة ، كلا لن استطيع ذلك ، فما ستسمعونه مني سينطلق محمولاً على اولى الافكار التي تراود خاطري ومنقولاً على اولى الكلمات التي يطالها لساني ، ونظراً لانني راسخ القناعة بعدالة قضيتي ، لذا ارغب اليكم في ألا تترقبوا مني أي شيء مخالف لما ابديته لتوي .

السادة ، تكاد لا تمكنني من التوجه اليكم بلغة تلميذ مصطنعة في مدرسة خطابة . ولكن هناك أمراً على كل حال ارجوه منكم شديد الرجاء ، ألا وهو انكم إذا ما سمعتموني ادافع عن نفسي باللغة ذاتها التي تعودت على استعمالها في رحاب هذه المدينة (حيث الكثيرون منكم قد سمعني اتحدث بها) ، وفي أماكن أخرى غير تلك ، فأرجوكم ألا تذهلوا من ذلك وألا تقاطعوني .

والآن فلتسمحوا لي بان أذكركم بواقع حالي . هذه هي المرة الاولى التي اظهر فيها أمام محكمة وفي قاعتها ، وانا لي اليوم السبعون من العمر ، ولذا فانني لغريب الغرابة التامة عن لغة هذا المكان . وانكم لا شك كنتم ستعذرونني لو انني كنت غريباً عن هذا البلد وتحدثت بالاسلوب ذاته وباللهجة العامية ذاتها والشائعة في البلد الذي نشأت فيه وترعرعت . ولهذا اتوجه اليكم بمطلب اعتقد بأنه عادل ومعقول ، أتوجه طالباً منكم الا تكترثوا باسلوبي – وهذا قد يكون افضل او اسوأ بالنسبة لي – بل ان تتأملوا وتركزوا اهتمامكم وانتباهكم على أمر واحد ، ألا وهو مـا إذا كان ما ادعيه حقاً أم باطلاً ، وهـذا هو الواجب الاول لكل محلف ، كما ان الواجب الاول لكل مرافع ان يقول الحقيقة .

ان نهجي في مرافعتي ، ايها السادة المحلفون ، هو ان أعالج اولاً اولى التهم التي اتهمت بها زوراً وبهتاناً ، ووجهها إلي اوائل المدعين علي ، ومن ثم سأعالج ما تلت تلك من اتهامات وتهم . ولقد تعمدت ايجاد هذا الفارق بين تلك التهم وهذه ، لانه ، كما ترامى الى مسامعكم ، قد سبق لكثير من الناس وطيلة العديد من السنين ، ان وجهوا إليّ العديد من الاتهامات التي لا تستند بأكملها الى اي سند من حقيقة وواقع . واسمحوا لي بان أصارحكم بان خوفي من أولئك الناس أشد من خوفي من آنيتوس ورفاقه ، علماً بأن لهؤلاء من القوة والجبروت ما هو كاف . لكن اولئك الآخرين هم أشد سلطاناً وجبروتاً من هؤلاء ، واعني باولئك الذين أمسكوا بكم وانتم لا تزالون اطفالاً وحاولوا ان يسمموا اذهانكم ضدي وان يملأوها باتهامات باطلة تقول : « بانه يوجد هنا رجل حكيم يدعى

سقراط ، ولهذا الرجل نظريات عن السموات ، ولقد سبق له ان تحرى ومحّص كل شيء يقبع في باطن الثرى وتحت الارض ، وان بمقدوره ان يجعل الحجة الضعيفة تتغلب على البرهان القوي » . ان هؤلاء الناس ، ايها السادة ، هم الذين أشاعوا تلك الشائعات حولي ، وهم خصومي الخطرون ، ذلك لأن أياً من الناس يستمع الى أباطيلهم تلك ، سيفترض بداهة بأن كل امرىء يبحث في مثل تلك المواضيع يكون لا شك ، ملحداً وزنديقاً . والى جانب هؤلاء يوجد العديد من المتهمين الذين لم يوفروني طيلة العديد من السنين من سهام اتهاماتهم ، وما هو أخطر من ذلك ان هؤلاء قد حاولوا ان يؤثروا فيكم ايها السادة المحلفون حينما كان البعض منكم في سن الطفولة او المراهقة ، ومثل هذه السن هي اكثر مراحل الحياة قابلية للتأثر والانطباع ، ولقد كسبوا حرفياً قضيتهم نتيجة للاهمال والتقصير ، وذلك لأنه لم يكن هناك من أحد ليدافع عني . وان أشد ما في هذا الامر من غرابة وعجب كوني لا استطيع استحالة ان اعرف ، وحتى ان ادلي اليكم باسماء أولئك المتهمين ، اللهم إلا إذا كان أحدهم مؤلفاً مسرحياً . ان جميع هؤلاء الناس الذين حاولوا تحريضكم علي انطلاقاً من حسدهم لي وحبهم للاغتياب – بالاضافة الى بعض آخر كان يروج ما يقوله الآخرون – جميع هؤلاء أجد من الصعب عليّ بمكان ان اعالج اقوالهم وأفندها . فمن المستحيل احضارهم الى هذه القاعة لأستجوبهم ، وهكذا ترون ايها السادة المحلفون ان علي ان ادافع عن نفسي وأدلل على بطلان التهم الموجهة اليّ واقف في وجه خصم غير منظور ، لأنه لا يوجد هناك من يحاوب او يجيب . ولذلك ارغب اليكم في قبول قولي بان ناقديّ ينقسمون الى قسمين ، فالقسم الاول منهم يضم المدعين الحاليين عليّ ، أما الثاني فيتألف من اولئك الذين تنطعوا قبل هؤلاء لتوجيه النقد والاتهامات الي . وهكذا ينبغي عليكم ان تفترضوا بأنني سأبدأ بالدفاع عن نفسي أمام القسم الثاني من المتهمين ، وعلى كل حال فلقد سمعتم ايها السادة المحلفون افراد هذا القسم يتهمونني ظلماً وعدواناً منذ مدة ابعد بكثير من المدعين الحاليين علي ، ولقد كانت اتهاماتهم اشد عنفاً وقسوة من اتهامات

هؤلاء المتهمين الراهنين .

حسناً ايها السادة المحلفون ! فعليّ ان ابدأ بالدفاع عن نفسي مستغلاً هـذه الفترة القصيرة من الزمن كي أزيل من أذهانكم تلك الانطباعات الباطلة وليدة العديد العديد من السنين . وانني والحق لشديد الرغبة في ان تسفر مرافعتي عن تلك النتيجة التي ذكرتها لتوّي ، لقناعتي بأن في زوال تلك الانطبـاعات الخير كل الخير لكم ايها السادة ولي ، كما وارغب في ان انجح في دفاعي ، لكنني اعتقد بان هذا النجاح سيكون وليد المشاق والتعب ، لأنني ادرك تماماً طبيعة المهمة التي اقوم بها . وعلى كل حال فلتكن النتيجة كما يشاءها الله ويريد ، اما انا فعلي ان أطيـع القانون وادافع عن نفسي .

ايها السادة ! لنعد الى بداية البداية ولنتأمل ملياً في تلك الاتهامـات التي جعلتني محطاً للسخط والغضب وشجعت ميليتوس على الادعاء علي بالتهمة التي أحاكم الآن بها . حسناً ما الذي قاله ناقديّ في مهاجمة طبعي واخلاقي ؟ أرى لزاماً علي ان اقرأ شهادتهم المشفوعـة بالقسم ، كما لو انهم كانوا المدعين القانونيين علي . يقولون إن سقراط متهم بتطفلات إجرامية ، بحيث انه يبحث في الاشياء القابعة تحت الارض وفي السموات ، ويجعـل الحجة الضعيفة تدحض القوية ، ويعلم الناس طالباً منهم الاقتداء به » . وأود ان اورد هذه الاتهامات بكلمات وتعابير اخرى . لا شك انكم قد اطلعتم عليها بذواتكم في المسرحية التي كتبها ارستوفانيس ، حيث يصور سقراط يـدور ويدور ويزعم بأنه يمشي على الهواء ويهرف كثيراً باشياء عديدة ، أنا لا اعرف عنها اي شيء . وانا لا اقصد بهذا القول ابداء احتقاري لمثل هذه المعرفة ، وذلك إذا كان هناك في الواقـع أي انسان ضليع فيها – فأنا لا اريد ان اوفر الاسباب لميليوس كي يرفع المزيد من الدعاوى علي – ولكن واقع الحال هو ، ايها السادة ، انني لا أهتم بمثل هذه المعرفة ولا اكترث بها . ومما هو اكثر من ذلك ، فأنا اطلب من القسم الاكبر منكم ان يكون شاهداً على قولي الآنف الذكر ، واتوجه اليكم جميعاً يا من سبق

لكم ان استمعتم الى احاديثي ، (وهناك عدد كبير منكم يطاله ندائي هذا) ، ان توضحوا لجيرانكم هذا الأمر وتجلوا اذهانهم منه . وليقل احدكم للآخر مـا اذا كان ابداً قد سمعني ابحث مثل هذه المواضيع بحثاً موجزاً او مسهباً ، وعندئذ ستتحققون من ان الشائعات الاخرى التي تدور حولي شائعات باطلة جملة وتفصيلاً.

والحق انه لا يوجد هناك اي شيء في اي من هذه الاتهامـات ، واذا كنتم قد سمعتم اي امرىء يقول بانني أحاول تثقيف الناس لقاء أجر مـالي او غيره فهذا القول باطل بدوره . ولقد كنت أتمنى ان يكون هنـاك أجر ، لانني اعتقد بانه لأمر جميـل ان يكون المرء مؤهـلاً ليثقف وليعـلم ، كما هي حال جورجياس الليونيني وبروديكوس كيوس وهيبياس الاليسي . لقد كان كل واحد من هؤلاء قديراً تماماً على الذهاب الى أية مدينة واقناع الشباب بالتخلي عن صحبة مواطنيهم بحيث كان بمقـدور هؤلاء الشباب ان يصاحبوا أياً من مواطنيهم لقاء لا شيء ، وعلى الالتصاق بمعلمهم ودفع المال له ، بكل شكر وامتنان ، لقاء هذا الامتياز . وهناك ايضاً معلم ضليع آخر من اهالي مدينة باروس ، وقد صادفته في هذه المدينة حيث جاءها زائراً. كما سبق لي ان التقيت برجل كان يدفع للسفسطائيين من الاجر مبلغـاً يتجاوز بضخامته مجموع مـا يدفعه لهم الآخرون ، واعني بهذا الرجل كالياس بن هبونيكوس ، وقد سألته (وكان له إبنان) ، قائلاً :

« اسمع يا كالياس ! لو ان ابناءك كانوا عجولاً او مهوراً فعندئذ لن يكون من الصعب علينا العثور على مدرب للوصول بصفاتهـا الطبيعية ذرى الكمال ، وهذا المدرب يجب ان يكون نوعاً من تاجر خيول او خبيراً زراعياً . ولكن نظراً لان ابناءك كائنات بشرية ، فمن الذي تعتزم ان تختـاره لهم مربياً ومعلماً ؟ ومن هو الخبير في تهذيب الصفات الانسانية والاجتماعية تهذيباً يسمو بها الى الكمال ؟ واعتقد ، اعتماداً على ان لك ابناء ، بأنك قد تمعنت مليـاً في هذا الموضوع . فهل هناك من شخص كذاك الذي اعنيه أم لا ؟ فأجابني

طبعاً هناك احدهم ، فسألته « من يكون ذاك الشخص وما هو مقدار أجره ؟ فأجابني يدعى افينوس الباروسي ويتقاضى عشرين جنيهاً . وهكذا وجدتني اقول لنفسي بانه يتوجب عليّ ان اهنىء افينوس اذا كان حقاً استاذاً في هـذا الفن ويتقاضى اجراً معتدلاً كذاك . والحق ايهـا السادة انني كنت سأفاخر بنفسي وأزهو تياهاً بهـا لو انني كنت افهم مثـل تلك الامور ، غير انني في الواقع لا أفقه منها شيئاً .

وهنا قد يقاطعني احدكم قائلاً : « ولكن ما الذي تقوم به وتفعله ياسقراط؟ وكيف حدث ان قام بعضهم فشوه واقعك على هذه الصورة ؟ فمن المؤكد ان هذه الاقاويل والشائعات الدائرة حولك ما كانت لتسري ابداً لو انك حصرت حياتك داخل دائرة النشاط العادي، فهي لا تنشأ ولا تسري إلا اذا كان سلوكك شاذاً وغير عادي . فلتفسر لنا سبب ذلك ، هذا اذا لم ترد لنا ان نخترع تفسيره بأنفسنا » .

هذا طلب يبدو لي عـادلاً ومعقولاً ، ولذلك فسأحاول ايها السادة ان افسر لكم السبب الكامن وراء ما أُحاط به من سمعة سيئة أقـامها خصومي عـلى الأباطيل ، ولذا ارجو منكم الإصغاء لما سأقوله ! ولربما يعتقد البعض منكم بأنني لست جاداً ، لكنني اؤكد لكم انني سأقول الحقيقة بعينها .

لقد استحصلت على هذه الشهرة من لا شيء هو أقـل من نوع من حكمة . فأية حكمة اقصد او اعني ؟ انها الحكمة البشرية كما أعتقد . ويبدو لي انني بالواقع حكيم بالمعنى المحدود لهذه الكلمة . ولربما كان العباقرة الذين ذكرتهم لتوي حكماء حكمة اوسع من الحكمة البشرية ، إذ لا يوجد لدي من اسلوب آخر لتعليل حكمتهم تلك . أمـا أنا أيها السادة فليست لدي أية معرفة بمثل تلك الحكمة ، وان كل امرىء يزعم غير ما قلته فهو كاذب ونهّاش أثيم . والآن ارجوكم أيها السادة ألا تقاطعوني اذا بدا انني اغالي في زعمي ، وسأردكم الى سلطة لا لوم عليها ولا تثريب ، وسأستشهد كشاهد على حكمتي بإله دلفي .

انكم لا شك تعرفون تشيريفون . فهذا كان صديقي منذ أيام الطفولة ، كما وانكم لتعرفون بفطرته واخلاقه ، وبأية حماسة كان يقوم بانجاز اي امر يعهد به اليه . وقد حدث ذات يوم أن ذهب الى دلفي وطرح السؤال التالي على الإله — (ايها السادة ارجوكم كما قلت سابقاً ألا تقاطعوني) — لقد سأل عما اذا كان هناك أي شخص اوسع حكمة مني انا سقراط. فأجابته الكاهنة بأنه لا يوجد إطلاقاً. ولما كان صديقي هذا قد توفي ولذا سأستشهد بأخيه الموجود حالياً في قاعة المحكمة . وهنا ارجوكم حار الرجاء أن تتمعنوا فيما اهدف اليه . فانا اود ان افسر لكم كيف بدأت الهجمة الاولى على صيتي وسمعتي. وعندما سمعت ما قالته العرافة سألت نفسي عما يعنيه الإله ؟ ولماذا لا يستعمل لغة بسيطة مفهومة ؟ وأدرك انا حق الإدراك انني لا ادعي الحكمة عميقة كانت أم ضحلة ، وما الذي يعنيه بتأكيده على انني اوسع الناس حكمة في العالم؟ فالإله لا يمكن ان يكذب، فالكذب لن يكون لائقاً بالنسبة له .

وبعد أن احترت في امري بعض الوقت ، انطلقت اخيراً بثقيل من تردد للتأكد من الحقيقة بنفسي ونهجت النهج التالي : قصدت اولاً رجلاً شهيراً للغاية بحكمته ، وذلك لانني شعرت بانه اذا كان هناك من أمرىء او وسيلة لدحض ما قالته العرافة على لسان الإله عن سلطاني الإلهي ، فإنها تتمثل في ذاك الرجل، بحيث عزمت بعد لقائي اياه على القول للإله: « انت تقول بأنني اوسع الناس حكمة في العالم ولكن هنا رجلا اوسع حكمة مني » .

حسناً ! جئت ذاك الشخص وامتحنته امتحاناً دقيقاً — ولست بحاجة الى ذكر اسمه ، لقد كان احد رجال ساستنا — واثناء حديثي معه تشكل لديّ انطباع مفاده بأن ذلك الرجل على الرغم من كونه في نظر الكثير من الناس ولاسيما نظره الخاص ، يبدو في الظاهر حكيماً ، لكنه في الواقع ليس بحكيم . ومن ثم عندما بدأت احاول ان اظهره بانه متوهم في نفسه الحكمة، على حين انه في الواقع ليس كذلك ، غضب مني وغضب لغضبه الكثير من حضور مجلسه .

وبعد أن غادرته تأملت في نفسي ملياً وقلت لها : «حقاً انني لأوسع حكمة من هذا الرجل . ومن المرجح جداً ألا يكون لدى كلينا اية معرفة يستطيع ان يتبجح او يفاخر بها ، لكن ذاك الرجل يعتقد بأنه يعرف شيئاً ما ، وهو في الواقع لا يعرفه ، بينما انا ادرك جهلي ادراكاً تاماً . وعلى كل حال فيبدو لي اني اوسع منه حكمة الى هذا الحد القريب ، فانا لا أعتقد بأنني اعرف ما لا اعرفه .

وبعد ذلك قصدت رجلا آخر اوسع من الاول حكمة وشهرة، وبعد حديثي معه تكون لديّ عنه الانطباع ذاته ، وهكذا لم اجن سوى حقده عليّ وسخط عدد آخر من الناس .

ومنذ ذاك الحين اخذت استجوب شخصاً بعد آخر . وسرعان ما تحققت ، والكآبة تأكل كبدي، والرعب يعصف بي، انني اجعل من نفسي محطاً للبغضاء والسخط ، لكن وجدتني مرغماً على وضع واجبي الديني فوق كل شيء. ونظراً لأنني كنت احاول كشف مغزى ما قالته العرافة ، كنت ملزماً على استجواب كل امرىء تحيطه المعرفة بالصيت والشهرة . وأقسم لكم ايها السادة بالدوج ، (لأنه يتوجب عليّ ان اكون صريحاً معكم) ، على ان انطباعي بعد جولاتي تلك كانت كما يلي :

لقد بدا لي – وأنا ألاحق ابحاثي انصياعاً لأمر الإله – ان اوسع الناس شهرة كانوا جاهلين الجهل المطبق تقريباً، بينما لمست ان من يعتبرهم الناس دون اولئك، كانوا أمهر منهم بكثير في استعمال عقلهم العملي .

ايها السادة ! ارغب اليكم أن تروا في مغامراتي هذه ضرباً من حج قمت بـه لتأييد ما قالته العرافة على لسان الإله وإثباته مرة واحدة وأخيرة . وبعد ان انهيت جولتي مع السياسيين تحولت قاصداً الشعراء من غنائيين ودراميين وغيرهم معتقداً بأنني سأكشف في هـذا الميدان عن جهلي وحماقتي كندٍ لهم ، فأخـذت

التقط ما اعتقده كأعظم مؤلفاتهم وأسألهم الاسئلة الدقيقة عن معنى ما كتبوه مؤملاً بان أُوسع بصورة عرضية معرفتي الخاصة . والحق ، ايها السادة ، انه ليخامرني الكثير من التردد في الادلاء بالحقيقة اليكم ، لكن يتوجب عليّ قولها. فقد يكون من المبالغة والغلو اذا ما قلت ان بمستطاع اي من هؤلاء المشاهدين تفسير تلك القصائد افضل مما يفسرها ناظموها . وهكذا سرعان ما شكلت انطباعي عن الشعراء ايضاً . واستنتجت مقرراً ان الحكمة ليست هي التي تمكنهم من نظم الشعر ، وانما هو ضرب من غريزة أو إلهام ووحي ، كذاك الذي نصادفه لدى العرافين والانبياء ، بحيث يدلي هؤلاء بجميع رسائلهم السامية دون ان يدركوا ادنى ادراك ما تعنيه . لقد اتضح لي ان الشعراء على شاكلة اولئك ، كما لاحظت أن اولئك الشعراء نظراً لما هم عليه من شاعرية يعتقدون بانهم يفهمون اعمق فهم جميع المواضيع الأخرى ، بينما هم يجهلونها جهلاً مطبقاً . وهكذا وجدتني أغادر هذه الفئة من الناس ، ولم تكن فائدتي منهم لتختلف عما جنيته من السياسيين .

واخيراً اتجهت الى العمال المهرة . لقد كنت اعرف عميق المعرفة بانه ليست لدي عملياً اية مؤهلات تقنية ، ولذا كنت راسخ القناعة بانني سأجد لديهم المعرفة الدامغة . ولم يخب املي هذا ، فلقد كانوا يفهمون اشياء لا افهمها ، والى هذا الحد كانوا اوسع مني حكمة . ولكن يبدو لي ايها السادة ان هؤلاء الخبراء الحرفيين يخالجهم الشعور ذاته الذي لاحظته لدى الشعراء ، وأعني بقولي هذا ان اولئك الحرفيين انطلاقاً من مهارتهم التقنية يزعمون انهم يفهمون جميع المواضيع الأخرى فهماً كاملاً ومهما تكن هامة وخطيرة ، وهكذا شعرت بان خطأهم هذا اثقل وزناً بكثير من حكمتهم الوضعية . ولذا جعلت من نفسي الناطق بلسان العرافة وسألت ذاتي عما اذا كنت افضل ان اكون كما كنت — اي غير حكيم في حكمتهم وغير غبي في غبائهم — او ان اكون حكيماً وغبياً معاً كحال اولئك الحرفيين ، فأجابت العرافة من خلال نفسي بان من الافضل لي ان اكون كما كنت .

ايها السادة! لقد اثارت عليّ هذه الابحاث زوابع السخط والعداء، عداء من نوع مرير حقود لجوج اسفر عن مختلف هذه الاقاويل الشريرة الدائرة حولي، واسفر ايضاً عن نعتي باستاذ الحكمة. وهذا النعت نجم، على كل حال، عن انه في كل مرة كنت انجح في التدليل على بطلان ادعاء اي شخص للحكمة في موضوع من المواضيع كان المشاهدون يعتقدون بانني اعرف كل وجه من وجوه ذاك الموضوع. ولكن الأمر وما فيه ايها السادة هو بالتأكيد ما يلي: ان الحكمة الحقيقية هي ملك لله، وما ذاك الذي ورد على لسان العرافة سوى اسلوب الله في قوله لنا بان للحكمة البشرية زهيد قيمة او لا قيمة اطلاقاً. ويبدو لي ان الله في قوله ذاك لا يعني حرفياً سقراط، وانما اتخذ اسمي كمثل فقط، كما لو انه اراد ان يقول لنا: «ان اوسعكم حكمة ايها البشر هو ذاك الذي ادرك كسقراط، انه تافه واقعاً وحقير فعلاً في كل ما يتعلق بالحكمة.»

وهذا هو السبب كل السبب الذي يجعلني لا أزال حتى الآن أنقب وأبحث انصياعاً لأوامر الله، وإذا ما اعتقدت بان هناك شخصاً حكيماً سواء أكان مواطناً أم غريباً قصدته، واذا اعتقدت باي شخص أنه بعيد عن الحكمة حاولت مساعدة قضية الله بالتدليل له على انه ليس بحكيم. وهذه المهمة قد استغرقت معظم اوقاتي ولم تمكنني من الاسهام الواسع في السياسة ولا من الاهتمام بامور حياتي الخاصة، والحق ان خدمتي لله قد هبطت بي الى حال من فقر مدقع.

وهناك ايها السادة سبب آخر وراء كوني محطاً للكراهية والبغضاء. وهذا السبب يتمثل في ان هناك عدداً من الشباب من ابناء الاغنياء، ولهؤلاء متوفر المديد من أوقات الفراغ، وقد عمدوا الى الالتصاق بي وملازمتي، لأنهم يتمتعون بالاصغاء الى استجواب الآخرين. وكثيراً ما يتخذني هؤلاء قدوة لهم، فينطلقون محاولين استجواب الآخرين، أنىّ يصادفونهم، كما اعتقد عدد غير محدود من الناس الذين يعتقدون بانهم يتمتعون ببعض المعرفة، بينما هم في الواقع

لا يعرفون سوى القليل أو لا شيء . وبحكم ذلك فان ضحـايا هؤلاء الشباب يسخطون لا على نفوسهم بل عليّ أنا ، ومن ثم ينطلقون متذمرين وقائلين بان هناك ثرثاراً فضولياً ووبائياً يدعى سقراط ، وهـذا يقوم بملء رؤوس الشباب بالافكار الفاسدة . ولكن لو سألتم هؤلاء ما الذي يفعله سقراط وما الذي يعلمه وينجم عنه مثل هذه النتائج الضارة ، فعندئذ لن يحيروا جواباً ولن يعرفوا ماذا يقولون . ولكن نظراً لأنهم لا يريدون التسليم بحيرتهم وارتباكهم لذلك ترونهم يرتدون مهاجمين بشق التهم « أي فيلسوف يعلم تلامذته اشياء قابعة في السماء وأخرى تحت الارض ، ويدرسهم الالحاد بالآلهة وجعل الحجة الضعيفة تدحض القوية » . ايها السادة ! يخيل إلي ان نفوس هؤلاء تعاف التسليم بالحقيقة وتشمئز منها : والحقيقة المقررة انهم مدانون الإدانة القاطعة بادعاء المعرفة وهم منها براء ، لأنهم في جهلهم سادرون . فهؤلاء — مدفوعين بأشد غيرة على صيتهم وشهرتهم ، واقوياء عدداً ومتسلحين بقضية تحظى باستحسان العديدين وبدعوى اعدت بعناية واهتمام — ما برحوا منذ زمن طويل وهم يصرخون في آذانكم باتهاماتهم العنيفة لي . وهاكم الاسباب التي دفعت بميليتوس وأنيتوس وليكون لاتهامي : فميليتوس ساخط لسخط الشعراء عـلي ، وانيتوس غاضب لغضب الحرفيين والساسة ، وليكون حاقد لحقد الخطباء . وهكذا ، وكما قلت في مطلع دفاعي ، انني سأذهل إذا وجدتني قادراً ، خلال ما هو متاح لي من وقت قصير ، على إزالة الاباطيل المغروسة عميقاً عميقاً في اذهانكم .

ايها السادة ! لقد قدمت اليكم الوقائع الحقيقية ، وقدمتها دون نسخ او تمويه . انني لراسخ القناعة بأن اسلوبي البسيط في الحديث هو سبب كراهيـة الناس وبغضائهم لي ، وهذا مما يدل على ان اقوالي صادقة وصحيحة ، وعلى انني وصفت صادقاً طبيعة البهتان واسبابه ، بهتان الدعوى المقامة عليّ . وسواء أقمتم الآن ام فيما بعد ببحث تلك الاسباب وتمحيصها ، فانكم ستجدون الوقائع تماماً كما ذكرتها .

هذا فيما يتعلق بالقسم الاول من المدعين عليّ . و سأحاول الآن الدفاع عن نفسي أمام ميليتوس – ذي المباديء السامية والوطني الصادق الوطنية كما يدعي ويزعم – وبعد ذلك أمام الآخرين .

والآن فلنتأمل في شهادتهم ثانية، كما لو انها كانت بمثابة اتهام جديدفهي تقول:

« ان سقراط مذنب في افساد اذهان الشبيبة وفي الايمان بآلهة اخترعها بدلاً من الآلهة التي تعترف بها الدولة ». على هذا الشكل هي التهمة ،فلنتفحص نقاطها نقطة إثر نقطة :

أولاً ان هذه التهمة تقول بأنني مذنب في افساد الشبيبة . لكنني اقول ايها السادة إن ميليتوس مذنب في معالجة قضية خطيرة برعونة وطيش ، وذلك نظراً لأنه يدعي على الناس ويدفع بهم الى المحاكمة وهو لا يستند إلا الى أسس سخيفة تافهة ،ومن ثم يجهر باهتمامه وقلقه البالغ خائضاً في مواضيع لم يسبق له البتة ان ابدى إزاءها أدنى اهتمام . وسأحاول التدليل على ما قلته تدليلا يوفر لكم القناعة والرضا .

والآن فلتتقدم مني يا ميليتوس ولتجب على اسئلتي ! هل تعتبر انه لمن أهم الأمور ان نعرّض شبيبتنا لأفضل المؤثرات الممكنة أليس كذلك ؟

ميليتوس : نعم

سقراط : حسناً، إذن فلنطلع هؤلاء السادة عما يؤثر في الشباب افضل أثر . ومن الواضح تماماً انه يجب ان تعرف ذلك ، إذا كنت تولي هذا الموضوع بالغ اهتمامك . لقد اكتشفت المؤثرات السامة والشريرة كما تقول في شخصي ، وهاانك الآن تقاضيني امام هؤلاء السادة ، فلتتكلم ولتطلعهم عما يكونه ذاك الذي يؤثر التأثير الطيب في الشباب – أرأيت يا ميليتوس ! فأنت معقود اللسان ولا تستطيع جواباً . ألا تشعر بان موقفك هذا قبيح وشائن ، وانه البرهان الدامغ على ما

قلته ، حينما قلت بانك لا تولي هذا الموضوع أي اهتمام ؟ فلتقل لي يا صديقي من يكونه ذاك الذي يجعل الشباب أخياراً ؟

م : القوانين .

س : ليست هذه التي أعنيها يا سيدي العزيز ، فأنا قد طلبت منك ان تسمي لي الشخص الذي تكون أولى ما له من مهام هي معرفة القوانين .

م : انهم هؤلاء السادة المحلفون يا سقراط .

س : هل تعني يا ميليتوس بأن لهؤلاء المقدرة على تربية الشباب وتثقيفهم وتطويرهم الى افضل فأفضل ؟

م : طبعاً وتأكيداً .

س : هل ينطبق قولك هذا على جميع المحلفين أو فقط على البعض منهم ؟

م : انه ينطبق عليهم جميعاً

س : رائع وممتاز انهم لمؤونة كريمة سخية من المحسنين . حسناً ، هل لهؤلاء المشاهدين والحاضرين في هذه القاعة الأثر التحسيني أم لا ؟

م : نعم لهم ذلك.

س : وما قولك بأعضاء المحكمة ؟

م : نعم وللمستشارين ذلك ايضاً .

س : وطبعاً فإنك يا ميليتوس لن تستثني اعضاء الجمعية العامة ، فأعضاؤها لا

يفسدون الشبيبة ، وهل جميعهم يؤثرون التأثير التحسيني فيهم ؟

م : نعم

س : إذن يبدو لي ان لسكان أثينا بأكملهم التأثير الفاضل في الشبيبة ، ولا يستثنى منهم سوى شخصي بالذات، بحيث أقوم أنا وحدي بافساد الشباب. هل هذا ما تعنيه ؟

م : نعم وبكل تأكيد .

س : ان هذه بالتأكيد لأتعس صفة اكتشفتها في شخصي يا ميليتوس . ولكن فلتسمح لي بان أوجه اليك سؤالاً آخر . ولنأخذ الخيول مثلاً لنا . فهل تعتقد بأن أولئك الذين يضمرونها ويصلحون من طبائعها يشكلون الجنس البشري بأسره ، وان هناك شخصاً واحداً فقط ذا أثر ضار بها ؟ أو ليست الحقيقة هي العكس من تلك ، لأن قابلية استصلاحها وقف على شخص واحد أو على القلة من الناس يعملون كمضمرين للخيول ، في حين ان معظم الناس ، اذا كان عليه معالجة الخيل والانتفاع بها ألحق بها الأذى ؟ أليست هذه الحال هي حال الخيول وجميع الحيوانات الأخرى معاً ؟ طبعاً انها لكذلك سواء اعترفت أنت وأنيتوس بذلك أم لم تعترفا . والحق انها ستكون عناية إلهية من حظ فريد في نوعه بالنسبة لشبابنا إذا كان هناك انسان واحد فقط يفسدهم ، بينما يعمل دونه جميع الآخرين على صلاحهم . ولكن ليس بي حاجة الى المزيد من القول ، فما قلته لدليل كافٍ يا ميليتوس على انك لم تهتم أبداً بالشباب وأمورهم ، ولقد أوضحت في موقفك هذا أكمل وضوح وبرهنت أسطع برهان على انك لم تولِ ابداً الموضوع أدنى اهتمام ، هذا الموضوع الذي بسببه ادعيت عليّ ودفعت بي الى المحكمة .

وهاك نقطة أخرى! فلتقل لي جاداً يا ميليتوس.. هل من الأفضل للمرء

ان يعيش في بيئة صالحة أم طالحة ؟ هيا أجب عن سؤالي هـذا كإنسان طيب ، فليس هناك من اية صعوبة في الاجابة عنه . أو ليس للنـاس الاشرار سيء الأثر في اولئك الذين تكون على اوثق اتصال بهم ، وان للنـاس الأخيار الأثر الطيب ؟

م : نعم ، ان الأمر كذلك .

س : هل هناك من امرىء يفضل لرفاقه ان يلحقوا به الضرر على ان يوفروا له النفع ؟ هيا أجب ايها الرجل الطيب عن سؤالي ، ان القانون يأمرك بالإجابة . أقول هل هناك من امرىء يفضل لنفسه الأذى على النفع ؟

م : طبعاً لا يوجد ابداً مثل ذاك المرء .

س : حسناً إذن عندما تدفع بي للمثول أمام هذه المحكمة بتهمة افساد الشبيبة وجعل اخلاقهم أسوأ مما كانت عليه ، فهل تعنيانني اقوم بهذا العمل متعمداً أو غير متعمد ؟

م : انك تقوم به متعمداً .

س : ولماذا يا ميليتوس ؟ هل انت في سنك هـذه أوسع بكثير حكمـة مما أنا في عمري هذا ؟ ولقد سبق لك ان اكتشفت ان للناس الأشرار دائماً أثراً سيئاً ، وان للأخيار دائماً أثراً طيباً في أقرب من لهم من جيران ، وهـل أنا جاهل الى ذاك الحد بحيث لا أستطيع ان اتحقق من ان بإفسادي لخلق احد رفاقي يجب ان أتوقع منه ان يلحق بي بعض أذى ؟ لأنه ليس هناك من شيء آخر غير ما ذكرت يجعلني اقترف هذه الجريمة الخطيرة عامداً متعمداً . كلا يا ميليتوس إنني لا اعتقد بما تقول ، كما لا اعتقد بان هناك أي انسان يشاركك رأيك هذا ، فأنا إمـا ألا يكون لي تأثير سيء ، أو اذا كان لي مثل ذاك التأثير فانني لا اكون عامده ، أو متعمده ،

وفي كلتا الحالين يكون اتهامك هذا لي زوراً وبهتاناً . وحتى لو كان لي تأثير ضار وغير متعمد ، فليس الاجراء الصحيح في مثل هذه الجنح غير الارادية ان تدفع بالظنين الى المحكمة ، بل عليك ان تنتحي به جانباً ، وان توبخه وتهديه ، ذلك لأنه اذا تفتحت عيناي على ما أنا فاعل من شر ، فعندئذ سأتوقف عن فعل ما لا أتعمد فعله . ولكنك تجنبت يا ميليتوس فيما مضى صحبتي ورفضت تنويري ، وها انك اليوم تقاضيني امام هـذه المحكمة ، التي هي مكان مخصص لمن هم بحاجة الى عقاب لا لمن هم بحاجة الى إنارة أو تنوير .

والآن فانه لواضح ايها السادة كل الوضوح ان ميليتوس ، كما قلت سابقاً ، لم يبد أبداً أي اهتمام بهذا الموضوع . وعلى كل حال فانني أطلب اليـك يا ميليتوس ان تقول لي ما الذي تعنيه باتهامـك إياي بانني أفسد عقول الشباب ؟ لا شك ان ما ورد في ادعائك يوضح انـك تتهمني بتدريس الشبيبة وحضهم على الايمان بآلهة جديدة بدلاً من الآلهة التي تعترف بهـا الدولة . أليست هذه هي تعاليمي التي تزعم بان لها الأثر الضار بالاخلاق ؟

م : تماماً هذا ما اقوله .

س : إذن فانني أناشدك يا ميليتوس باسماء بعض الآلهة التي تتحدث عنها ان تشرح لي وللمحلفين ما تعنيه ، بصورة أوضح قليـلاً ، ذلك لأنني حتى الآن لم أستطع إدراك مبتغاك . هل تعني انني أعلم الناس وأحضهم على الايمان ببعض الآلهـة ، (الأمر الذي يعني انني أنا بالذات أؤمن بالآلهة ، ولذلك فلست ملحداً الالحاد التام ، وهكذا فلست مذنباً في هذا الأمر) ، وهل تعني انني أحضهم على الايمان بآلهة تختلف عن الآلهة التي تعترف بها الدولة ، وهكذا يكون اتهامك مستنداً الى الواقعة المقررة بأن الآلهة التي أحض على الايمان بها مختلفة عن تلك ؟ أو هل تزعم بأنني لا أؤمن بالآلهة إطلاقاً وانني أعلم الناس وأطالبهم بالاقتداء بي ؟

م : نعم انك جاحد بالآلهة جميعاً .

س : انك تدهشني يا ميليتوس ، فهل تعني انني لا أؤمن بأن الشمس والقمر هما إلهان ، الامر الذي يؤمن به الجنس البشري قاطبة ؟

م : انـه بالتأكيد ايهـا السادة المحلفون لا يؤمن بذلك ، لأنـه يقول بأن الشمس هي حجر ، وان القمر كتلة من التراب .

س : هل يخيل اليك ياعزيزي ميليتوس انك تدعي على اناكساغوراس وتقاضيه ؟ وهل بلغ استخفافك بهؤلاء السادة المحلفين هذا الحد ، بحيث جعلك تعتقد بانهم أميون لا يعرفون أن كتـابات أناكساغوراس الكلازوميني مليئة بنظريات كتلك ؟ وهل تريد القول بان الشبيبة تتلقى مني هذه النظريات في حين ان بمقدورهم ان يبتاعوها من السوق بثلن واحد ، وهكذا يهزأون بسقراط اذا نسب تلك النظريات لنفسه قائلين بإننا لم نرَ طيلة حياتنا غبياً احمق كهذا ، قل لي صادقاً يا ميليتوس هل هذا رأيك فيّ ؟ وهل لا أؤمن باي إله ؟

م : كلا انك لا تؤمن اطلاقاً ولا حتى اقل ايمان .

س : ليس ما تقوله مقنعاً بتاتاً ، وانت بذاتك كما اعتقد غير قانع به . وان هذا الانسان ايها السادة هو كما أرى مغتر أناني ، وقد ادعى عليّ فقط بسبب ما يعصف بين جوانحه من عدوان فاجر وحب التسلط الذاتي . ويبدو انه يُجري لي نوعاً من امتحان للذكاء قائلا لنفسه : « هل سيدرك سقراط المعصوم عن الخطأ انني أناقض نفسي بنفسي حباً بالتسلية والتلهي ، اوهل سأنجح في التغرير به وبجمهور الحاضرين ؟» والحق يقال يبدو لي انه يناقض نفسه بنفسه في هذه الدعوى التي يمكن لها ان تكون تماماً على الشكل التالي : « ان سقراط مذنب في إلحاده بالآلهة لكنه مؤمن بالآلهة». وهذا القول هو مجرد قحة وثرثرة لسان .

ايها السادة ! انني ارغب اليكم في ان تتقصوا معي التسلسل العقلاني الذي افضى به الى الاستنتاج الآنف الذكر . اما انت يا ميليتوس فأرجوك ان تتفضل علينا بالاجابة عن اسئلتي . كما ارجو منكم جميعاً التكرم بتذكر ما طلبته منكم في بداية المرافعة ، وهو ألا تقاطعوني إذا ما نهجت في مرافعتي نهجي المألوف .

هل يوجد هناك ، يا ميليتوس ، أي امرىء في العالم يؤمن بالفاعليات البشرية ولا يؤمن بالكائنات البشرية ؟ ارجوكم ايها السادة ان ترغموه على الاجابة عن سؤالي هذا ، وان توقفوه عن ابداء الاعتراضات المتتالية . هل يوجد هناك من انسان لا يؤمن بوجود الخيول لكنه يؤمن بفاعليتها ؟ او هل هناك من امرىء لا يؤمن بوجود الموسيقيين لكنه يؤمن بفاعليات موسيقية ؟ كلا ايها الصديق العزيز لا يوجد احد في العالم يؤمن بما ذكرت. أما اذا كنت لا تريد الاجابة ، فها انني قد قدمتها اليك ، والى هؤلاء السادة كذلك ، لكن يتوجب عليك ان تجيب عن السؤال التالي :

هل هناك من امرىء يؤمن بفاعليات خارقة للطبيعة ولا يؤمن بكائنات خارقة لها ؟

م : كلا .

س : يا لكرمك ولطفك ان تجيب هذه الاجابة العارية تحت ارغام المحكمة واكراهها لك ! والآن هل تزعم بانني أؤمن وأعلم الناس وأحضهم على الايمان بفاعليات خارقة للطبيعة ؟ والامر سيان سواء أكانت هذه قديمة أم جديدة ، فالحقيقة الباقية هي انني اؤمن بها وفقاً لإقرارك ، والحق انك قد أقسمت بخشوع على اقرارك ذاك ، وأديته مشفوعاً بالقسم . ولكن إذا كنت اؤمن بفاعليات خارقة للطبيعة فينبع حتماً من هذا الايمان انني اؤمن ايضاً بكائنات خارقة لها . أليس كذلك ؟ انه لكذلك وانا

اجيب مفترضاً موافقتك على ما ابديت نظراً لأنك ترفض الاجابة .

ومن ثم ألا نعتبر ان الكائنات الخارقة للطبيعة هي آلهة او ابناء آلهة؟

م : طبعاً نعتبر ذلك .

س : إذن فاذا كنت اعتقد بكائنات خارقة للطبيعة ، كما تؤكد انت ذلك ، واذا كانت هذه الكائنات آلهة وفقاً لأي معنى كان ، فعندئذ سنتوصل جميعاً الى الاستنتاج الذي ذكرته لتوي عندما قلت بانك تمتحن ذكائي حباً بالتلهي والتسلية ، وذلك من حيث انك تقر بادىء ذي بدء ، بانني لا اؤمن بالآلهة ، ومن ثم تعود لتقول بانني اؤمن بها ، بالنظر لانني اؤمن بكائنات خارقة للطبيعة . ومن جهة اخرى اذا كانت هذه الكائنات الخارقة للطبيعة ابناء سفاح او زنا للآلهة ، من حيث كون امهاتهم حوريات او غيرهن ، كما يقدرون ، فهل يوجد في العالم أي امرىء يؤمن بأبناء الآلهة ولا يؤمن بالآلهة ذواتها ؟ ان هذا الامر سيكون منافياً للعقل حتى السخرية وهو في ذلك كالايمان بوجود صغار الخيل والحمير وبعدم وجود كبارها .

والآن يا ميليتوس فليس لك معدى عن الاستنتاج بأنك قد اتهمتني هذا الاتهام لتمحن ذكائي ، او انه صدر عنك ليأسك من وجود تهمة حقيقية تدعي بها عليّ . اما فيما يتعلق بأملك باقناع أي انسان حي حتى ولو كان ذا ذكاء سطحي ، بان الايمان بفاعليات إلهية خارقة للطبيعة لا يعني الايمان بوجود كائنات إلهية وخارقة للطبيعة ، والعكس بالعكس ، فان هذا الامل خارج نطاق كل امكانية .

والحق ايها السادة ، انني لا أشعر بحاجة الى طويل مرافعة لدحض اتهام ميليتوس ، فما قلته حتى الآن كاف وواف . ولكنكم تعرفون حق المعرفة حقيقة ما قلته في جزء متقدم من مرافعتي ، إذ قلت بانني قد سببت لنفسي العديد من العداوات المريرة ، وهذا الواقع هو الذي سينزل بي الهلاك ،

وذلك اذا كان هناك من شيء يحتم هلاكي ، فليس ميليتوس ولا آنيتوس ، ولكن إغتياب وغيرة جمع غفير من الشعب ونهشه إياي هو الذي سيقضي علي . فأمثال هؤلاء الناس كانوا قدراً قتالاً مهلكاً للعدد العديد من الابرياء ، وهم سيستمرون كذلك ، وليس لدي أي أمل بانهم سيوفرونني او يتوقفون عندي . ولكن قد يسأل احدهم قائلاً : « ألا تشعر بأي ندم يا سقراط على اتباعك نهجاً في الحياة يعرضك للتهلكة ولعقوبة الموت ؟ » فمثل هذا المرء أجيبه : « انك لمخطىء يا صديقي اذا اعتقدت بانه ينبغي على اي امرىء له بعض قيمة او أية ذاتية ، ان يمضي حياته وازناً فرص الحياة والموت . فعلى الانسان ان يتأمل في أمر واحد فقط حين قيامه بأي عمل او فعل ، ألا وهو ان كان يأتيه صالحاً او طالحاً ، ومايقوم به كإنسان خير او شرير ، ولذا أجيب كذلك بان الابطال الذين سقطوا امام طروادة ، ولا سيما نجل تيتيس ، هم في نظرك مخلوقات بائسة . فذاك البطل قد بلغ استخفافه بالخطر — حينما قارن بينه وبين العار — مبلغاً جعله عندما حذرته أمه الآلهة ، وهي تراه صادق العزم على قتل هكتور ، قائلة بما معناه : « انك يا بني اذا قتلت هكتور ثأراً لمقتل صديقك باتروكلوس فستموت انت نفسك :

« وعقب مقتل هكتور مباشرة تحين منيتك » . أقول لقد جعله حين سماعه تحذير أمه يستخف بموته وبالخطر ، إذ كان خوفه من حياة يلطخها الخزي والعار ، ومن تقاعسه عن اخذ الثأر لصديقه أشد بكثير من خوفه الموت . وهكذا سمعته يقول : « فلأمت فوراً وحالما أثأر من النذل الشرير ، فالموت لأفضل لدي من البقاء هنا الى جانب السفن ذوات القرون ، واغدو محطاً للسخرية وعبئاً ثقيلاً على الارض . » فهل تعتقد ياصديقي بان نجل تيتيس هذا ، قد راودته أية فكرة عن الخطر والموت عندما اتخذ قراره ذاك ؟

ان الواقع الذي لا مرية فيه ايها السادة هو هذا : حيثما يتخذ المرء موقفه ،

وسواءً اتخذه لأنه رأى فيه افضل موقف أم تمركز فيه إطاعة لأوامر ضميره ، فيتوجب عليه كما اعتقد ان يصمد فيه مواجهاً الخطر ، وعليه ألا يرهب الموت أو سواه أشد من رهبته الخزي والعار .

أما والحالة هذه ، فانه كان سيتبدى التناقض المرعب من جانبي ، لو انني ايها السادة عندما حدد لي الضباط الموقع الذي اخترتموه لقيادتي مركزي في خط القتال في بوتيديا وامفبولس ودليوم ، حيث صمدت كجميع الآخرين في وجه الموت ، ولو انني عندما دعاني الله كما اعتقد وأؤمن الى ممارسة واجب الحياة الفلسفية وفحص نفسي والآخرين ، قمت ففررت من مركزي خشية الموت او اي خطر آخر ، فهذا الفرار كان بالفعل سيكون مرعباً ، وكان من العدل لو حدث ان احاكم بتهم الالحاد والتمرد على النبوءة والخوف من الموت والاعتقاد بأنني حكيم وانا ليس كذلك . لهذا فلتسمحوا لي ايها السادة بأن اقول لكم امراً واحداً ، وهو ان يكن امرؤ يخشى الموت ويرهبه، فهو اسلوب آخر من اعتقاده بان ذلك ضرب من الحكمة ، وهو في واقع الحال ليس كذلك انه بمثابة الاعتقاد بانه يعرف ما لا يعرفه . ففيما يتعلق بالموت لا يوجد اي انسان يعرف ما اذا لم يكن الموت اعظم بركة يمكن لها ان تحل على الانسان ، لكن الناس تخشاه وترهبه كما لو انهم كانوا واثقين من انه أشد الشرور واكثرها وبالاً ، ان هذه الجهالة التي تعتقد بانها تعرف ما لا تعرفه هي على وجه التأكيد اشد جهالة ، ذنباً واجراماً . هذا ايها السادة ما اعتبره درجة فضلي وطبيعته على بقية الجنس البشري . واذا كان هناك من أمر ادعي فيه بانني اوسع حكمة به من جاري فهو هذا :

لما كنت لا امتلك أية معرفة عما هو آت بعد الموت ، فأدرك بالتالي انني لا امتلكه ، ولكنني اعرف حق المعرفة انك ان تظلم وان تتمرد على رئيسك ، سواء أكان الله او الانسان ، لهو شر وخزي وعار ، ولذا فانني لن اشعر ابداً بالكراهية والخوف من شيء ما كل ما اعرفه عنه انه قد يكون

فعلاً خيراً وبركة ، اشد من كراهيتي وخوفي من تلك الشرور التي اعرف بأنها شرور .

والآن لنفترض انكم برأتموني واطلقتم سراحي ولم تكترثوا لأنيتوس الذي قال لكم إنه كان من المتوجب ألا أحاكم وأمثل امامكم او يجب ان أدان بالموت وأعدم – ما دمت قد مثلت امامكم – وذلك لانني على حد قوله ، اذا نجوت فستفسد فوراً اخلاق ابنائكم فساداً كلياً لممارستهم تعاليم سقراط . ولنفترض ايها السادة انه بالرغم من هذا القول قلتم لي : « اننا يا سقراط لن نأبه هذه المرة باقوال انيتوس وسنطلق سراحك ولكننا سنشترط عليك شرطاً واحداً لا غير وهو ان تكف عن قتل وقتك في هذا الاستطلاع والتفتيش وان تقلع عن التفلسف والفلسفة . ونحن اذا ما أمسكنا بك وانت تنهج ما نهيناك عنه فسنعدمك . نعم لنفترض انكم عرضتم عليّ هذه الشروط لاطلاق سراحي ، فعندئذ يتوجب عليّ ان أجيبكم قائلا : « ايها السادة انني خادمكم الشكور والمخلص الامين ، ولكنني أدين بطاعة الله أقوى واشد من طاعتي اياكم ، وما دام في عرق ينبض و نَفَس يتردد وتمتع بملكاتي العقلية ، فلن اتوقف البتة عن ممارسة الفلسفة وعن نصحكم وشرح الحقيقة والحق لكل امرىء تلقي به الصدفة في طريقي . وسأظل مسترسلا وقائلا باسلوبي المعهود : « يا صديقي العزيز انك اثيني وتنتمي الى مدينة هي اعظم مدن العالم واشهرها قوة وحكمة . ألا تخجل من نفسك إذ تركز اهتمامك على كسب اكبر مقدار ممكن من المال ، وكذلك من الشهرة والمجد ، بينما لا تهتم اطلاقاً بالحق والفهم وكمال نفسك ؟ » واذا وجدت أياً منكم يعارضني في قولي هذا ويقر معترفاً باهتمامه الشديد بمتاع الدنيا هذه ، فلن أخلي سبيله فوراً ولن اتركه ، وسأسأله وافحصه واستجوبه ، واذا بدا لي انه رغم اعترافه الصريح بانه لم يتقدم أية خطوة فعلية في طريق الخير ، فسأوبخه آنذاك على إهماله لماهوهام اشد أهمية وأسماها وتركيز اهتمامه بالتفاهات والحقارة . هذا ما سأفعله مع كل انسان أصادفه سواء أكان شاباً ام شيخاً ،

أجنبياً أم وطنياً ، ولكنني سأنهج نهجي هذا بصورة خاصة معكم يا مواطني ، وذلك لأنكم اقرب الي نسباً من غيركم . هذا – واقول لكم مؤكداً – هو ما يأمرني به الله. وانا لراسخ القناعة بأن مدينتكم هذه لم تلق ابداً من الخير اوسع من خدمتي لله ، فأنا اسجي كل وقتي جوالاً متنقلاً محاولاً اقناعكم ، شباباً وشيوخاً ، بألا تجعلوا اجسادكم وثرواتكم ، بل صلاح نفوسكم ، شغلكم الشاغل ، وسأجهر بالقول وانا أجول : « بان الثروة لا تجلب الصلاح ، بل الصلاح يعود بالثروة وبكل بركة اخرى على الفرد والدولة معاً » . والآن فاذا كنت افسد الشبيبة بهذه الرسالة ، فستبدو هذه الرسالة مؤذية ضارة ، ولكن اذا كان هناك من امرىء يقول بان رسالتي تختلف عما ذكرت ، فمثل ذاك المرء يكون يهرف بما لا يعرف . وهكذا ستسمعونني اقول ايها السادة : « بمقدوركم ان تفعلوا ما تحبون وترغبون ، سواء اخذتم بما قاله انيتوس أم لم تأخذوا ، وسواء برأتم ساحتي ام لم تفعلوا ، فأنتم تعلمون حق العلم بأنني لن ابدل مسلكي ، ولن أغيره حتى ولو توجب علي ان أموت مئة مرة . »

أيها السادة ارجوكم النظام ! ولتتذكروا طلبي بأن تستمعوا إليّ دون ان تقاطعوني ، وعلاوة على ذلك فانني أعتقد جازماً بأن مصلحتكم لا بل فائدتكم تستوجبكم الاصغاء إليّ . وأنا سأدلي اليكم بأمر آخر قد يستثير عاصفة من الاعتراض والاحتجاج ، ولكنني ارجوكم حار الرجاء ان تكبحوا من جماح نفوسكم . فأنا أرغب في التوكيد لكم انه اذا كنت ما أنا أدعيه وازعمه لنفسي ، فإن حكمكم عليّ بالاعدام سيلحق بكم من الضرر أشد بكثير مما يلحقه بي . فليس بمقدور ميليتوس ولا آنيتوس ان يلحقا بي أي أذى ، ذلك لأنهما لا يمتلكان من القوة ما يكفي لايذائي ، ولأنني أعتقد راسخ الاعتقاد بأن شريعة الله لا تسمح إطلاقاً لرجل سيء بإيذاء رجل أفضل منه . ولا شك في انه باستطاعة المدعي عليّ ان يقتلني او ان ينفيني او ان يحرمني من حقوقي المدنية ، ولكن اذا كان هذا المدعي يعتقد ، (وأخاله والكثيرون يعتقدون) ، بأن هذه

العقوبات نوائب شديدة ، فأنا أقول له ولهم بأنني لا أعتقد كما يعتقدون بذلك ، وإنما أعتقد بأن ما يفعله الآن وما يحاوله للحكم بالاعدام على إنسان بريء لهو اسوأ بكثير من تلك العقوبات . وأنا اذ أتمسك بهذا الاعتقاد ، وأدين به ، فلا أرمي من وراء ذلك إطلاقاً التضرع اليكم مسترحماً لنفسي كما قد يعتقد البعض ، وإنما اناشدكم فعلاً وواقعاً بأن ترحموا نفوسكم انتم بالذات ، وبأن توفروا عليها إساءة استعمال موهبة الله فيكم بادانتي . فانتم اذا ما نفذتم فيّ ، حكم الاعدام ، فلن تجدوا بسهولة أي امريء يحل محلي . وما سأقوله لكم لهو حرفياً صحيح ، (حتى ولو بدا مضحكاً ماجناً) ، ألا وهو ان الله قد ارسلني بصورة خاصة الى هذه المدينة ، كما لو ان مدينتكم هذه كانت حصاناً أصيلاً ضخماً، بحيث جعلته ضخامة حجمه مترهلاً كسولاً ، وهو لذلك بمسيس الحاجة الى منبه او منعش ، بحاجة الى ذبابة تعمل فيه وخزاً ولسعاً . ويبدو لي ان الله قد خصني بهذه المدينة كي أقوم بمهمة ذبابة كتلك ، وهكذا وجدتموني أمضي طيلة كل يوم من حياتي اتنقل من موضع الى آخر ، والى كل مكان ، واسير موقظاً ومقنعاً ومؤنباً كل واحد منكم . وانكم أيها السادة لن تجدوا بيسر وسهولة إنساناً آخر مثلي ، ولذاك — فان سألتموني النصح والارشاد — أقول لكم مخلصاً فلتوفروا حياتي ولتضنوا بها . لكنني أعتقد ، على كل حال ، بأنكم قبل ان تستفيقوا من سباتكم ، ستأخذون ، في ساعة من برم وازعجاج ، بنصيحة انيتوس ، وستقضون عليّ بضربة واحدة ، ومن ثم ستسترسلون في نومكم حتى آخر يوم في حياتكم ، وذلك ما لم ترسل عناية الله اليكم بأحدهم ليحل محلي .

أيها السادة ! اذا كنتم تشكون فيما اذا كنت حقاً ذاك الشخص الذي ارسل به الله الى هذه المدينة كهبة منه ومنحة ، فباستطاعكم إذ ذاك ان تقفوا انفسكم بالتمعن في هذا الأمر على الأضواء التالية : هل يبدو طبيعياً كوني قد أهملت جميع شؤوني الخاصة واحتملت الاهانة بل الإذلال الناجم عن السماح لنفسي

طيلة تلك الاعوم ، باهمال شؤون عائلتي ، واشغلت ذاتي كلياً باموركم ، فكنت اتفقدكم كوالد او كأخ كبير ، واجتمع الى كلٍ منكم على حدة وألح بالطلب اليكم ان تركزوا افكاركم على الطيبة والصلاح ؟ ولو انني كنت احصل على أية متعة من عملي ذاك ، او أتلقى أي أجر عن نصائحي ، فقد يتوفر لسلوكي ذاك بعض شرح او تفسير ، ولكن ، كما بمقدوركم انتم بالذات ان تروا أنه على الرغم من ان المدعين عليّ يتهمونني دون حياء او خجل بكل انواع التهم الأخرى ، في حين لا يوجد أيٌ منهم قد بلغت بـه الوقاحة مبلغاً جعـله يزعم في شهادة مشفوعة بالقسم بأنني قد تلقيت او طلبت أجراً عن عملي ذاك ، والشاهد على صحة ما اقول هو شاهد مقنع كل الاقناع – انه فقري . قد يبدو من الغرابة بمكان ان ينبغي عليّ التجوال لتقديم النصح بهذا الاسلوب ولاشغال نفسي بشؤون الناس الخاصة ، وألا أتجرأ البتة عـلى مخاطبتكم كجمهور وشعب بأكمله ، وألا اقوم باسداء النصح في أمور الدولة وشؤونها . ان سبب إحجامي عن هـذه الاعمال ، هو ما سبق لكم مراراً ان سمعتموه مني في مناسبات أخرى كثيرة غير هذه : انه يتمثل في كوني خاضعاً لشعور إلهي او خارق للطبيعة ، الأمر الذي وجده ميليتوس في شهادته جديراً بالتهكم والسخرية . لقد بدأت أحس بهـذا الشعور في طفولتي المبكرة – وكان نوعاً من صوت يخاطبني ، وعندمـا أسمعه يقنعني دائماً بالتخلي عما كنت افكر بعمله ولا يستحثني ابداً عليه . وهذا هو السبب بعينه الذي يمنعني من المشاركة في الشؤون العامة ، الأمر الذي أراه طيباً للغاية ، لأنني اعرف حق المعرفة ، وعلى وجه التأكيد ، كما تعرفون ذلك أيهـا السادة أنـني لو حاولت ، منـذ طويل زمن ، ان اشغل نفسي في السياسة ، لكنت قد هلكت دون ان اقدم لكم ولي أي نفع . وارجوكم ألا تغضبوا اذا قلت لكم الحقيقة . فأنا واثق من انه لا يوجد أي إنسان على وجه الارض يستطيع اذا مـا قاومكم بصورة واعيـة او تصدى لأيـة ديمقراطية منظمة ، ومنع جهاراً نهاراً وقوع العديد من الشرور والاعمال غير المشروعة في دولة ينتمي هو بالذات اليهـا ، يستطيع النجاة بحياته . ولذلك فـان البطـل

الصادق العزم على الدفاع عن العدالة ، اذا ما أراد ان تكتب له الحياة ، ولو لفترة قصيرة من الزمن ، توجب عليه ان يحصر نشاطه داخل نطاق الحياة الخاصة ، وان يترك السياسة وشأنها .

أيها السادة ! سأقدم اليكم البراهين الدامغة على صحة ما سبق ان ابديته ، ولن اقدم اليكم نظريات بل اشياء بمستطاعكم ادراكها بصورة اوضح وافضل ، ألا وهي وقائع ، والآن فلتعيروني اسماعكم وأنا أصف لكم تجاربي الواقعية ، وذلك كي تتأكدوا من ان الخوف من الموت لن يجعلني ابداً اخضع ، دون وجه حق ، لأية سلطة من السلطات ، بل سأرفض ذلك ولو كان في رفضه هلاكي . وان ما سأقصه عليكم قد يكون رواية مألوفاً سماعها في المحاكم ، لكنها رواية صحيحة .

ان الوظيفة الوحيدة التي شغلتها – أيها السادة – كانت عندما انتخبتموني عضواً في الجمعية العامة .وحدث ان مجموعتنا كانت تقوم بمهام السلطة التنفيذية ، حينما قررتم ان تقدموا القواد العشرة – الذين فشلوا في انقاذ اولئك الذين فقدوا في الاشتباك البحري – الى المحاكمة بصورة جماعية ، الأمر الذي لم يكن شرعياً كما اعترفتم بذلك فيما بعد ولقد كنت أنا في ذلك الحين العضو الوحيد من السلطة التنفيذية ، الذي أصر كل الاصرار على وجوب الامتناع عن أي عمل منافٍ للدستور ، والذي صوت معارضاً ذلك الاقتراح ، وعلى الرغم من ان قادتكم كانوا يومذاك على وشك اتهامي والقاء القبض عليّ ، وكنتم انتم بذواتكم تستحثونهم بأعلى اصواتكم على تنفيذ ذلك ، ومع هذا وجدت ان واجبي يقتضيني مواجهة مصيري دفاعاً عن العدالة والقانون ، بدلاً من مساندتكم في قراركم الخاطىء ، مساندة ناجمة عن خوفي من السجن او الموت .

لقد حدثت هذه الواقعة عندما كان الحزب الديمقراطي يحكم اثينا ، وحينما تولى حزب الاوليغاركية مقاليد السلطة ، استدعاني الطغاة الثلاثون وأربعة

آخرون الى الغرفة المستديرة ، وطلبوا الينا ان نذهب ونحضر ليون السلاميسي من منزله ليصار الى تنفيذ الاعدام فيه ، ومن البدهي ان هذه الحادثة هي واحدة من الحوادث الكثيرة التي أصدروا فيها مثل هذا الأمر ، لأن غاية اولئك الطغاة كانت ترمي الى توريط اكبر عدد ممكن من الناس في شرورهم . وفي هذه الحادثة ايضاً أوضحت ، بالافعال لا بالاقوال، ان الموت لا يهمني بتاتاً ، (ذلك اذا لم يكن هذا التعبير بالغاً الغاية في شدته) ، وان ما يهمني كل الاهمية ، هو ألا أقوم بأي عمل غير مشروع او شرير . ومع كل ما توفر لتلك الحكومة من جبروت وسلطان ، فلم ترغبني حتى القيام بعمل غير مشروع، وعندما خرجنا من الغرفة المستديرة ، ذهب الاربعة الآخرون الى سلاميس والقوا القبض على ليون ، أما أنا فذهبت الى منزلي . ولا شك ان تلك الحكومة كانت ستعدمني لفعلتي هذه ، لو لم تسقط بعد تلك الحادثة بوقت جد قصير . وان هناك عدداً غفيراً من الناس يشهد على صحة أقوالي هذه .

أيها السادة ! هل تعتقدون بأنه كان سيكتب لي من الاجل ما بلغته حتى اليوم من العمر ، لو انني خضت في ميدان الحياة العامة ، وكافحت في هذا الميدان كرجل شريف مدافعاً دائماً عن قضايا العدالة والحق ، ووضعت ، وأنا بكامل وعيي ، الحق والعدل فوق كل الاعتبارات ؟ كلا أيها السادة ، ما كان ليتحقق لي ذلك البتة ، كما وانه ليس بمتناول أي امرىء آخر .

وانكم لتجدون ايها السادة انني كنت طيلة حياتي مخلصاً صادقاً في كل مهمة عامة عهدوا بها إليّ ، وكذلك كنت ايضاً في جميع اعمالي ومعاملاتي الشخصية. ولم يسبق لي البتة ان أيدت او استصوبت ، تحيزاً مني لأي شخص، بما في ذلك اولئك الذين يسمونهم – حقداً وضغنا – تلامذتي ، اي عمل او فعل لا يتفق ومبادىء الحق والعدالة . كما لم يسبق لي البتة ان ظهرت بمظهر المعلم لأي انسان ، ولكن اذا كان يوجد هناك أي انسان ، سواء أكان شاباً أم متقدماً في العمر ، شديد الرغبة في سماع احاديثي وتفنيد رسالتي ، فلن افوت عليه ابداً

هذه الفرصة ، كما لن أتقاضى منه أي أجر على حديثي معه ، ولن أرفض الحديث الى اي انسان ، فأنا مستعد كل الاستعداد للإجابة عن اسئلة الاغنياء والفقراء على حد سواء ، كما انني مستعد بالمثل للحديث الى اي شخص يفضل الاصغاء إليّ والاجابة عن اسئلتي . واذا كان هناك اي من هؤلاء الناس يغدو فيما بعد مواطناً صالحاً او طالحاً ، فعندئذ لا يمكن لكم عدلاً ان تعتبروني مسؤولاً عن ذلك، فأنا لم أعد بتاتاً ولم اقدم إطلاقاً لأي امرىء أية تعاليم ،واذا كان هناك من يزعم بانه قد سمع مني أي أمر في السر ، ما هو غير مشاع ومذاع للجميع ، فبمستطاعكم آنذاك ان تتأكدوا تماماً أيها السادة من ان ما يقوله زور وبهتان .

ولكن ما الذي يجعل الناس يتمتعون بقضاء جزء طويل من الوقت في رفقتي ؟ لقد سمعتم جواب هذا السؤال ، نعم لقد أجبتكم عنه بصراحة تامة . ان سبب ذلك يعود لكون اولئك الناس يتمتعون بسماعهم لاستجوابي اولئك الذين يعتقدون بنفوسهم الحكمة ، بينما هم ليسوا كذلك ، ولهذا الأمر جانبه الممتع الماتع . وأنا يا سادتي أقوم بهذا الواجب انصياعاً مني لأوامر الله ، التي صدرت إليّ في النبؤات والاحلام كما قلت ، وبكل طريقة واسلوب آخر سبق للعناية الإلهية ان ألزمت به أي إنسان كواجب . وهذا لقول صحيح أيها السادة ، ومن السهل التثبت من صحته . فلو كان صحيحاً انني أقوم بافساد بعض الشبيبة ، وانني قد أفلحت قبل ذلك في افساد الآخرين ، ولو كان صحيحاً وواقعاً ان البعض من الفئة الثانية ، بالنظر لكونه غدا الآن متقدماً في العمر ، قد اكتشف انني قد قدمت اليه النصائح الشريرة حينما كان شاباً يافعاً ، فعندئذ يتوجب على هؤلاء ان يتقدموا الآن باتهامي وبالمطالبة بمعاقبتي ، أما إذا كان هؤلاء لا يريدون القيام بما طلبته لتوي بذواتهم ، فلا شك انكم أيها السادة لتتوقعون من بعض ذويهم – آبائهم واخوانهم وبعض أقاربهم القريبين – ان يتذكروا الآن هذا الأمر ، وذلك لو كنت قد ألحقت أي أذى بلحمهم ودمهم . وأرى ان الكثيرين من هؤلاء قد وجد طريقه الى قاعة المحكمة ، وها هو أول هؤلاء كريتو ! فلتتقدم يا معاصري ويا جاري القريب ، ويا والد هذا الشاب

كريتوبولوس ، وهاكم ليسينياس السفتوسي ، والد اشينيس الواقف هناك ،وثالثاً هوذا انطيفون السفيسي والد ابيجينيس . وبالاضافة الى هؤلاء ، هاكم هذا الحشد من الناس الذين كان أخوانهم أعضاءً في دائرتنا :

هوذا نيكوستراتوس بن ثيوزوتيديس وشقيق ثيودوتوس - ولكن ثيودوتوس قد توفي ، ولذا لا يستطيع شقيقه الاستشهاد به - وهاكم باراليوس ابن ديمودوكوس ، فشقيقه يدعى ثياجيس . وهوذا ادمانتوس نجل اريستون ، حيث أرى أخاه افلاطون يقف هناك ، وهاكم إيانتودوروس ، فهوذا شقيقه ابولودوروس يقف الى جانبي هنا . وفضلاً عن هؤلاء ، فبمستطاعي ان أعدد أسماء الكثيرين من الذين كان بالتأكيد من الواجب على ميليتوس ان يستدعيهم كشهود خلال مرافعته . فاذا كان قد سها عن القيام باستدعائهم والاستشهاد بهم، فليفعل ذلك الآن ، وأنا مستعد كل الاستعداد لافساح المجال له ، فلتطلبوا اليه أيها السادة ولتسألوه ما اذا كانت مثل هذه الادلة متوفرة لديه . انكم ستجدون العكس من ذلك ، وسترون ان جميع هؤلاء مستعدون لمساعدتي - أنا العبقرية الشريرة ومفسد أقرب أقربائهم وأعز أحبابهم ، كما يزعم ميليتوس وآنيتوس . قد تتوافر لضحايا تأثيري المفسد الاعذار في مساعدتي ، ولكن أي عذر يتوفر لاقربائهم غير المفسدين ، وقد بلغوا سن النضوج من العمر ، لمساعدتي وتقديم يد العون اليّ ما عدا العذر الحق والسديد في كونهم يعرفون كل المعرفة أن ميليتوس كاذب وأنا صادق فيما أقول ؟

والآن أيها السادة ! فقد يكمن هنا جوهر ما بمقدوري قوله دفاعاً عن نفسي . قد يذكر أحدكم متذكراً دعوى اقيمت عليه ، وبتهمة أدنى من التهمة المنسوبة اليّ عقوبة وخطراً ، فيغضب إذ يتذكر انه في تلك التهمة قد توسل مسترحماً المحلفين بأنهار من الدمع ومحضراً أطفاله الصغار الى المحكمة والعديد من أقاربه وأصدقائه كي يبعث في قلوب المحلفين أوسع مبلغ من الرأفة والعطف، أما أنا فعلى العكس تماماً ، ولا أعزم اطلاقاً القيام بأي نوع من ذاك القبيل بالرغم

من انه – كما يبدو – لي يحدق أشد أنواع المخاطر والخطر . فأحدكم وهو يتأمل في موقفي هذا ، قد يتحيز ضدي ويتحامل عليّ ، وقد يدفعه الغضب مستثاراً بتأملاته هذه ، الى الحكم بإدانتي . فاذا كان يوجد أيها السادة المحلفون أحد منكم مفطور على هذا الأمر – وهو ما لا أتوقعه ، ولكن من الممكن ان يوجد – فلي ان أعتقد آنذاك بأن لي كل مبرر لأخاطبه قائلاً : فلتسمع يا صديقي العزيز، ان لي بالطبع بعضاً من الاقارب والاقرباء. وأقول مستشهداً بكلمات هوميروس، حق أنا لم اتحدر من شجرة بلوط او من صخرة ، بل من أبوين بشريين ولي بحكم ذلك أقرباء ، ولي كذلك أيها السادة أبناء ثلاثة ، وأحد هؤلاء شاب تقريباً ، أما الآخران فلا يزالان طفلين ، ولكن الأمر سيان لديّ ، فلن احضرهم الى هذه القاعة واسترحمكم الحكم ببراءتي .

لماذا لا أعتزم القيام بأي ضرب من هذا التصرف ؟ ليس مرد ذلك الى عناد وصلابة رأي ولا الى إحتقاري إياكم ، سواء أكنت شجاعاً في وجه الموت أم جباناً ، فليس لهذا الأمر من ارتباط او علاقة بموقفي هذا ، وذلك لأن صالحكم وصالحي وصالح الدولة ككل يستوجبني الإيمان بأنه ليس مما يتفق والعدل ان ألجأ الى أية وسيلة من تلك الوسائل ، وفي سني هذه ، وبما لي من شهرة – سواء أكانت كاذبة أم صحيحة ، وحسبي ان يكون هناك رأي سائد يقول بأن سقراط يختلف عن العاديين من الجنس البشري. والآن فلو ان من يمتازون بينكم بالحكمة او الشجاعة او أية فضيلة أخرى سلكوا مثل ذاك المسلك ، لجاء سلوكهم هذا خزياً وعاراً . لقد لاحظت مراراً ان هناك بعضاً من اولئك الناس ، يلجأون – على الرغم مما لهم من مكانة سامية – الى كل وسيلة عندما يمثلون أمام المحكمة ، مما يدل على انهم يعتقدون بأنه لأمر مفزع رهيب ان يفقدوا حياتهم ، كما لو انهم يؤمنون بأنهم خالدون اذا لم تعدموهم ! ان هذا النوع من البشر لما أرى يلطخ مدينتنا بالعار والشنار ، كما يوفر لزائرينا من الاجانب كل سبب للاعتقاد بأن أفضل نوع من الجنس البشري الأثيني ، هذا النوع الذي اختاره مواطنو أثينا ليحكمهم وليشغل المناصب الرفيعة الأخرى ، – نظراً لما يتمتع

به أفراده من فضائل وجدارة – ليس بأفضل من النساء . لذاك أقول لكم أيها السادة إنـه اذا كنتم تتمتعون بأقل احساس من كرامة ، فيتوجب عليكم ألا تهبطوا البتة الى درك هذه الأساليب والوسائل ، أما اذا فعلتم ذلك ، فستلقون بنا آنذاك بين براثن الخلاعة والفجور . بـل يتوجب عليكم العكس تماماً من ذلك ، وعليكم ان توضحوا بما لا يقبل الريب او الشك – لكل امرىء يأتي بمثل تلك المشاهد الشجوية مما يجعل من مدينتنا محطاً للتهكم والسخرية – ان مثـل تلك المشاهد تساعد على إدانته اكثر من عملها في اطلاق سراحه .

لكن ، وبغض النظر عن كل أمر يتعلق بالمظاهر ، فأنا لا أعتقد أيها السادة بأنه يحق للمرء استرحام المحلفين كي يبرىء ساحته بسلوكه مثل ذاك المسلك ، بل يتوجب عليه ان يضع بين أيديهم جميع الوقائع وان يقنعهم بالدليل والبرهان. فالمحلفون لا يجلسون في هذه القاعة ليجودوا بالعدالة كمنحة او هبة ، وإنمـا يجلسون ويصغون ليقرروا اين تكمن العدالة ، وان اليمـين التي أقسموها ، لا تعني ان يمنوا علينا بما يرون او يقدرون ، وانما تعني اصدار حكم قانوني وعادل . وبالتالي ، فانه يتوجب علينا كما يتوجب عليكم ، ألا تسمحوا لنا بأن ننمي فيكم عادة الحنث بالقسم ، فهذا الأمر سيكون إثماً وخطيئة يقترفها كلانا معاً ، لذلك فأطلب اليكم أيها السادة ألا تترقبوا مني ان أسلك إزاءكم مسلكاً اعتبره لا يليق ولا يتفق اخلاقياً وواجبي الديني ، ولا سيما عليكم ألا تـترقبوا مني ذلك ، وميليتوس يسوقني اليكم بتهمة الالحاد والزندقة . والحق انه لمن الجلي انني لو حاولت اقناعكم والسيطرة عليكم بالتوسلات والتضرعات بأن تحنثوا بقسمكم ، لكنت بذلك اعلمكم واطلبكم باحتقار الدين ، وسأكون بدفاعي هذا بالذات أتهم نفسي بأنني لا أؤمن بأي معتقد ديني ، وهذا بعيد كل البعد عن الحقيقة . فاعتقادي أشد اخلاصاً أيها السادة من اعتقاد أي واحد من هؤلاء المدعين عليّ ، وانني اترك لكم ولله ان تحكموا عليّ بمـا ترونه أفضـل حكم بالنسبة لي ولكم .

●

(يصدر المحلفون حكمهم بالإدانة ، ويقترح ميليتوس انزال عقوبة الموت بسقراط) .

ايها السادة ! هناك العدد العديد من الاسباب التي تجعلني لا أضيق صدراً بهذه النتيجة - واعني بها ادانتكم إياي - ولكن اهم سبب منها ، هو انني لم اكن غير مترقب لها . لكن ما يذهلني هو عدد الاصوات في كلا الجانبين . فلم اكن اعتقد ابداً بأنها ستكون متقاربة حتى ذاك الحد من التقارب . ولكن يتضح لي الآن انه لو انحاز ثلاثون صوتاً فقط الى الجانب الآخر لتوجبت عليكم تبرئتي . وبالرغم من ذلك فانني اشعر فيما يتعلق بجانب ميليتوس بأنكم قد برأتموني . وانا لا اشعر بهذا فقط ، وإنما لو لم يتقدم انيتوس وليكون بالادعاء عليّ ، لكان ميليتوس قد خسر جنيهاته الخمسين لأنه لم يحز على خمس عدد الأصوات .

وعلى كل حال فلنجابه الواقع ايها السادة ، فميليتوس يطالب بانزال عقوبة بي . حسناً فأي بديل للعقوبة تلك ، يتوجب علي اقتراحها عليكم ايها السادة ؟ من الواضح انها يجب ان تكون كافية . حسناً أية عقوبة استحقها وتكون جزاء وفاقاً لما اقترفته ؟

ايها السادة ! انني لم أعش ابداً الحياة العادية الهادئة . ولم اهتم اطلاقاً بالاشياء التي يهتم بها معظم الناس . فلم أدخر مالاً ولم يكن لي المنزل الهنيء المريح ، ولم اشغل اي منصب رفيع سواء أكان عسكرياً أم مدنياً ، ولم أقم بأي نشاط من جميع النشاطات الأخرى - من توظيف او تعيين الناس في المناصب او الانتماء الى الجمعيات السرية والمنظمات الحزبية - وغيرها مما يدور ويجري في مدينتنا . لقد كنت اعتقد بان في مبادئي من الصلابة أشد ما يصون حياتي من الهلاك لو مارست ذاك النوع من الفاعلية والنشاط . وهكذا فبدلاً من ان أسلك مسلكاً ما كان ليؤمن الخير لي ولكم معاً ، انطلقت اقدم لكم افرادياً ، وبصورة

شخصية ، ما اعتقدت بانه افضل خدمة ممكنة لدي . لقد حاولت ان اقنع كل فرد منكم بألا يفكر ويهتم بالفوائد العملية اشد من تفكيره واهتمامه بفوائده العقلية وسعادته الاخلاقية ، فما الذي استحقه على سلوكي هذا المسلك ؟ لا شك انني استحق بعض المكافأة وذلك اذا كان علي ان اقترح ما استحقه واقعاً وفعلاً ، وما هو اكثر من ذلك سأقترح مكافأة تليق بشخصي . حسناً فما تكونه هذه المكافأة اللائقة بانسان فقير ومحسن للناس ويطالب بتوفير اوقات الفراغ له ليزودكم بالشجاعة الاخلاقية ؟ لا اعتقد بان هناك مكافأة تليق بانسان كهذا افضل واعدل من إعالته على حساب الدولة . فمثل هذا الانسان يستحق ذلك اكثر من استحقاق أي منتصر في سباق أولمبيا ، وسواء جر عربة هذا حصان واحد او حصانان او اربعة منها . فأمثال هؤلاء يقدمون اليكم ما هو شبيه فقط بالنجاح ، أما انا فاقدم اليكم حقيقته الواقعية ، وأولئك ليسوا بحاجة الى اعالة ، أما انا فبمسيس الحاجة اليها . وهكذا فاذا كان علي ان اقترح العقوبة اللائقة بي وتتفق كل الاتفاق والعدالة ، فأنا اقترح إعالتي على نفقة الدولة .

قد يكون قولي هذا أوجد لديكم انطباعاً كالانطباع الذي اوجدته حينما تحدثت عن ايقاظ العطف بالاسترحامات الشجوية ، إذ خلفت لديكم انطباعاً شديداً عن صلابة رأيي وعنادي . ولكن ليس هذا هو واقع الحال ايها السادة ، فموقفي الحقيقي هو قناعتي الوطيدة بانني لم أُسيء لأي امرىء عامداً متعمداً ، غير انني عاجز عن اقناعكم بهذا الأمر ! وذلك لان الفترة التي توفرت لنقاشنا كانت فترة جد قصيرة . فلو انكم درجتم ، كما درج غيركم من الشعوب ، على عادة ألا تبيحوا للمتهم يوماً واحداً بل اياماً عديدة حين محاكمته بجناية ، فقد يكون بمستطاعي آنذاك اقناعكم ، ولكن ليس من السهل في الظروف الراهنة دحض مثل هذه المزاعم الخطيرة خلال فترة قصيرة كهذه من الزمن . وهكذا ونظراً لقناعتي بأنني لم الحق اي ضرر بأي انسان ، لذا فمن الصعب علي ان اعتقد بانكم تترقبون مني إلحاق الأذى بنفسي ، وذلك بزعم انني استحق بعض الشر ، او باقتراحي لعقوبة توازي العقوبة التي اقترحها خصمي . فلماذا ينبغي على

ان اقوم بهذا الامر ؟ ألأنني اخشى أو أرهب ان تنزلوا بي العقوبة التي اقترحها ميليتوس ؟ هل تترقبون مني ان اختار شيئاً ما اعرف حق المعرفة انه شر وطالح ، وذلك بتقديم اقتراح مضاد لاقتراح ميليتوس ؟ أأختار السجن ؟ فلماذا ينبغي علي ان امضي ايامي في السجن خاضعاً لأوامر رجال الضابطة العدلية الذين يجري تعيينهم بصورة دورية ؟ هل اقترح غرامة نقدية مع سجني الى ان يتم دفعها ؟ فالأمر في حالي هذه سيكون سواء بسواء ، لأنني لا أملك المال اللازم لتسديدها . هل يتوجب عليّ ان اقترح عقوبة النفي ؟ فمن المرجح جداً ان تقبلوا باقتراحي هذا . انني اذا اقترحت هذه العقوبة فعندئذ سيكون حبي للحياة حباً يائساً .

ايها السادة ! لم يبلغ بي العمى ذاك المبلغ بحيث لا استطيع ان اتبين معه – ايها المواطنون – انكم قد استنفدتم كل ذرة من صبر لمناقشاتي وأحاديثي ، فلقد وجدتموها متعبة حتى السقم ومثيرة حتى الحنق ، وانتم تحاولون الآن التخلص منها . فهل هناك من قوم آخرين غيركم يستطيعون ان يطيقوا احتمالها بسهولة ؟ من المرجح تماماً انه لا يوجد هناك اي قوم كهؤلاء .

والحق انها لحياة جميلة ينبغي ان تكون حياتي لو انني هاجرت من هذا البلد وفي سني هذه ، وأمضيت ما تبقى لي من أجل محاولاً العيش في مدينة بعد أخرى ، ومطروداً من كل مدينة ادخلها ! انني اعرف حق المعرفة انه أينما حللت فسيلتف الشباب من حولي وسيصغون الى أحاديثي كما يفعلون تماماً في هذه المدينة ، وأنا اذا حاولت ابعادهم عني ، فسيدفعون آنذاك بكبارهم الى طردي وابعادي ، وإذا لم أحاول ذلك فسيقدم آباؤهم واقاربهم الآخرون على طردي طائعين مختارين حباً بالشبيبة .

ولربما قال احدهم : « لكن وبالتأكيد بإمكانك يا سقراط بعد ان تغادرنا ان تمضي ما تبقى لك من ايام في الاهتمام بأمورك الخاصة فقط » . قد يكون هذا

القول اصعب الأمور جميعاً على فهم بعضكم . فانا اذا قلت ان عملي بتلك النصيحة سيكون تمرداً على أوامر الله ، ولذلك لا استطيع ان اهتم بشؤوني الخاصة وحسب ، فلن تصدقوا بأنني جاد فيما اقول . وان انا قلت لكم من الناحية الاخرى ، بأن على المرء ألا يدع يوماً واحداً يمر دون ان يبحث في الصلاح وغيره من المواضيع الاخرى التي سبق لكم ان سمعتموني أتحدث واستجوب نفسي والآخرين معاً فيها ، هو فعلاً وواقعاً افضل شيء يستطيع المرء ان يفعله ، وان الحياة ، بدون مثل هذا النوع من البحث والاستقصاء ، لهي حياة غير جديرة بأن تحيا وتعاش ، نعم اذا قلت ذلك فان ميلكم الى تصديقه سيكون أقل من ميلكم الى تصديق ما سبقه من قول ، ولكن على الرغم من ذلك ايها السادة ، فان هذا هو واقع الحال ، مع انه ليس من السهل عليّ اقناعكم به . وعلاوة على ذلك فانا لم اعتد الاعتقاد بأنني استحق العقوبة . فلو انني كنت أملك مالاً لكنت اقترحت عليكم معاقبتي بغرامة نقدية ، وذلك لان مثل هذه الغرامة ما كانت لتنزل بي أي أذى . وكما ترون حالي ، لا استطيع ان اقترح ذلك عليكم لكوني خالي الوفاض ، اللهم الا اذا رغبتم انتم في تحديد الغرامة بما استطيع دفعه . فأنا اعتقد بانني استطيع تدبير خمس جنيهات . ولذلك اقترح بألا تتجاوز الغرامة المبلغ الذي ذكرته آنفاً . رويدكم ايها السادة ان افلاطون وكريتو وكريتوبولوس وابولودوروس يريدون ان اقترح مبلغ مئة وخمسين جنيهاً كغرامة وهم يكفلون تسديده ، حسناً انني اوافق على ذلك ، وبامكانكم الاعتماد على هؤلاء السادة في دفعه .

(يقرر المحلفون انزال عقوبة الموت بسقراط)

حسناً ايها السادة فانتم حباً بكسب فترة قصيرة من الزمن ستكسبون ايضاً السمعة السيئة — ولوم أولئك الذين يرغبون في إهانة مدينتنا وتحقيرها — لأنكم حكمتم على سقراط بالموت ، « حكمتم على ذلك الرجل الحكيم — وذلك لان أولئك الناس الذين يريدون ايجاد المثالب فيكم ، سيقولون انني كنت رجلا

حكيما ، حتى ولو انني لم اكن كذلك . فلو انكم قد صبرتم فترة قصيرة لكانت الطبيعة قد حققت لكم هذه الغاية التي تنشدونها . فانتم بمقدوركم ان تروا سنى المتقدمة واقترابي من الموت . وانا لا أوجه كلامي اليكم جميعاً ، بل أوجهه فقط الى أولئك الذين صوتوا موافقين على اعدامى ، كما وان لدي بعضاً من قول آخر لأدلي به اليهم .

لا شك انكم ايها السادة تعتقدون بانكم قد أدنتمونى لافتقاري الى الادلة والبراهين التي كان بمستطاعي استخدامها لو انني اعتقدت بان الخير ألا اكتم اي شيء او افعل كل أمر يؤمن براءتي . ولكن هذا القول بعيد كل البعد عن الحقيقة فليس الافتقار الى البراهين هو الذي تسبب بإدانتي ، وانما الافتقار الى السفاهة والوقاحة والسلاطة هو الذي تسبب في ذلك ، هذا بالاضافة الى رفضى مخاطبتكم بالاسلوب الذي يرضيكم أعمق الرضا ، ويشيع في نفوسكم كل غبطة وسرور. لقد كنتم تريدون لي ان ابكي واعول وانتحب وان أتفوه وافعل جميع الافعال التي أراها غير جديرة بشخصي ، مما اعتدتم سماعه من الناس . لكن في دفاعي لم اعتقد البتة بانه يتوجب علي ان اخضع للحقارة والمذلة بسبب كون خطر الموت محدقاً بي ، كما انني لست نادماً الآن على النهج الذي سلكته في عرض قضيتي ، وانا أفضل الموت كنتيجة لدفاعي هذا ، على الحياة كنتيجة لنوع آخر من دفاع . ففي قاعة المحكمة كما في الحرب ، يتوجب على كل امرىء آخر ، ألا يستعمل حصافته لينجو من الموت بأية وسيلة من الوسائل . ومن الواضح تماماً ان بمستطاع المرء ان ينجو في المعركة من الموت بالقاء اسلحته والارتماء على اقدام مطارديه ، كما ان هناك – في كل نوع من انواع الخطر – العديد من الحيل للنجاة من الموت ، وذلك اذا كان المرء بلا ضمير بما فيه الكفاية مما يجعله يتمسك باي شيء ولا يصمد أمام أي شيء . لكنني اعتقد ايها السادة بأن المعضلة لا تكمن حتى ذاك الحد في النجاة من الموت ، لأن المعضلة الحقيقية تكمن في النجاة من ان تفعلوا الشر ، فهذا سريع الخطى رشيقها . ففي هذه

الحالة الراهنة قد تغلبت عليّ انا الشيخ الطاعن في السن والبطيء الخطى ، المعضلة الأولى والأبطأ خطى من الثانية ، لكن قد تغلبت على المدعين عليّ الثانية الرشيقة الخطى واسرع حركة من تلك ، واعني بها – الظلم والشر . وانني عندما أغادر هذه القاعة فسأذهب وقد أدانني الموت ، اما هؤلاء فسيغادرونها وقد ادانتهم الحقيقة بالذات ، حقيقة الشر والضلال . وهم سيتقبلون ما أدينوا به ، كما أتقبل انا ما ادنتموني به . ولا شك ان هذا الأمر كان مقدراً له ان يحدث ، وانا اعتقد بان النتيجة جاءت عادلة بما فيه الكفاية .

أما وقد قلت لكم ذاك المبلغ من القول ، فأشعر بأن هناك نبوءة يتوجب عليّ ان أتلوها على مسامعكم انتم يا من اقترعتم بإدانتي ، وذلك لأنني قد بلغت الآن ذاك المحط من العمر حيث تبادر موهبة النبوءة من يبلغه بيسر وسهولة – انه محط الموت . سأقول لكم أيها الجلادون ، يا جلادي ، بأنه حالما يطوينا الردى ، فان الثأر سينزل بكم عقوبة أشد ألماً بكثير من قتلكم إياي . لقد تسببتم في قتلي اعتقاداً منكم بأنكم ستنجون بذلك من إخضاع سلوككم للنقد والانتقاد، ولكنني أقول لكم ان النتيجة ستكون تماماً عكس ما تريدون وتشتهون . فناقدوكم سيتزايدون عدداً ، هؤلاء الناقدون الذين كنت ما أزال حتى الآن أكبح من جماحهم دون ان تعرفوا انتم بذلك ، ونظراً لأن هؤلاء هم دوني سناً ، لذلك فسيكونون أشد عنفاً بالنسبة لكم، وسيسببون لكم من المتاعب أشد بكثير مما سببت لكم منها . أما اذا كنتم تتوقعون ان تضعوا حداً للتعريض بسلوككم الخاطيء في الحياة باعدام الناس وقتلهم ، فلا شك في ان هناك شيئاً ما مغلوطاً في تفكيركم . فهذه الوسيلة ليست ممكنة ولا حميدة او مشكورة . فالطريق الافضل والاسهل لبلوغ غايتكم هذه لن تكون ابداً متمثلة في اقفال أفواه الآخرين وإخراس ألسنتهم ، بل في سعيكم انتم بذواتكم لكي تبلغوا اسمى درجة تستطيعونها من الخير والصلاح . هذه هي رسالتي اليكم انتم يا من اقترعتم بإدانتي .

أما فيما يتعلق بكم انتم يا من صوتم بالبراءة ، فأرى لزاماً عليّ ان أتوجه اليكم بكلمات قليلة لألطف من وقع النتيجة ، وذلك لأن الموظفين ما يزالون منهمكين في اعمال أخرى ، ولم أغادر بعد هذا المكان في طريقي الى حيث يتوجب عليّ ان أموت . لذلك أطلب اليكم أيها السادة ألا تضنوا عليّ بهذه اللحظات القصيرة ، فليس هناك من سبب يستوجبنا ألا نتبادل الآراء ما دام القانون يسمح بذلك . فأنا اعتبركم بمثابة اصدقائي وأريد منكم تفهم النهج الصحيح في التأمل بموقفي الراهن هذا .

أيها السادة المحلفون – أقول هذا لأنكم انتم تستحقون ان تخاطبوا بذلك – لقد أختبرت خبرة عجيبة مذهلة . ففي الماضي كان الصوت النبوي الذي اعتدته رفيقاً دائماً لي ، يعارضني في الاشياء التافهة للغاية ، وذلك اذا ما كنت عازماً على انتهاج نهج خاطيء. وها انكم الآن ترون ان شيئاً ما قد حدث لي ونزل بي ، الأمر الذي يرى فيه الناس بصورة عامة ويعتبرونه كأشد كارثة تنزل بالإنسان ، ولكن ليس حين مغادرتي لمنزلي هذا الصباح ، ولا حين اتخذت مكاني في هذه القاعة ، ولا عند القائي لأية فقرة من فقرات خطابي أبدى الصوت الإلهي أية معارضة لي . لقد كان هذا الصوت في احاديثي ومناقشاتي الاخرى يخرسني واما لما أزل في منتصف الجملة ، لكنه هذه المرة لم يعارضني في اي أمر تفوهت به او فعلته . فما هو سبب ذلك كما اعتقد ؟ وسأجيب لكم عن هذا السؤال . انني اعتقد بان ما حدث لي هذا اليوم هو خير وبركة ، ونحن لنخطيء فاحش الخطأ اذا افترضنا ان الموت شر . وان لدي من الاسباب ما هو جدير بان يجعلني افترض هذا ، لأن ذاك الصوت الذي تعودت عليه ، ما كان ليتخلى عن معارضتي لو ان ما كنت افعله لم يكن سيعود بالتأكيد بنتيجة طيبة .

وعلينا ايها السادة ان نتأمل عالمين بأن هناك العديد من الاسباب التي تجعلنا نأمل بنتائج طيبة تنجم عن عوامل أخرى غير ذاك ايضاً . فالموت لن يكون سوى واحد من أمرين ، فهو إما ان يكون فناء او إبادة ، وهنا لا يحس الموتى

باي شيء ، وإما ان يكون تبدلاً حقيقياً كما يقولون لنا : أي انه يكون هجرة الروح عن هذا المكان الى مكان آخر . والآن فانه اذا لم يكن هناك من ادراك ووعي ، وانما كان يوجد فقط نوم خال من الأحلام ، فعندئذ يجب ان يكون الموت كسباً عجيباً مدهشاً . وانني لواثق من انه اذا طلب احدكم من أي امرىء ان يشير الى الليلة التي استغرق خلالها في نوم كهذا مريح وهنيء ، بحيث لم يطالعه فيها حتى حلم ، وان يقارن بين هذه الليلة وجميع ليالي حياته ونهاراتها ، ومن ثم طلب اليه القول ، وبعد تأمل كاف ، كم هو عدد الليالي والنهارات التي عرفها في حياته ، وكانت اسعد من تلك الليلة فعندئذ فان الملك العظيم ، وذلك كي لا نذكر الشخص العادي من الناس ، سيجد من السهل عليه تعداد تلك الليالي والنهارات حين مقارنتها ببقية ايام حياته . وهكذا فان الموت اذا كان على هذا الشكل ، فانني أدعوه كسباً ، لأن الزمان باكمله — اذا ما نظرنا اليه على هذا الضوء — لن يكون اكثر من ليلة واحدة فقط . اما اذا كان الموت ، من الجهة الاخرى ، انتقالاً من هذا المكان الى مكان آخر ، وإذا كان ما يقولون لنا صحيحاً ، ألا وهو ان جميع الموتى موجودون في ذاك المكان الآخر ، فأية نعمة ايها السادة يمكن لها ان تكون اكبر من هذه النعمة وأضخم ؟ فاذا كان المرء حال بلوغه العالم الآخر الذي لا تطاله يد ما نسميه هنا بالعدالة ، سيجد القضاة الحقيقيين الذين يرأسون كما يقال تلك المحاكمات ، سيجد مينوس ورادامنتيس وإياكوس وتربتوليموس وجميع انصاف الآلهة الآخرين الذين كانوا صادقين مستقيمين في حياتهم الأرضية ، فعندذاك هل تكون مثل هذه الرحلة رحلة لا تستحق الثواب والعناء ؟ ولأورد ما قلته باسلوب آخر : كم يدفع الواحد منكم لقاء اجتماعه باورفيوس وموسيوس وهسيود وهوميروس ؟ اما انا فمستعد للموت عشر مرات اذا كان ما يروونه صحيحاً . وانها لخبرة مشوقة بصورة خاصة لي ان التحق بهم هناك ، وان اجتمع الى بلاميديس وأجاكس ونجل كلامون والى اي بطل آخر من الابطال القدماء الذين لاقوا حتوفهم نتيجة محاكمة ظالمة ، وان أقارن بين اقداري واقدارهم — فهذا الامر سيكون بالأحرى طريفاً كما اعتقد —

وقبل كل ذلك سيكون شديد الرغبة في إمضاء وقتي هناك ، كما أمضيته هنا ، في استقصاء واستجواب عقول الآخرين وأذهانهم كي اكشف عمن يكون منهم فعلاً حكيماً وعمن يعتقد فقط بنفسه الحكمة . ما الذي لا يتنازل عنه المرء ايها السادة كي يكون قادراً على استجواب قائد ذاك الجيش العظيم ضد طروادة أو أديسيوس او سفوس ، او الآلاف من الرجال والنساء بحيث يكون بمقدور المرء ان يتحدث اليهم واليهن وان يختلط بهم وبهن ويتناقش معهم ومعهن بسعادة لا توصف ؟ وعلى اي حال فانني لا اعتقد بانهم هناك في العالم الآخر سيعاقبون المرء بالموت على سلوك كهذا ، لأنه فضلاً عن السعادات الاخرى التي يتفوق بها عالمهم على عالمنا هذا ، فانهم خالدون الآن طيلة ما تبقى من الزمان ، هذا إذا كان ما قالوه لنا صحيحاً .

وانتم ايها السادة المحلفون يتوجب عليكم ان تنظروا الى الموت وتترقبوه باطمئنان وثقة ، وان تركزوا اذهانكم على الايمان بالحقيقة التالية ، وهي صحيحة أكيدة: ليس هناك من شيء يستطيع ان يلحق بالإنسان الصالح اي أذى في هذه الحياة وما بعد الموت ، كما ان اقداره لا يمكن ان تكون امراً لا تبالي به الآلهة. وأنا لم اختبر هذه الحقيقة ولم اكتسبها آلياً ، فأنا اعرف حق المعرفة بان الأوان قد آن بحيث يكون من الافضل لي ان اموت وأتحرر من شرود ذهني واضطرابي. وهذا هو السبب في كون الصوت الإلهي الذي تعودته لم يعد ليتردد على مسمعي. اما فيما يتعلق بي فانني لا احقد البتة على اولئك الذين ادانوني واتهموني ، علماً بانهم لم يكونوا ينطلقون عن قصد رحيم لطيف عندما فعلوا بي ذلك ، وانما أقدموا على فعلتهم تلك لأنهم كانوا يعتقدون بانهم يلحقون بي أذى أو ضرراً ، وهذا ما هو آثم ومجرم فيهم . وعلى كل حال فانني اطلب اليهم التكرم علي بمنة واحدة ، وهي : انه عندما يشب أولادي ويترعرعون ، فإذا وجدتموهم يضعون المال او اي شيء آخر في مرتبة اعلى من الصلاح ، فلتثأروا منهم بإقلاقهم كما أقلقتكم ، واذا لم تجدوا اي سبب يبرر لهم الاعجاب بنفوسهم فلتوبخوهم كما

وبختكم على اهمال الاشياء الهامة والاعتقاد بأنهم يصلحون لبعض شيء وهم لا يصلحون لأي شيء . وانتم اذا فعلتم هذا فسألقى إذ ذاك العدالة على ايديكم ، العدالة لي ولأولادي معاً .

والآن وقد حان الوقت لنغادر هذا المكان ، فأنا أغادره لأموت وانتم تغادرونه لتعيشوا ، ولكن أي منا ذو المطمح الأسعد ، فهذا أمر مجهول لدينا جميعاً ، ما عدا الله .

●

سقراط في السجن

اعتادوا في اثينا على تنفيذ الحكم فوراً بالمحكوم عليه ، ولكن اليوم السابق لمثول سقراط أمام المحكمة كان أيضاً اليوم الاول لسفر الوفد الذى درج سكان اثينا على ارساله كل عام الى ديلوس ، وكانوا يقصدون بهذا الاحتفال تخليد ذكرى مآثر تسيوس الذي أنقذ اثينا من الجزية السنوية التي كانت تدفعها شباباً وفتيات كقرابين وغذاء للمنيتور الكريتي . وكانت عقوبة الموت لا تنفذ بالمحكوم عليه طيلة غياب سفينة الدولة في بعثتها هذه . وقد استغرق غيابها في ذاك العام وقتاً طويلاً بقي معه سقراط طيلة شهر كامل رهين سجنه .

ولاشك انهم قد ترقبوا ان يحدث بعض التأخير في تنفيذ الحكم ، ومن الجائز ان أعداء سقراط قد ترقبوا او عزموا على تسهيل سبل فراره وهربه من البلاد. ولقد قام بالتأكيد اصدقاؤه فألحوا عليه بالفرار والهرب ، ولكن سقراط رفض ذلك .

كريتو

(غرفة في سجن الدولة في أثينا وفي عام ٣٩٩ ق. م. الوقت هو قبل إطلالة الفجر بنصف ساعة ، والظلام يكاد يكتنف كلياً الغرفة لولا ضوء مصباح زيتي . وقد أسند سرير الى الحائط ، وتوجد بالقرب من رأسه طاولة تحمل المصباح الزيتي ، أما عند قدميه فيجلس كريتو على مقعد . وهذا رجل طاعن في السن ولطيف وعملي وغير ساذج ، لكنه يبدو الآن فريسة لانفعال عاطفي حبيس . أما على السرير فيضطجع سقراط مستغرقاً في نومه . ومن ثم يتململ ويتثاءب ويفتح عينيه ويرى كريتو) .

س : أأنت هنا يا كريتو ؟ لا شك ان الوقت ما يزال مبكراً ؟

ك : نعم انه فعلا كذلك .

س : في أي هزيع من الليل نحن ؟

ك : في نهاية الهزيع الاخير منه ، فنحن الآن قرابة الفجر تماماً .

س : إنني لعاجب مما اذا كان السجان قد اعارك أي انتباه حين دخولك ؟ !

ك : لقد اعتاد عليّ الآن يا سقراط ، لأنني أتردد على هذا المكان مراراً وتكراراً ، وهو فضلا عن ذلك مدين لي ببعض معروف او منة .

س : هل جئت لتوبّخ ، أم مضى على قدومك وقت طويل ؟

ك : لقد جئت منذ وقت طويل .

س : إذن فلماذا لم توقظني فور حضورك ، بدلاً من جلوسك بالقرب من فراشي هادئاً صامتاً على تلك الحال ؟

ك : لن يراودني إطلاقاً مثل هذا الخاطر يا سقراط . فكل ما أتمناه ألا اكون فريسة للأرق والحزن كما هي حالي اليوم . لقد كنت أعجب من أمرك ، إذ رأيتك مستغرقاً في نومك ، هانئاً مطمئناً ، ولقد تعمدت ألا اوقظك ، لأنني أردت لك ان تسترسل في تلك الحال من الهناءة والاطمئنان . لقد سبق لي ان أحسست مراراً فيما مضى بما لك من فطرة سعيدة ومحظوظة ، لكن شعوري الآن بفطرتك هذه ، لهو أشد حساسية من أي شعور عرفته فيما مضى ، لانني أراك على ما انت عليه من راحة وإطمئنان أمام هذه النائبة الراهنة .

س : حسناً يا كريتو ، والحق انه ليكاد ان يلائم إنساناً في عمري التبرم والاستياء بحيث انه يتوجب عليّ ان أموت .

ك : ولكن أناساً آخرين لهم من العمر ما لك تماماً ، وتحتبلهم مثل هذه النوائب ، لكن عمرهم لا يمنعهم من التبرم والاستياء عندما يجدون أنفسهم في وضعك الراهن .

س : صدقت تماماً فيما قلت ، ولكن هلا أخبرتني بسبب قدومك في مثل هذه الساعة المبكرة ؟

ك : لأنني أحمل اليك الأنباء السيئة يا سقراط ، وهي ليست من وجهة نظرك على تلك الحال من السوء كما أعتقد ، لكن احتمالها سيكون قاسياً

للغاية بالنسبة لي ولاصدقائك الآخرين ، ولكن يخيل اليّ انها ستكون أشد قسوة عليّ من الجميع .

س : لماذا ؟ ! ما هي أنباؤك هذه ؟ هل عادت السفينة من ديلوس – السفينة التي سيضع وصولها حداً لإعاقتي وتأخيري .

ك – انها لم تصل فعلاً بعد ، لكنني أترقب وصولها هذا اليوم ، وذلك اعتماداً على ما قاله بعض الذين وصلوا لتوهم من سونيوم ، حيث تركوها راسية هناك . ولمن الواضح انها – استناداً لما يقولون – ستصل هذا اليوم ، وهكذا سيتوجب عليك يا سقراط ان تضع في الغد نهاية – نهاية لحياتك .

س : حسناً يا كريتو ! آمل ان يكون في ذلك الخير كل الخير ، واذا كانت الآلهة تريد ذلك ، فليكن ما تريده . فالأمر سيان لدي، وانا لا اعتقد بان السفينة ستصل هذا اليوم .

ك : ما الذي يجعلك تعتقد بذلك ؟

س : سأحاول تفسير الأمر لك ، فأنا اعتقد بانني مصيب في قولي بانه يتوجب عليّ ان اموت في اليوم الذي يلي وصول السفينة ، أليس كذلك ؟

ك : هذا ما تقوله السلطات على أي حال .

س : إذن فانني لا اعتقد بانها ستصل هذا اليوم الذي يبدأ لتوه ، بل في اليوم الذي يليه . لقد تراءى لي حلم منذ فترة قليلة فقط ، وانا اعتقد بانك خيراً فعلت عندما لم توقظني .

ك : ولماذا ؟ وما الذي تراءى لك في الحلم ؟

س : اعتقد بانني رأيت امرأة جميلة رائعة ترتدي ملابس بيضاء وقد بادرتني

تقول حرفياً ما يلي :

« سقراط ستحضر الى بلاد فيثيا السعيدة في اليوم الثالث »

ك : لا يبدو ان لحلمك هذا معنى او مغزى يا سقراط .

س : انه واضح كل الوضوح يا كريتو في نظري .

ك : واضح للغاية مظهراً ، ولكن فلتصغ إليّ يا سقراط ، فالأوان لم يفت بعد لتعمل بنصيحتي وتنجو بنفسك . فموتك يعني كارثة مزدوجة تنزل بي . فأنا لن افقد صديقاً لن استطيع ابداً ان اجد بديلاً له وحسب ، وانما فضلاً عن ذلك فهناك عدد جد غفير من الناس الذين لا يعرفون بحقيقتك وحقيقتي حق المعرفة سيعتقدون بالتأكيد بانني قد تخليت عنك ، وذلك لقناعتهم بانه كان بامكاني انقاذك لو رغبت صادق الرغبة في انفاق المال ، وهل هناك من أمر أشد تحقيراً للإنسان من معرفة الناس به بأنه يولي المال من الاهتمام اكثر مما يولي اصدقاءه منه ؟ فمعظم الناس لن يصدق ابداً بانك انت الذي رفضت مغادرة هذا المكان ، مع اننا قد بذلنا اقصى جهودنا لإقناعك بذلك .

س : ولكن يا عزيزي كريتو ! لماذا يتوجب علينا ان نولي مقداراً كهذا من الاهتمام بما يعتقد به « معظم الناس » ويخيل اليهم ؟ فالناس العاقلون فعلاً والذين يستحقون الاحترام اكثر من أولئك سيعتقدون بان الوقائع هي تماماً على حالها .

ك : أنت ترى بنفسك جيداً يا سقراط انه يتوجب على المرء احترام الرأي الشعبي ايضاً . فوضعك الراهن يدلل بما لا يقبل الشك على ان مقدرة العاديين من الناس على إثارة متاعب لا تنحصر بالمزعجات التافهة ، بل تكاد ألا تكون لها اية حدود إذا ما ساءت سمعتك بينهم .

س : أتمنى فقط لو انه كان لدى العاديين من الناس مقدرة غير محدودة على انزال الأذى ، فعندئذ ستكون لديهم مقدرة غير محدودة على فعل الخير ، الأمر الذي كان سيغدو رائعاً لو انه كان حقاً على تلك الحال. فهؤلاء ليست لديهم فعلاً أية من المقدرتين . فهم عاجزون عن جعل الانسان حكيماً أو غبياً ، وهم فيما يفعلونه يخبطون خبط عشواء .

ك : ليكن كما تقول اذا رغبت في ذلك ، ولكن فلتجبني عن هـذا يا سقراط . فأنا آمل بانك لست قلقاً علي وعلى اصدقائك الآخرين من النتائج المترتبـة على نجاتك ، ولا أخالك تعتقد باننا سنصادف المتاعب من المخبرين والوشاة في حال فرارك نظراً لمساعدتنا لك على الهرب ، واننا سنخسر كل ما نملكه او ندفع غرامـة نقديـة باهظـة أو حتى نتعرض لعقوبـة أشد ؟ فـاذا كان يثير أي خاطر كهذا القلق في نفسك ، فبمقدورك ان تطرده من بالك جملة وتفصيلاً . فنحن ملزمون تماماً بالقيام بهذه المغامرة لانقاذك ، كما اننـا لمستعدون لما هو اسوأ منها اذا اقتضت الضرورة ذلك . فلتعمل بنصيحتي ولتكن رجلا معقولاً !

س : ان كل ما تقوله يا كريتو هو مدار لبحث عميق في ذهني ، وهناك فضلاً عما أبديته أشياء اوفر عدداً بكثير من تلك .

ك : حسناً للغاية ! فلا تترك لها ان تقلقك ! وأنا اعرف بعض الناس الذين أبدوا استعدادهم لانقاذك من سجنك وتهريبك من البلاد لقاء مبلغ معتدل للغاية من المال . وعلاوة على هذا فأنت تعرف كم هو رخيص ثمن أولئك الوشاة والمخبرين ، فنحن لن نحتاج الى مبلغ ضخم لتدبير أمرهم . واعتقد بان لديك قبل الآن ما يكفي من مالي . والان لنفترض انك شعرت في قلقك على سلامتي ، بانه يتوجب عليك ألا تنفق مالي ، غير ان اولئك السادة الاجانب الموجودين حالياً في اثينا مستعدون كل الاستعداد لانفاق اموالهم . وان

أحدهم ، هو سيمياس الطيبي ، قد أحضر معه المال من اجل هـذا الغرض بالذات ، كما وان سيبيس ، وغيره يرغبون كل الرغبة في القيام بالأمر عينه . وهكذا فعليك ألا تدع لأية مخاوف ان تثبط عزيمتـك على الفرار ، نظراً لهذه الأسباب ، ويجب ألا تهتم أدنى اهتمام بما قلته اثناء محاكمتك ، وذلك حينما قلت بانك لا تدري ، ما انت فاعل بنفسك اذا غادرت هـذا البلد . وهناك حيثما تذهب العديد من المنازل التي ستستقبلك بكل ترحاب ، أما اذا فضلت الذهاب الى تساليا ، فان لي فيها العـديد من الاصـدقاء الذين سيكرمون وفادتك ويحيطونك بالحماية الـكاملـة ، بحيث لن يتمكن أي امرىء فيها من ازعاجك او التدخل في شؤونك

وفضلاً عن ذلك فلا اعتقد بان من حقك ان تحاول القيام بما انت فاعـله ، وان تهدر دماءك في حين ان باستطاعتك انقاذ حياتك . فانت تبذل الآن اقصى جهودك لتعامل نفسك بالطريقة ذاتها تماماً التي قد يعمد او بالأحرى عمد اليهـا اعداؤك عندما ارادوا القضاء عليك . ومما هو اكثر من ذلك وادهى ، كونك تتبدى في ناظري على انك تتخلى عن ابنائك. فبمقدورك ان قنهي تربيتهم وتعليمهم ولكنك بدلاً من ذلك تقترح مغادرتك لهم وهجرانهم ، وهكذا فيما يتعلق بك تلقي بهم في ايدي الحظ والقدر . فأي نوع من حظ قد يتوافر لهم ؟ انه ذاك النوع من القدر الذي يكون وقفاً على اليتامى عندمـا يفقدون والديهم . فعلى المرء إما ألا يكون له بتاتاً اطفال، او يتوجب عليه ان يلاحظ تربيتهم وتعليمهم حتى النهاية . ومما يذهلني ان اراك تنهج النهج الذي يستوجب اقل صمود ومقاومة في حين ان عليك ما يختاره الرجل الصالح والشجاع ، اعتباراً بانك قد اعترضت جهاراً نهاراً بان الصلاح كان هدفك طيلة حياتك . والحق انني لشديـد الخجل بسببك أو بسببنا نحن معشر اصدقائك . فسيبدو كما لو اننا قمنا بدور الجبان في قضيتك هذه باكملها . فأولاً كانت هناك الطريق التي سلكتها الى المحكمة ، في حين لم يكن سلوكها ضرورياً بتاتاً — وهـذه كانت الواقعـة الأولى ، ومن ثم

اسلوبك في الدفاع عن نفسك – وهذا كان الواقعة الثانية ، وأخيراً ، ولكي تكتمل فصول المسرحية ، وضعنا الراهن هذا ، الأمر الذي يعني اننا تركناك تنزلق من أيدينا نظراً لافتقارنا ، نحن معشر أصدقائك ، الى بعض شجاعة واقدام ، وذلك لأننا لم ننقذك ، وأنت لم تنقذ نفسك ، الأمر الذي كان ممكناً تحقيقه عملياً لو كانت فينا أية فائدة إطلاقاً .

وهكذا ترى يا سقراط انه اذا لم تكن شديد الحذر بالإضافة الى الألم ، فعندئذٍ سيلطخك ويلطخنا كل هذا الخزي والعار .

هيا واحزم أمرك . الحق اننا قد تأخرنا وقتاً جد طويل ، لقد كان من المتوجب عليك ان تكون قد عقدت النية على ذلك قبل الآن . ولكن ليس لدينا من أي بديل آخر ، فعلينا أن ننفذ هذا الأمر بأكمله خلال الليلة القادمة . ونحن اذا هدرنا أية برهة من الوقت ، فسيكون الأوان قد فات . وأنا أتضرع اليك يا سقراط استناداً الى كل سبب ، أن تعمل بنصحي وأن تكون رجلاً معقولاً .

س : يا عزيزي كريتو ! انني اقدر لك شعورك الطيب هذا اعمق تقدير – وذلك افتراضاً بأن له بعض مبرر ، فإذا لم يكن لشعورك هذا من مبرر ، فعندئذ كلما تزايد شدة تزايدت معالجته صعوبة ومشقة . حسناً ، يتوجب علينا إذن أن نتأمل ملياً فيما اذا كان ينبغي علينا العمل بنصيحتك أم لا . انك لتعلم بأن هذه ليست بفكرة جديدة من فكري ، فلقد كانت طبيعتي تطالبني بألا أقبل بأية نصيحة يبديها أي من اصدقائي ما لم يدلل التأمل على انها افضل نهج يعرضه العقل . فليس بمقدوري التخلي عن المبادىء التي كنت أدين بها في الماضي ، لأن هذا الحدث قد نزل بي . فهذه المبادىء تبدو لي في هذه اللحظة تماماً كما كانت تبدو لي في السابق ، ولذلك تراني احترم الآن هذه المبادىء عينها ، كما احترمتها وتمسكت بها فيما مضى . وهكذا فنحن

اذا لم نستطع أن نجد بعض مبادىء لهذه المناسبة افضل من تلك ، فباستطاعتك آنذاك ان تكون راسخ القناعة بانني لن اوافقك البتة على رأيك ، ولن اوافق على ذلك اطلاقاً حتى ولو اطلقت قوة الشعب حشوداً من الارواح الشريرة لترعب بها اذهاننا الصبيانية ، وذلك بتكبيلنا بالقيود والاغلال واخضاعنا للاعدامات ومصادرة ممتلكاتنا .

حسناً ، إذن فكيف يكون بمقدورنا التأمل في هذا الموضوع على أسطع ما للعقلانية من اضواء ؟ ولنفترض بأننا نبدأ بالعودة الى نظريتك تلك في آراء الناس . هل كان دائماً صحيحاً القول بانه يتوجب علينا ان نحمل بعض الآراء على محمل الجد ، وألا ننظر للبعض الآخر هذه النظرة ؟ أو هل كان هذا القول دائماً مغلوطاً ؟ لربما كان هذا القول صحيحاً قبل ان تنشأ قضية اعدامي ، ولكن بمستطاعنا أن نرى الآن بوضوح انه كان الحاحاً خاطئاً على وجهة نظر كانت في الواقع هذراً غير مسؤول ، وان بي يا كريتو رغبة شديدة في البحث بمساعدتكم في هذه القضية لأرى ما اذا كان التعليل ، وهذه هي حالي ، يتبدى لي على ضوء مختلف عن ذاك ، او ما اذا كان سيبقى هو التعليل عينه ، وما اذا كان ينبغي علينا ان نرفضه او ان نسلم به .

أعتقد بأن المفكرين الجادين كانوا دائماً يقولون برأي كهذا الذي أبديته لتوي ، والقائل بأنه ينبغي علينا أن نحترم بعض آراء الناس وان نهمل البعض الآخر منها . وأسألك الآن يا كريتو .. ألا تعتقد بأن هذا المبدأ صحيح ؟ إنني لأرجح كل ترجيح بانك بأمن من الموت غداً ، ولذلك فلن تترك لهذه الكارثة الوشيكة الوقوع ان تؤثر في احكامك . إذن فلتتأمل ملياً ! ألا تعتقد بأنه لمبدأ صحيح بما فيه الكفاية ذاك المبدأ القائل بأنه ينبغي علينا ألا نعتبر جميع الآراء التي يقول بها الناس، وانما علينا أن نعتبر فقط البعض منها وأن نهمل الآخر؟ ما قولك بهذا ؟ ألا ترى أنه قول مصيب ؟

ك : نعم انه كذلك .

س : وبكلمات أُخرى أنقول إنـه يتوجب عـلى المرء ان يعتبر الآراء الصالحة ويهمل الطالحة ؟

ك : نعم .

س : وهل ترى ان آراء الحكماء آراء صالحة وآراء الحمقى طالحة ؟

ك : طبعاً وبداهة .

س : ولننتقل مسترسلين، ولنسأل عما تراه في نوع الصورة التي كنت استخدمها؟ فعندما يكون المرء قائماً بالتدريب ، ومولياه كل عناية واهتمام ، فهل يهتم دون تمييز بكل مديح ونقد ورأي ، او انـه يولي اهتمامه فقط لآراء رجل حائز على كل مؤهل ، كالطبيب او المدرب ؟

ك : طبعاً يهتم بآراء الشخص المؤهل فقط .

س : إذن فينبغي عليه أن يرهب نقد الشخص المؤهل ويرحب باطرائه ، وعليه ألا يقيم وزناً لآراء العامة من الناس .

ك : هذا واضح وحق .

س : إذن يتوجب عليه أن ينظم أفعاله وتمـارينه وغذاءه وشرابه وفقاً لإرشاد مرشده الاخصائي في علمه ، وليس وفقاً لآراء بقية الجمهور .

ك : نعم ، هذا هو واقع الحال .

س : حسناً جداً ! إذن فهو اذا لم يطع رجلاً واحداً ولم يتقيد برأيه وتوجيهاته ، بل أولى اهتمامه لنصح الكثيرين الذين لا يتمتعون بمعرفة الاخصائي ، أفلا يكابد بعد ذاك بعض الآثار الضارة الناجمة عن عمله هذا ؟

ك : طبعاً ، وبكل تأكيد .

س : ومـا الذي تكونه هذه الآثار ؟ وأعني بذلك في أي جزء من الشخص العاصي تتبدى تلك الآثار .

ك : من الواضح انها تتبدى في جسده ، وبهذا يكابدها .

س : حسناً جداً ! فلتقل لي يا كريتو — نحن لا نرغب في معالجة جميع الامثلة مثلاً بعد مثل — هل قولنا ذاك ينطبق كقاعدة عامة ، وينطبق ، قبل كل شيء ، على ذاك النوع من الافعال التي نحاول البت فيها واعني بذلك : على ما هو عادل وجائر ، مشرف ومشين ، صالـح وطالح ؟ وهل ينبغي علينا أن ندع لرأي الاكثرية مهمة توجيهنا وترويعنا ، او نترك هذه المهمة لرأي الاخصائي العليم — مفترضين وجود شخص مـا أخصائي عليم ؟ — هل هو صحيح ذاك القول القائل بإنه يتوجب علينا أن نحترم هذا الشخص الواحد ونرهبه اشد من احترامنا ورهبتنا للباقين أجمعين ، وانه اذا لم نتبع توجيهه وارشاده فعندئذ سنتلف ونشوه ذاك الجزء منا ، الذي — كما تعودنا عـلى القول - بان السلوك الصالح يصلحه ويحسنه ، بينما يفسده السلوك السيء ويشوهه ؟ أم هل هذا القول كله هذر وهراء ؟

ك : أعتقد بانك مصيب فيما قلت .

س : إذن فلتتأمل في الخطوة التالية . هنـاك جزء منا تحسنه الافعال النافعة وتتلفه الضارة منهـا ، ونحن اذا أتلفناه بعملنا بنصح اللاأخصائيين فهل تبقى الحياة جديرة بأن تُحيا وتُعاش ، اذا تلف هذا الجزء ذات مرة ؟ وأنا أعني بهذا الجزء الجسد ، فهل تسلم بذلك ؟

ك : نعم .

س : حسناً ! هل تكون الحياة جديرة بالعيش مـع جسد منهوك وذي صحة متدهورة معتلة ؟

ك : طبعاً ، انها لا تكون جديرة بذلك .

س : ومـا قولك بذاك الجزء من كياننا الذي تشوهه الافعال الطالحة وتحسنه الافعال الصالحة ؟ هل تكون الحياة جديرة بأن تحيا مع جزء منهوك معتل كهذا ؟ او هل نعتقد بأن هذا الجزء منا، حيث يعمل فيه الصالح والطالح، هو أقل من الجسد أهمية ووزناً ؟ .

ك : كلا ، لا نعتقد أبداً بذلك ؟

س : هل يكون هذا الجزء أثمن قيمة من الجسد ؟

ك : انه أثمن منه بكثير .

س : إذن ففي هذه الحالة يا صديقي العزيز فان ما لا ينبغي علينا اعتباره شديد اعتبار هو ما سيقوله الناس عنا بصورة عـامة ، بل علينا أن نولي الاعتبار الشديد لما سيقوله الاخصائي في الصالـح والطالـح ، فهذا هو العليم الواحد الذي يمثل الحقيقة الواقعة . وهكذا فان اقتراحك هو أولاً ليس صحيحاً ، وذلك عندمـا قلت بأنه يتوجب علينا أن نولي الاهتمام للرأي الشعبي فيما يكون صحيحاً ومشرفاً وصالحاً ، وفيما يكون النقائض لتلك . ولا شك ان احدهم قد يعترض ، ولكن الأمر سيان ، فللشعب القدرة على اعدامنا .

ك : لا شك فيما تقوله ، ولقد أصبت كبد الحقيقة يا سقراط ، وانه لاعتراض ممكن .

س : ولكن بقدر ما أرى يا صديقي العزيز ، فان تعليلنا الذي كنا نعلله لتونا لم يتأثر به بتاتاً . وانني أرغب اليوم وفي الوقت ذاته ، بالتأمل فيما اذا كنا ما نزال قانعين بالنقطة التالية ، ألا وهي ان المهم فعلاً وواقعاً ليس ان نعيش بل أن نعيش حسناً .

ك : نعم .

س : وان جملة ان نعيش حسناً تعني الأمر عينه أن نعيش بشرف وصلاح ؟

ك : نعم .

س : إذن فعلة ضوء اتفاقنا هـذا يتوجب علينا التأمل فيما اذا كان من العدل بالنسبة لي ان أحاول الانصراف من هنا دون اطلاق سراحي رسمياً ، فإذا تبدى هذا الأمر عدلاً ، توجب علينا آنذاك القيام بهذه المحاولة ، أمـا إذا لم يتبدى كذلك وجب أن نتخلى عنها . أمـا فيما يتعلق بالاعتبارات التي أثرتها بالنسبة الى النفقات والسمعة وتربية أطفالي ، فأنا أخشى يا كريتو أن تمثل تلك الاعتبارات تأملات العاديين من الناس الذين يعدمون الاشخاص، ومن ثم يرغبون في اعادتهم الى الحيـاة لو كان بمقدورهم ذلك ، ويقومون بكلا الأمرين باللامبالاة عينها بالسبب . ونظراً لأن جدالنا قـد قادنا الى هذا الطريق ، لذلك أرى ان واجبنا الصحيح يحتم علينا التأمل في سؤال واحـد فقط ، انه السؤال الذي طرحناه لتونا وهو : هـل نفعل عدلاً في دفعنا المال لأولئك الذين سينقذونني وفي ابداء شكرنا وامتناننا لهم ، وفي الفرار وتدبير أمره ، او هل ستكون جميع أفعالنا هذه غير عادلة حقيقة وواقعاً ؟ فإذا اتضح لي ان هـذا المسلك هو نهج خاطىء ، فلن أستطيـع آنذاك الا القول بأنه يجب علينا ألا نولي بتاتاً القضية المقررة ما اذا كنت سأموت أكيداً أو سنكابد أي أذى آخر إذا بقينا حيث نحن ولم نقم بأي عمل ، أقول ينبغي ألا نوليها اطلاقاً أي اهتمام حين مقارنتها بخطر اقدامنا على اقتراف ما هو خطأ .

ك : إني اوافقك عـلى ما قلت يا سقراط ، ولكنني أرغب اليك في التأمل فيما ينبغي علينا عمله .

س : لنتأمل في الأمر معـاً يا زميلي العزيز ، وإذا كان بمقدورك أن تتصدى لأية من حججي ، فأرجوك أن تفعل ذلك ، وأنا سأصغي اليك ، ولكن اذا لم يكن بمستطاعك ذلك ، فلتكن زميلا عزيزاً ، ولتتوقف عن القول لي المرة

تلو المرة بأنه ينبغي عليّ أني أغـادر هـذا المكان دون اذنٍ من السلطات الرسمية . وانني لبالغ الشوق للحصول على موافقتك على ما ابديت قبل ان اسلك النهج الذي انتوي سلوكه ، وأنا أريد لك ألا تفعل أي شيء يخالف قناعتك. والآن فلتصغ لنقطة انطلاق هذا البحث – وآمل أن تكون قانعاً باسلوبي في الانطلاق به – ولتحاول الاجابة عن سؤالي بأفضل ما يستطيعه عقلك .

ك : حسناً ! سأحاول ذلك .

س : هل نقول بانه يتوجب عـلى المرء ألا يقترف أبداً الإثم طائعاً مختاراً ، او ان هذا الامر يعتمد على ظروف الحال فقط ؟ وهل صحيح ، وكما سبق لنا مراراً ان اتفقنا على ان الرأي القائل بأنه ليس هناك من أمر يكون فيه اقتراف الإثم خيراً او مشرفـاً ؟ او هـل القينا بجميع قناعاتنا السابقة في البحر خلال هذه الايام القليلة المنصرمة ؟ هل بمقدوري وبمقدورك ، ونحن في هذه السن المتقدمة في العمر ، يا كريتو ان نكون قد امضينا جميع تلك السنوات في مناقشات جـادة دون أن ندرك اننا لم نكن افضل حـالاً من طفلين ؟ وبالتأكيد كان كل ما قلناه دائمـاً هو الحقيقة . ومهما يكن الرأي الشعبي ، سواء أكان البديل اكثر لذة من حـالنا الراهنة ، او حتى اشد قسوة منها ، فان الحقيقة لباقية ، هـذه الحقيقة القائلة بأن اقتراف الإثم بسائر وجوهه أمر مشين بالنسبة لمن يقترفه . اليست هذه نظرتنا أم لا ؟

ك : انها نظرتنا .

س : إذن يتوجب على المرء ، وفي جميع الظروف والاحوال ، الا يقترف الإثم .

ك : صدقت .

س : إذن ففي هذه الحال يجب على المرء الا يقترف الإثم ، حتى ولو أثم الناس في حقه .

ك : هذا ما يبدو لي .

س : فلتجبني عن سؤال آخر يا كريتو : هل ينبغي على المرء ان يلحق الاضرار بالناس أم لا ؟

ك : طبعاً لا يا سقراط .

س : ولتقل لي كذلك هل من العدل ان يلحق المرء الاضرار انتقاماً لما نزل به منها ، كما يعتقد معظم الناس ، أم لا ؟

ك : كلا ابداً .

س : وذلك لانني كما اعتقد ليس هناك من فارق بين إلحاق الضرر بالناس وبين الإثم في حقهم .

ك : الامر تماماً كما تقول .

س : إذن يتوجب عـلى المرء ألا يرد بالإثم عـلى الإثم ولا بالضرر على الضرر مهما يكن الاستفزاز الذي يتحداه . والآن فلتنتبه يا كريتوا ! فأنت بتسليمك بهذه الامور لا تنتهي الى التسليم بشيء ما يخالف معتقداتك الحقيقية . انني أعرف بأن هناك وسيكون دائماً عدد قليل من الناس يفكرون على هـذه الصورة، وبحكم ذلك فلن يكون هناك من اتفاق على المبدأ بين الناس الذين يفكرون عـلى هـذا الشكل ، وبين اولئك الذين يخالفونهم فيه ، وهكذا يتوجب عـلى هذين الطرفين ان يبادل احدهما الآخر الاحتقار ، عندما يرقب الواحد منهما قرارات الآخر . وانني اريد حق منك ان تتأمل عميق تأمل فيما اذا كنت تشاركني آرائي وتتفق معي ، وفيما اذا كان بامكاننا الاسترسال في بحثنا انطلاقاً من الفرضية الثابتة والقائلة بأنه ليس من العدل أبداً ان يقدم المرء عـلى اقتراف الإثم او ان يرد به او ان يدافع عن نفسه بالثأر لما نزل به من ضرر، او انك لا توافق بتاتاً على هذه النظرية كقاعدة

للبحث . لقد اعتنقت هـذه النظرية لمدة مديدة من الزمن ولا أزال أدين بها .

أما اذا كنت قد شكلت أي رأي آخر فلتقل لي ذلك ، ولتطلعني عليه . أما اذا لم تكن قد شكلت ذلك ، ولا تزال تدين بمـا قلناه فلتصغِ الى نقطتي التالية .

ك : نعم انني ما أزال أدين به وأوافقك على ما تقول فلتسترسل !

س : حسناً ! هاك نقطتي التالية او بالاحرى سؤالي : هل ينبغي على المرء أن ينفذ جميع ما أبرم من اتفاقات شريطة أن تكون عادلة او يتوجب أن ينكل عنها ؟

ك : على المرء ان ينفذها جميعاً .

س : إذن فلتتأمل في النتيجة المنطقية ! اننا اذا غـادرنا هذا المكان دون اقناع الدولة بالسماح لنا بمغادرته ، فهل نكون بذلك نلحق ضرراً أم لا ، وهلا تلحقه داخل مكان يجد من المبررات أضعفها ؟ وهـل نكون بذلك او لا نكون متمسكين باتفاقاتنا العادلة ؟

ك : لا أستطيع الجواب عن سؤالك يا سقراط ، فأنا لست واضح الذهن .

س : لتتأمل في سؤالي على هذا الضوء : لنفترض انه حينما كنا نقوم باعداد أمرنا للفرار من هنا ، (او لتصفه كما شئت) ، اقبلت علينا قوانين اثينا ودستورها وجابهتنا وسألتنا السؤال التالي : « والآن يا سقراط ما الذي تنوي فعله ؟ هل بمقدورك الانكار انك بعملك هذا الذي تنتويه ، تعزم ، بما لديك من قدرة ، على تدميرنا نحن معشر القوانين وتدمير الدولة بأكملها أيضاً » ؟ هل تعتقد بأنه بامكان أية مدنية كانت ان تستمر في البقاء ، والا تنقلب رأساً على عقب ، اذ لم تكن للأحكام القانونية الصادرة فيها اية قوة او مفعول ،

وكان بامكان الافراد الغاؤها وتدميرها ؟ » – كيف ينبغي علينا الجواب عن هذا السؤال وعن الاسئلة الأخرى من النوع ذاته ؟ ان هناك الكثير مما يمكن قوله ولاسيما على لسان محام محترف، اعتراضاً على الغاء هذا القانون الذي ينص على ان تسي الاحكام سارية المفعول حالما تصدر ، هل سأجيب « نعم انني اعزم عـــلى تدمير القوانين وذلك لان الدولة قـد أخطأت في حقي باصدارها حكماً خاطئاً في قضيتي ؟ » هل ينبغي ان يكون هذا جوابنا او بأي جواب نجيب ؟

ك : طبعاً يا سقراط انه ما قلته لتوك .

س : إذن فلنفترض أن القوانين قالت : « هل كان هناك أي شرط بالنسبة لهذا الامر في الاتفاق المبرم بيني وبينك يا سقراط ؟ أو هل تعهدت بالاذعان لأية أحكام تصدرها الدولة ؟ » ونحن – يا كريتو – اذ أبدينا دهشتنا من لغة كهذه فإنها ستقول : « لا تكترث بلغتنا يا سقراط ، بل أجب عـلى أسئلتنا ، فأنت على كل حال قد تعودت على نهج من سؤال وجواب . فهيا قل لنا أية تهمة توجهها الينا والى الدولة من حيث انك تحاول تدميرنا ؟ قل لنا هل لديك أي اعتراض او شكوى من القوانين التي تنظم أمر الزواج ؟» وهنا ينبغي أن أجيب : كلا ليست لدي أيـة شكوى أو اعتراض عليها . ومن ثم ستسترسل سائلة : « ألديك أية شكوى من القوانين المنظمة لتربية الاطفـال وتعليمهم ، كالتربية والتعليم اللذين حصلت عليهما أنت بالذات ؟ ألست ممتناً من تلك القوانين التي اشترعت لهذه الغاية واستوجبت أباك ان يوفر لك تربية عقلية وجسدية ؟ » وهنا يتوجب عليّ القول : نعم انني لشكور وممتن . وعندئذ ستستطرد سائلة : « حسناً جداً ، إذن ما دمت قد تربيت وتثقفت فهل بمقدورك ان تنكر انك كنت اولاً ولدنا وخادمنا أنت وأسلافك معاً ؟ وإذا كانت هذه هي الحال ، فهل يخيل اليك ان مـا يكون عادلاً بالنسبة الينا يكون بالمثل عادلاً بالنسبة اليك ، وان كل مـا

تحاول ان تفعله بك يحق لك ان تثأر له ؟ فأنت لم تكن تملك مساواة في الحقوق وأبيك او مستخدمك ، (افتراضاً بأنه كان لك مستخدم) ، كي تمكنك من الثأر ، فلم يكن مسموحاً لك بأن ترد جواباً عندما كنت تُزجر او تؤنب ، او ترد الضربة عندما كنت تُضرب ، او ان تفعل كثيراً من الأمور من هـذا النوع ذاته . هل تترقب ان يكون لديك مـا يبيح لك الانتقام من بلادك وقوانينها ؟ ونحن اذا حاولنا اعدامك لاعتقادنا بأن من العدل ان نقوم بذلك فهل ستقوم أنت من جهتك ببذل أقصى ما لديك من جهود لتدمير بلادك وقوانينها رداً على فعلنا ذلك ؟ وهل ستزعم ، وأنت المتعبد الصادق للصلاح ، بأن لك مـا يبرر فعلتك تلك ؟ وهـل لك من الحكمة مـا يجعلك تنسى ان بلادك ، اذا ما قورنت بأبيك وامك وبقية أسلافك ، لهي أثمن منهم بكثير وأعمق منهم احتراماً وأسمى منهم قداسة ، وهي تتمتع باجلال أشد منهم ببعيد ، لدى الآلهة وفي أنظار جميع العاقلين من الناس ؟ ألا تدرك ان واجبك يستلزمك احترام وتهدئة غضب بلادك ، أشد من احترامك لغضب أبيك وتهدئته ؟ وألا تعـلم بأنه اذا لم يكن بمقدورك اقناع بلادك ويتوجب عليك آنذاك ان تنفذ كل ما تأمرك به وأن تذعن بصبر لكل عقوبة تفرضها عليك ، سواء أكانت العقوبة جلداً ام سجناً ؟ وان بلادك اذا قادتك الى الحرب ، كي تجرح او تخر قتيلا ، فيجب عليك ان تطيع وتذعن ، لأن من العدل ان تفعل ذلك ، وعليك ان تصمد وألا تتراجـع وألا تتخلى عن مركزك . ففي الحرب والمحـاكم وفي أي مكان يتوجب عليك ان تنفذ كل أمر تصدره اليك مدنيتك او بلادك ، او عليك خلافاً لذلك ان تقنعها وفقاً لمقتضيات العدالة العامة ، بتعديل ذلك ، لكن العنف لهو إثم حق إزاء والديك ، غير انه لابلغ إثماً اذا اقترفته ضد بلادك » — فيم ينبغي علينا ان نجيب عن هذا يا كريتو ؟ — فهل ما تقوله القوانين صحيح أم لا ؟

ك : أعتقد بأنه صحيح .

س : وقد تسترسل القوانين قائلة : « فلتتأمل يا سقراط ما اذا كان من العدل بالنسبة لنا ان نقول ان ما تحاول ان تفعله بنا ليس بعادل . فنحن بالرغم من اننا قد جئنا بك الى العالم وربيناك وثقفناك وأعطيناك وجميع مواطنيك مسهماً في جميع الطيبات التي في حوزتنا ، غير اننا وبسبب واقعة سماحنا بذلك نعلن جهاراً نهاراً المبدأ التالي :

« ان اي مواطن أثيني – يبلغ سن الرجولة ولا يرضى بالتنظيم السياسي للدولة وبنا نحن معشر قوانينها – مسموح له بأن يأخذ ما يملك ويذهب مهاجراً أنى يشاء ويرغب . واذا كان هناك من احد يرغب في الهجرة الى مستعمرة من مستعمراتنا، وذلك افتراضاً بأنه غير راض عنا وعن الدولة، او في الهجرة الى أي بلد آخر ، فليس هناك من قانون سيعترض سبيله او يحول بينه وبين الهجرة حيث يريد ، ولن يهدد ممتلكاته بأية مصادرة او خسارة. اما من الجهة الاخرى فإذا بقي اي مواطن أثيني وهو في سن تمكنه عن رؤية كيفية اقامتنا للعدالة وبنية مؤسساتنا العامة ، واستقر داخل نطاق سريان مفعولنا ، فان نعتبر بقاءه هذا بمثابة تعهد واضح وصريح بتنفيذ كل ما نطلبه منه ، ونعتبر اي مواطن يتمرد علينا ويعصانا مذنباً بتهم ثلاث منفردة : الاولى بسبب كوننا والديه ، والثانية بسبب اننا حماته ، والثالثة بسبب انه بعد ان تعهد باطاعتنا ، فهو لا يطيعنا ولا يحاول اقناعنا بتغيير قرارنا اذا كنا مخطئين في اي وجه من الوجوه، وعلى الرغم من ان جميع اوامرنا قد صيغت في اشكال مقترحات ، وهي لذلك ليست بأوامر وحشية ، ومع اننا نخيره بين اقناعنا وبين تنفيذ ما نطلبه ، غير انه لا يقوم في الواقع بأي من الامرين . هذه هي التهم الثلاث يا سقراط التي نقرر انك مدان بها اذا نفذت ما تشكو منه ، وانك لن تكون حينذاك اقل مواطنيك اجراماً بل ستكون واحداً من اعتى المجرمين . »

وانني اذا اجبت يا كريتو سائلا : « لماذا تقولون ذلك ؟ » فعندئذ ولا مرية سينقضون عليّ بعدالة كاملة ويشيرون قائلين : « إن في اثينا عدداً جد قليل من

النـاس الذين وقعنا معهم اتفاقية واضحة وضوح الاتفاقية التي ابرمناها معك . ومن ثم سيسترسلون قائلين : « اسمع يا سقراط ! ان لدينا الدليل القاطع عـلى انك راض بنا وبالدولة . فـلم يكن ليمنعك ذاك التردد الاستثنائي من الخروج من بلادك لو لم تكن متعلقاً بها ومشدوداً اليها شداً استثنائياً في شدته . فأنت لم تغادر ابداً المدينة لحضور مهرجان او لأي غرض آخر ما عدا في بعض الحملات العسكرية ، وانت لم تسافر ابداً خـارج بلادك كما يفعـل الآخرون ، وانت لم تشعر ابداً بأي حافز يحفزك عـلى التعرف عـلى أي بلد آخر او دستور غير دستور بلدك . لقد كنت مقتنعاً بنا وبمدنيتنا . لقد اخترتنا اختياراً اكيداً وواضحاً ، وتعهدت بمراعاتنا في جميع فاعلياتك بوصفك مواطناً ، وكدليل قاطع ما بعده من دليل عـلى كونك راضياً بمدينتنا هو انك قد انجبت اطفالاً فيها . وفضلا عن ذلك كان بامكانك في المحكمة أن تقترح عقوبة النفي لو اردت ذلك، وهذا ما يعني انك كنت قد فعلت بموافقة الدولة ما تحاول الآن فعله دون موافقتها ، ولظهرت حينذاك بمظهر نبيل من اللامبالاة فيما اذا كان من المتوجب اعدامك ، والحق انك فضلت الموت على النفي كما زعمت ، فما بالنا نراك الآن لا تبدي اي احترام لأقوالك السابقة ، ولا تكنّ اي تقدير لنا نحن معشر القوانين الذين تحاول تدميرنا ، انك تسلك مسلك أحط الخدم وأخسهم ، محاولاً الفرار بالرغم ممـا بيننا من اتفاقات وعهود سبق لك بموجبها ان وافقت في ظلها عـلى العيش كعضو من دولتنا . والآن فلتجب أولاً عن هذا السؤال : أننطق بالحق أو لا ننطق بـه عندما نقول إنك قـد تعهدت فعلا ان لم يكن قولاً بأن تعيش حياتك خاضعاً لنا ومطيعاً ؟ »

بماذا نجيب عن هذا السؤال يا كريتو ؟ ألسنا مرغمين على الرضوخ له ؟

ك : لا سبيل آخر أمامنا يا سقراط .

س : ومن ثم قد يسترسلون قائلين : « إذن فانه لواقع كونك تنقض المواثيق وتتنكر للعهود التي قطعتها لنا ، مع انك ابرمتها معنا بعيداً عن كل ضغط

وإكراه او سؤفهم ، ولم تكن مرغماً على اتخاذ قرارك ذاك ضمن فترة محدودة من الزمن ، فلقد توفرت لك من الأعوام سبعون كان بامكانك خلالها ان تغادر البلاد لو لم تكن راضياً بنا او لو شعرت بأن تلك الاتفاقات كانت جائرة مجحفة . وأنت لم تختر اسبرطة او كريت – النموذجيك الأثيرين للحكومة الصالحة – كما ولم تختر اية دولة اغريقية او اجنبية أخرى ، ولم يكن بمقدورك ان تتغيب عن المدينة اقل من تغيبك لو انك كنت اعرج او أعمى او مقعداً وعاجزاً بسبب ضعف ما . ولذا فانه لواضح كل الوضوح كون حبك لهذه المدينة ولنا نحن معشر قوانينها أشد من حب جميع سكان أثينا الآخرين . ومن بامكانه ان يهتم بمدينة من المدن ولا يهتم بقوانينها ؟ والآن وبعد كل هذا ألا تريد ان تفي بالتزامات اتفاقيتك ؟ نعم انك ستفي بها يا سقراط اذا استمعت وأطعت نصيحتنا ، وبذلك ستنجو من هزء الناس وسخريتهم منك بسبب مغادرتك المدينة . »

« ونحن نطلب اليك التأمل فيما سيكونه الخير الذي تحققه لنفسك ولاصدقائك اذا نكثت بعهدك ولطخت ضميرك بالعار . ومن الواضح بما فيه الكفاية ان عقوبة النفي او اسقاط الجنسية او مصادرة الممتلكات قد تنزل باصدقائك ايضاً . اما فيما يتعلق بك فانك اذا ذهبت الى احدى الدول المجاورة كطيبة او ميغارا اللتين تتمتعان بحكومة صالحة ، فستدخلها كعدو لدستوريها ، وستصبح في نظر جميع الوطنيين فيها محطاً للريبة ومداراً للشك بوصفك هداماً للقانون ، مدمراً للنظام . وهكذا فانك ستثبت صحة ما ذهب اليه المحلفون الذين حاكموك وستبرهن على انهم اصدروا الحكم العادل ، فمدمر القوانين قد يرى فيه الناس تأثيراً مدمراً للشبيبة وللكائنات البشرية الغبية التافهة ، إذن فهل انت عازم على تجنب العيش في الدول ذات الحكومات الصالحة وفي الاشكال الراقية في المجتمع البشري ؟ واذا تجنبتها فهل تكون الحياة جديرة بالعيش ؟ او هل ستدنو من هؤلاء الناس ويكون لك من الوقاحة ما يجعلك تتحدث اليهم ؟ وما هي المواضيع التي ستحدثهم بها يا سقراط؟ هل هي المواضيع ذاتها التي تحدثت بها في

اثينا حينما كنت تقول بأن الصلاح والاستقامة والمؤسسات والقوانين هي اثمن ما للجنس البشري من ممتلكات ؟ ألا تعتقد بأن سقراط وكل شيء عنه سيتبدى دنيئاً ساقطاً ؟ لا شك وبالتأكيد ينبغي عليك ان تعتقد بذلك . ولكن ربما كنت تريد ان تنسحب من هذا العالم وتذهب الى اصدقاء كريتو في تساليا ؟ ان هذه المنطقة هي موطن الفوضى والتمرد والانحلال ، ولا شك انهم سيطربون لسماع قصة فرارك المسلية وسيسرون وانت تحدثهم عن كيفية فرارك من السجن بتنكرك برداء ما او بارتدائك عباءة راع ، او اي لباس تنكري آخر يسهل فرارك ، وتبديلك لمظهرك الشخصي . وهنا ألن تجد من يعلق قائلا بأن شيخاً طاعناً في السن ، لم يتبق له من الاجل سوى فترة قصيرة يتشبث بنهم باهداب الحياة ويدفع ثمن تشبثه هذا الاعتداء على أصرم القوانين وأقساها ؟ لربما لن تجد من يعلق بهذا القول اذا لم تستفز احداً او تستثره . وإلا فانك ستسمع خلافاً لذلك بالكثير من التعاليق المهينة . وهكذا فانك ستعيش يا سقراط كمنافق وعبد لجميع السكان ، كما لو انك قد غادرت هذه البلاد الى تساليا لحضور وليمة تقام هناك، وعندئذ فأين ستدور ابحاثك عن الصلاح والاستقامة، هذا ما نرغب في ان نعرفه ؟ ولكن من البدهي انك تريد ان تعيش من اجل اطفالك ، كي تتمكن من تربيتهم وتعليمهم . أحسنت ! وهكذا تأخذهم اولاً الى تساليا وتجعل منهم اجانب غرباء ، كي توفر لهم متعة إضافية ؟ واذا لم يكن هذا قصدك ، فلنفترض بانهم ترعرعوا هنا وأنت لا تزال حياً ، فهل ستكون العناية بهم وتعليمهم افضل حالا بدونك، بسبب ان اصدقاءك سيهتمون بداهة بامرهم ؟وهل سيهتمون بأمرهم اذا ذهبت الى تساليا واذا لم تذهب الى العالم الآخر ؟ بالتأكيد فإذا كان اولئك الذين يجاهرون بانهم أصدقاؤك جديرين بأي شيء ، فعليك أن تعتقد آنذاك بأنهم سيتعهدونهم رعاية وعناية .

« كلا يا سقراط ، ولتسمع نصيحتنا نحن حماتك ، فلا تفكر باطفالك او بحياتك او بأي شيء آخر أشد من تفكيرك بما هو حق وعدل ، وذلك كي

يتوفر لك كل هذا ، عندما تدخل العالم الآخر لإبدائه في دفاعك أمام السلطات هناك . ومن الواضح انك اذا ما أقدمت على هذا الأمر فلن تكون انت ولا أي من اصدقائك أفضل حالاً او أكثر استقامة او أنقى ضميراً في هذا العالم ، كما لن تكون أفضل حالاً عندما تبلغ العالم الآخر . فواقع الأمر انك ستغادر هذا المكان ، وعندما تغادره ، ستغادره كضحية خطأ لم نقترفه نحن معشر القوانين بل اقترفه مواطنوك ، لكنك اذا غادرته بتلك الطريقة المشينة رداً على الخطأ بالخطأ وعلى الشر بالشر ، وناقضاً لاتفاقياتك ومواثيقك معنا ، وضاراً بأولئك الذين يجب ان يكونوا أبعد الناس عن ضررك – ضاراً بنفسك واصدقائك وبلادك وضاراً بنا – فعندئذ عليك ان تجابه غضبنا في حياتك هنا ، وحينما تعلم هناك قوانين العالم الآخر بأنك بذلت أقصى جهدك لتدمرنا نحن اخوانك ، فلن يستقبلوك بالترحاب . لذلك فلا تعمل بنصيحة كريتو ، وإنما اتبع نصيحتنا » .

أؤكد لك يا عزيزي كريتو ان هذا ما يقولونه لي كما يبدو لمسمعي ، وان حالي آنذاك تماثل تماماً حال ذلك الصوفي الذي يخيل اليه أنه يسمع نغمات الموسيقى ، وان صوت براهينهم ليدوي في أذني ضاجاً الى درجة لا استطيع معها سماع الجانب الآخر . وانني لأحذرك ، كما أرى حالياً ، من انك عبثاً تحاول اقناعي بوجهة نظر مختلفة . وعلى كل حال فانك اذا وجدت فيها أي نفع فلتقل ما تريده .

ك : كلا يا سقراط ليس لدي من أمر أقوله .

س : إذن فلتتخل عن مشروعك يا كريتو ! ولنتجه هذه الوجهة ، ما دام الله يشير الى الطريق .

ملحوظة

المحادثة الأخيرة

يروي شاهد عيان يدعى فيدو الاليسي قصة الايام الاخيرة من حياة سقراط ، وهو يرويها الى مجموعة من الزملاء الفلاسفة الذين يعطفون على سقراط ويحلونه ، ومن هؤلاء يتحدث واحد فقط ويدعى اشيكراتيس . ويدور حديثهم في فيليوس ، وهي بلدة صغيرة تقع شمالاً الى الشرق من البلوبونيز ، وهكذا ففيدو حوار منقول وهو بالتالي حوار داخل حوار ، لكن ليس مجرد وصف لما قيل وحدث في أيام سقراط الاخيرة ، وإنما هو اكثر من جزية تدفع الى موت يتألق كرامة ونبلاً ، في محاولة ترمي الى تشجيع المرء بكل وسيلة على الإيمان بخلود الروح – وهو لا يحاول البرهنة على هذه العقيدة بالمنطق ، لأن افلاطون كان يعرف حق المعرفة بأن التدليل منطقياً على هذا الأمر أمر مستحيل ، بل يحاول ان يستوصي الحدس بهذه العقيدة . واذا كان سقراط يذهب في هذا الحوار الى ما وراء الوقائع الحرفية ، فلومنا اياه على ذلك يجب ألا يزيد عن لومنا لمصور زيتي لصورة يكشف في صورته عن اكثر من المظهر الجسدي لموضوعها ، وذلك لأنه يراد للإيمان بالخلود ان يكون الايحاء لنا بأطاعة وصية المعلم : بأن نعيش حياة الفيلسوف الحقيقي . والحق ان فيدو هي فعلا وواقعاً وصية سقراط .

فيدو

ا : هـل كنت حاضراً بنفسك يا فيدو عندما جرى اعدام سقراط ، او انك سمعت عن تنفيذه به من شخص آخر ؟

ف : كلا لقد كنت حاضراً بنفسي .

ا : إذن مـا الذي قاله المعلم قبل وفاته وكيف استقبل نهايته ؟ فأنا شديد الرغبة في معرفة ذلك . فليس هناك من أحد من سكان فيليوس يكثر من التردد على أثينا في هذه الايام ، ونحن منذ فترة طويلة لم نستقبل أي زائر منها يستطيع ان يزودنا بمعلومات موثوقة ، باستثناء القول إنه جرى تنفيذ الاعدام به بتجرع عصارة الشوكران ، ولم يقم أي من الناس باطلاعنا على اكثر من ذلك .

ف : إذن ألم تسمع حتى بكيف جرت محاكمته ؟

ا : نعم لقد أخبرنا احدهم بذلك ، ولقد دهشنا إذ ألفينا ان فترة طويلة من الزمن قد فصلت بين صدور الحكم وبين تنفيذه . فما سبب ذلك يا فيدو ؟

ف : لقد تسببت في ذلك صدفة سعيدة . فلقـد حدث انهم لم ينتهوا من تزيين

كوثل السفينة المرسلة الى ديلوس الا قبل يوم واحد من بدء المحاكمة .

أ : ماذا تكونه هذه السفينة وما شأنها ؟

ف : يقول الاثينيون إنها السفينة التي أبحر بها ثيسيوس الى كريت مصطحباً سبعة شباب وسبع فتيات وأنقذ حياتهم وحياته ايضاً . وتقول الرواية ان الاثينيين قد عاهدوا أبولو وأقسموا له على انه اذا تم انقاذ اولئك الفتيان والفتيات فسيرسلون كل عام بسفارة الى ديلوس للتعبير عن شكرهم وعرفانهم ، وقد حافظوا منذ ذاك الحين حتى يومنا الراهن هذا ، على نذرهم للإله . ولدى سكان أثينا قانون ينص على انه حالما تبدأ هذه السفارة يجب ان تبقى المدينة نقية طاهرة ، وألا يجري تنفيذ احكام الاعدام حتى تكون السفينة قد وصلت ديلوس وعادت منها ثانية . وهم يعتبرون ان السفارة تبدأ حالما يكون كاهن أبولو قد انتهى من تزيين كوثل السفينة ، وقد حدث هذا الأمر كما قلت في اليوم السابق للمحاكمة . وهذا ما جعل سقراط يمضي تلك الفترة الطويلة في السجن ، والفاصلة ما بين محاكمته واعدامه .

أ : ولكن ما الذي تعرفه عن ظروف موته يا فيدو ؟ وما الذي قيل وحدث وأي من رفاق المعلم كان حاضراً تلك الساعة ؟ او هل رفضت السلطات الترخيص لرفاقه بالحضور ، حيث توفي دون ان يكون هناك من صديق الى جانبه ؟

ف : كلا ، لقد حضر بعضهم وفاته — والواقع ان عددهم كان غفيراً .

أ : انني أرغب اليك في التلطف باعطائنا وصفاً مسهباً عما حدث ، ما لم يكن وقتك ضيقاً .

ف : كلا ! سأحاول وصف ما حدث . فليس هناك من أي شيء يشيع السرور

في نفسي اكثر من استذكار ذكرى سقراط ، وذلك إما بالتحدث أنا بنفسي او بالاصغاء الى الآخرين يتحدثون عن ذكراه .

أ : حسناً يا فيدو ! فأنت ستشعر بأن سامعيك يشعرون تماماً كما تشعر . فهيا صف لنا بكل اسهاب وتفصيل وبكل ما بمقدورك من عناية واعتناء !

ف : لقد كانت أحاسيسي ، باديء ذي بدء ، استثنائية وغريبة تماماً في تلك الساعة . فلم يخطر في بالي البتة ان اتفجع لمصيره وأرثي له ، كما قد تترقبون من امريء يقف الى جانب فراش موت صديق عزيز للغاية على قلبه . ولقد بدا المعلم سعيداً كل السعادة ، وقد شعت سعادته هذه في سلوكه وفيما قاله معاً . ولقد استقبل موته بشجاعة ونبل ، بحيث لم استطع الا ان أشعر بأنه سيكونه حتى في طريقه الى العالم الآخر محاطاً بعناية الله ورعايته ، وانه حالما يبلغ ذاك العالم سيلقى كل خير ، وذلك ان كانت هذه – فيما مضى – حال أي من الناس. وهكذا فانني لم أشعر بأي حزن إطلاقاً ، كما قد تترقبون مني في مثل مناسبة مهيبة كهذه ، كما وانني لم أشعر في الوقت ذاته بأية غبطة لانهاكنا في البحث الفلسفي المألوف – إذ ان هذا كان الشكل الذي اتخذته أبحاثنا – لقد أحسست بإحساس غير قابل للادراك ، إذ كان مزيجاً من اللذة والألم ، بحيث أدرك عقلي ان صديقي سيموت خلال فترة قصيرة . وجميعنا من الحضور كان يخالجهم الشعور عينه إذ توزعهم الضحك والنحيب ، وكان أحدنا بصورة خاصة ، وهو أبولو دوروس – وانت تعرف فطرته أليس كذلك ؟

أ : طبعاً أعرفه .

ف : لقد فقد كل سيطرته على نفسه ، وهذا مما ازعجنا أنا والآخرين شديد الازعاج .

أ : من كان حاضراً تلك الساعة يا فيدو ؟

ف : كان حاضراً من سكان أثينا ذاك الرجل أبولو دوروس وكريتو بولوس وأبوه ، ومن ثم كان حاضراً ايضاً هرموجينيس وابيجبينيس واشينيس وانتيثينيس. ومن الحضور كذلك كان مستسيبوس البيانيسي ومنكسينوس وبعض آخر من أهل أثينا . أما افلاطون فاعتقد بأنه كان مريضاً يومذاك.

أ : هل جاءكم زائرون من خارج أثينا ؟

ف : نعم لقد حضر سيمياس الطيبي برفقة سيبيس وفيدو نداس ، وحضر يوقليد وتربسيون من ميغارا .

أ : وارستيبوس وكليوبروتس ألم يكونا حاضرين ؟

ف : كلا لقد كانا على ما يبدو في بلدة إجينا .

أ : هل كان هناك آخرون غير اولئك ؟

ف : كلا ! أعتقد بأنني قد ذكرت جميعهم .

أ : حسناً ! أي شكل اتخذه البحث ؟

ف : سأحاول ان أروي لكم كل ما دار انطلاقاً من مستهل البداية . لقد جعلنا جميعاً ، وحتى في اليوم السابق لتنفيذ الحكم ، من زيارة سقراط يومياً عادة منتظمة لنا .فكنا نجتمع عند مطلع الفجر بالقرب من قاعة المحكمة ، حيث جرت محاكمة المعلم ، نظراً لكونها قريبة ، من السجن . وكنا نمضي دائماً بعض الوقت في الحديث بانتظار فتح بوابة السجن ، ولم تكن هذه البوابة تفتح أبداً في وقت جد مبكر ، وعندما كانت تفتح كنا ندخل على سقراط ونمضي ، بصورة عامة ، طيلة يومنا معه . ولكن – في اليوم المعين لاعدامه – اجتمعنا في وقت أبكر من المعتاد ، وذلك لأننا قبل ان نغادر السجن في مساء اليوم السابق لذاك اليوم ، سمعنا بأن السفينة قد

عادت لتوها من ديلوس ، وهكذا استخف الواحد منا الآخر على الاجتماع في مكان تلاقينا المعتاد ، في أبكر وقت ممكن . وعندما بلغنا بوابة السجن ، قال لنا البواب – بدلاً من السماح لنا بالدخول كالمعتاد – بأن علينا ان ننتظر حتى يعود الينا . ثم استطرد قائلا بأن المفوضين يفكون الآن سقراط من أغلاله وينذرونه بأن الحكم سينفذ به اليوم . وبعد مضي فترة قصيرة من الوقت عاد الينا وسمح لنا بالدخول .

وعندما دخلنا عليه وجدناه قد تحرر لتوه من قيوده ، وألفينا كزانتيبي – وانتم لا شك تعرفونها – تجلس بالقرب منه وقد أجلست صبياً صغيراً على ركبتها . وما كادت كزانتيبي تشاهدنا ندخل على سقراط حتى صرخت تولول بتلك الملحوظة التي قد تترقبونها من امرأة : أواه يا سقراط ! ان هذه هي المرة الاخيرة التي ستتمكن فيها من الحديث واصدقائك ! « فتطلع سقراط الى كريتو وقال » : يا كريتو من الافضل ان يعود بها احدهم الى بيتها . فتقدم أحد خدم كريتو منها وأمسك بيدها وقادها خارجاً وهي تبكي وتنتحب بصورة هستيرية .

استقعد سقراط على فراشه ، ومن ثم مد ساقه واخذ يدلكها وهو يقول بلهجته المألوفة : « يا له من أمر غريب ، أيها الاصدقاء ، هذا الإحساس الذي يسمونه ، بصورة عامة ، اللذة ! والحق انه لمن المذهل كونه وثيق الارتباط بنقيضه التقليدي الألم . فهذان لن يبادرا أبداً المرء في وقت واحد معاً ، ولكنكم اذا لاحقتم الواحد منهما وامسكتم به ، فستجدون انفسكم مرغمين تقريباً دائماً على الامساك بالآخر ايضاً . انهما كجسدين موثوقين بالرأس الواحد ذاته . وانني لواثق لو ان اسوب قد فكر بهذا الموضوع لكان قد وضع اسطورة عنهما على الشكل التالي تقريباً :

« لقد أراد الله ان يضع حداً لاختصامهما الدائم ، وعندما وجد هذا الأمر

مستحيلا ، قام فربط رأسيهما معاً ، وهكذا حيثما يظهر الواحد منهما يترتب على الآخر بالتأكيد اتباعه . وهـذا هو عـلى ما يبدو يحدث لي تماماً الآن . فلقد كنت اشعر بألم في ساقي من جراء القيد ، والآن اشعر باللذة التي تعقبه .

وهنـا تدخل سيبيس قائلاً : انني جد مسرور يا سقراط ، فلقـد ذكرتني بأمر . لقـد سألني افينوس منـذ يوم او يومين ، كما سألني آخرون قبـله ، عن القصائد الغنائية التي نظمتها اخيراً مقتبساً اساطير اسوب وافتتاحية أبولو ، وهو يريد ان يعرف السبب الذي حداك لتنظمها الآن بعد دخولك السجن ، حيث لم يسبق لك البتة ان قمت بمثل هـذا العمل من قبل . فاذا رغبت إليّ في إجابة افينوس عندما يسألني عن هذا الأمر ثانية — ولا شك انه سيسألني — فلتقل لي بماذا أجيب » .

فأجابه سقراط :

« فلتقل له الحقيقة ! واخبره بأنني لم أنظم تلك القصائد لأنافسه او انافس شعره — الأمر الذي أعلم بأنه ليس بالسهل » بل نظمتها لأكتشف مغزى احلام معينة ، وكي أريح ضميري ، وذلك في حالة كون هذا الفن هو الفن الذي يتوجب عليّ ان امارسه كما قيل لي . والأمر وما فيه أنه كان يتراءى لي طيلة حياتي الحلم الواحد ذاته ، لكنه كان يتبدى في صور مختلفة وفي اوقات متباينة ، على انه كان لا يفتأ يردد القول ذاته على مسمعي ، لقد كان يقول لي : « فلتمارس الفنون يا سقراط ولتدمثها » ! وفي الماضي كنت أعتقد بأن هذا القول يحرضني ويحثني على فعل مـا كنت أفعله بالواقع ، وأعني بذلك ان هـذا الحلم ، كالمشاهد الذي يشجع العداء ، كان يحثني عـلى فعل مـا كنت فعلته قبل ذلك ، أي ممارسة الفنون ، وذلك لأن الفلسفة هي اعظم الفنون جميعاً ، وهذه كنت أمارسها . ولكن منذ محاكمتي حتى هذه اللحظة ، وبينما كان مهرجان الإله يعيـق تنفيذ حكم الاعدام بي ، شعرت بأن الحلم قد يعني بقوله أن عليّ ان امارس هـذا

الشكل الشعبي من الفن ، وفي هذه الحالة تتوجب علي ممارسته وألا أعصى او أتمرد . ولقد اعتقدت بأن من الافضل لي ألا أغادر هذا العالم قبل إراحة ضميري بنظم الشعر ، وبذلك اكون قد أطعت أوامر الحلم . وهكذا بدأت هذه الممارسة بنظم بعض أبيات في مدح الإله الذي كانوا يحتفلون بعيده . وعندما انتهيت من نظم الترنيمة ، فكرت بأن الشاعر ، اذا كان جديراً بلقب شاعر ، عليه ان يختار المواضيع الخيالية لا الوصفية مواضيع لقصائده . ولكن لم تكن لدي تلك الموهبة لابتكار الاساطير ، ولذا عمدت الى اقتباس بعض اساطير اسوب ، لأنني كنت مطلعاً عليها ، وكانت موجودة لدي . وهكذا نظمت اول واحدة منها وقعت عليها يدي . وبامكانك يا سيبيس ان تجيب افينوس بهذا ، وارغب اليك في ان تودعه عني وتقول له بأن يلحق بي بأسرع ما يمكن اذا كان حكيماً . وانني ، على ما يبدو ، ذاهب اليوم ، وبهذا تقضي أوامر بلادي » .

وهنا بادره سيمياس سائلا :

« أية نصيحة توجهها لافينوس يا سقراط ؟ فأنا تعاملت معه ، قبل الآن ، لفترة طويلة من الزمن ، ومما أعرفه عنه انه لن يكون مستعداً بتاتاً لاطاعتك.

وهنا سأله سقراط :

– لماذا ؟! أليس افينوس فيلسوفاً ؟

فأجابه سيمياس :

– هذا ما اعتقده به .

فقال سقراط :

– حسناً إذن سيكون مستعداً تماماً لاطاعتي ، شأنه في ذلك شأن أي

إنسان آخر يرتكز الى أسس صحيحة في الفلسفة . وعلى كل حال فهو لن يقدم طائعاً مختاراً على الانتحار ، وذلك لأنهم يقولون ان مثل هذا الأمر غير مشروع.

قال هذا ، ثم وضع قدمه على الارض ، ولبث جالساً على هذه الصورة طيلة حديثنا . وهنا بادره سيبيس سائلا :

– ما الذي تعنيه بقولك بأنه غير مشروع ان يقدم المرء على الانتحار مع ان الفيلسوف سيكون مستعداً لاتباع صديق يموت ؟

فأجابه سقراط .

– ولم سؤالك هذا يا سيبيس ، ألم تسمع وسيمياس عن هذه الأمور عندما كنتما برفقة فيلولوس ؟

فرد سيبيس قائلا :

– كلا لم نسمع بأي شيء أكيد وواضح .

فقال سقراط :

– حسناً ! حتى معلوماتي أنا بالذات مبنية على السماع ، بيد انني لا أمانع البتة في ان اقول لكم ما سمعته . أنا افترض بأنه بالنسبة لأمرىء سيغادر هذا العالم قريباً ، لا يوجد من عمل أفضل من البحث في نظرياتنا في العالم الآخر ، ومن محاولتنا لأن نرى على أي شكل يكون . فأي عمل آخر غير هذا يستطيع المرء ان يقوم به قبل الغروب ؟

فأجابه سيبيس :

– فلتقل لي يا سقراط ما هي أسباب القول بأن الانتحار أمر غير مشروع ؟ لقد سبق لي ان سمعتهم قبل الآن يصفونه بأنه خطأ وغير مشروع ، وقد سمعت

ذلك (كما قلت) من فيلولوس ، عندما كان مقيماً معنا ، ومن آخرين غيره كذلك ، ولكنني لم أتمكن حتى الآن من الحصول على تفسير واضح وأكيد لهذا الأمر » .

فأجابه سقراط :

– عليك ألا تقنط فلربما ستسمع أحدهم يفسره لك ذات يوم . وعلى كل حال فسيبدو لك غريباً أنه ينبغي على هذا السؤال ان يكون السؤال الوحيد الذي لا يجد له جواباً غير أهل به – وأعني بذلك كما لو انه لم يحدث أبداً فيما يتعلق بقضية الموت والحياة (الأمر الذي يحدث في جميع القضايا الأخرى) ، ان يكون الموت في بعض الأحيان وبالنسبة لبعض الناس أفضل من الحياة ، ولربما يبدو لك غريباً كذلك انه ليس من العدل بالنسبة لذاك البعض الذي يرى في الموت نفعاً او فائدة ألا يقدم على إجتنائها بل ان يضطر لانتظار من يؤدي له هذه الخدمة .

فضحك سيبيس بلطف وقال بلهجته العامية « هذا ما يحدث » .

أما سقراط فاسترسل قائلاً :

– نعم فنحن حين نتحدث عنه بهذه اللهجة فقد يبدو بالتأكيد انه أمر غير معقول . وان الصورة المجازية التي يرسمها لنا المتصوفون حينما يقولون أننا نحن معشر البشر قد وضعنا في نوع من نقطة حراسة بحيث يتوجب على المرء ألا يتحلل من هذا الواجب او يفر هارباً ، فهذه الصورة المجازية تبدو لي انها نظرية سامية وذات مضامين شاقة . ولكن الأمر سيان يا سيبيس فأنا أعتقد بأن الآلهة هم حراسنا والقيمون علينا ، ونحن أحد ممتلكاتهم . ألا تعتقد بذلك ؟

فأجابه سيبيس :

طبعاً أرى ذلك .

فاستطرد سقراط قائلاً :

– إذن فلتتأمل في حالك ، فاذا أراد أحد ممتلكاتك ان يدمر ذاتـه دون ايعاز او اشارة منك اليه بأنك ترغب في موته ، أفلا تغضب منه وتعاقبه إذا توافرت لك وسائل عقابه ؟

فرد سيبيس قائلاً :

– طبعاً .

فاسترسل سقراط :

– وهكذا فانك إذا نظرت الى لا مشروعية الانتحار من هذه الزاوية ، فلن يبـدو لك القول غـير معقول ، القول بأنـه يتوجب علينا ألا نضع نهاية لحياتنا ، ويجب ان نتريث الى ان يُكرهنا الله على ذلك اكراهاً كالاكراه الذي نجابهه الآن .

فرد سيبيس يقول :

– ان ما قلته يبدو معقولاً تماماً وأنا اسلم بذلك . ولكنك كنت تقول منذ هنيهة بأن الفلاسفة يرغبون كل الرغبة في الموت – وهذا القول يبـدو لي غـير معقول بتاتاً ، وذلك إذا افترضنا ان الله هو حارسنا وبأننا نحن من ممتلكاته . وإذا كانت الآلهـة توجه هـذه الخدمة ، والآلهة هم افضـل الاسياد ، فعندئذ سيكون ممـا لا يقبل التفسير القول بأنه يتوجب عـلى أحـكم البشر ألا يبتئس عندما ينعتق من الحياة ، وذلك لأنـه ، بالتأكيد لا يستطيع ان يترقب تدبير أمور نفسه بشكل افضل عندما يكون متحرراً من ربقة الحياة . ومن جهة أخرى ، فالإنسان الغبي قد تراوده فكرة تقول بأن فراره من سيده يعود عليه بالنفع والفائدة ، ومثل هذا الإنسان قد لا يعقل انه يتوجب على المرء ألا يفر

من سيد طيب وكريم، بل عليه ان يبقى معه اطول مدة ممكنة، وهكذا فقد يفر هارباً دون إمعان او تبصر فضلاً عن ان الإنسان العاقل قد يرغب في البقاء دائماً برفقة سيده او رئيسه . وهكذا فانك إذا نظرت الى هذا الموضوع من هذه الزاوية فان الواقع الصحيح هو تماماً نقيض ما قلته لتوك : ومن الطبيعي ان يبتئس الإنسان الحكيم عندما يموت ، وان يبتهج الغبي حينما توافيه المنية .

وعندما كان سقراط يصغي الى قول سيبيس هذا بدا لي على انه قد وجد في إلحاح سيبيس وعناده تفكهة وطرافة ، ثم استدار نحونا ببصره وقال :

– هل تعلمون ان سيبيس يتحرى دائماً الاقوال ويدقق فيها بحثاً وتمحيصاً ، وهو غير مستعد ابداً للتسليم بظاهر أي قول ، لأنه يرغب في الغوص في باطنه .

فأجابه سيمياس .

– لكنني أعتقد يا سقراط بأن ثمة شيئاً من جوهر فيما يقوله هذه المرة . فلماذا ينبغي على رجل حكيم حقاً ان يرغب في الفرار من اسياد هم افضل منه ، وان يتخلص منهم بمثل تلك السهولة ؟ وأنا أعتقد بأن سيبيس يستهدف بنقده شخصك بالذات ، وذلك لأنك تجعل من هجرانك لنا وللآلهة كذلك أمراً سهلاً زهيداً ، وانت بذاتك تسلم وتعترف بأن الآلهة اسياد طيبون كرماء .

فرد سقراط قائلاً :

– لقد اقسطت فيما قلته انت وسيبيس ، وانك لتعني كما اعتقد ، بأنه يتوجب عليّ ان ادافع عن نفسي ضد هذا الاتهام .

فأجابه سيمياس .

– هذا ما أعنيه تماماً .

فقال سقراط :

– حسناً ! فلتسمحوا لي بأن ألقي عليكم دفاعاً أشد اقناعاً من الدفاع الذي دافعت به عن نفسي امام المحكمة . فأنا لو لم اكن أترقب أولاً الالتحاق برفقة حكماء وآلهة كرماء طيبين ، ثم برفقة أناس موتى الآن لكنهم افضل ممن يعيشون في هذا العالم ، لكان صحيحاً قولكم بأن من الخطأ ألا احزن وابتئس من الموت ، وانه – والحق يقال – لبمستطاعكم التأكد انني اترقب ان أجد نفسي في صحبة أناس أخيار طيبين ، وأنا لن أصر على هذه النقطة ، إنما أصر كل الاصرار على النقطة الثانية وهي انني سأجد نفسي برفقة اسياد إلهيين هم الخير الأعلى . وهذا يجعلني غير متكدر الكدر الذي قد ينزل بي ، وهو كذلك السبب في كوني شديد الأمل راسخه بأنه يوجد هناك شيء ما مُعدّ ومختزن لأولئك الذين توفوا ، (وذلك كما قيل لنا طيلة سنين عديدة) ، وهذا الشيء لأفضل بكثير للاخيار منه للاشرار .

وهنا سأله سيمياس :

– حسناً ، وما هو اعتقادك ونظريتك في هذا الأمر يا سقراط ؟ هل تنوي الاحتفاظ بمعرفتك هذه لنفسك ، وانت عازم الآن على مغادرتنا ، أم تريد ان تطلعنا عليها ؟ وأنا اعتقد بأنـه ينبغي ان يكون لنا مسهم في هذا العزاء ، وفضلاً عن ذلك فان إطلاعنا على ما تعرفه عن هذا الأمر سيكون افضل دفاع عن نفسك ، وذلك إذا تمكنت من اقناعنا بما تقوله .

فرد سقراط قائلا :

– حسناً جداً ! سأحاول ذلك ، ولكن يبدو لي قبـل ان ابدأ ان كريتو كان يرغب منذ فترة في قول شيء ما ، فلنستمع الى ما يريد قوله .

فأجاب كريتو :

– لقد أردت فقط ان اقول يا سقراط ان الرجل الذي سيقدم اليـك السم

ما يزال منذ طويل وقت يطلب إلي اعلامك بان عليك ان تقل ما استطعت من الحديث ، لأن الحديث يشيع الحرارة في جسدك ، كما يترتب عليك ألا تقوم باي عمل يضعف من مفعول السم ، وخلافاً لذلك ، يكون من الضروري احياناً ان يتناول المرء جرعة ثانية وحتى ثالثة منه .

فأجابه سقراط :

ـ هذا شأنه ، وليقم بإعداداته لتقديم السم لي في جرعتين او ثلاث اذا قضت الضرورة بذلك .

فأجابه كريتو :

ـ لقد كنت على ثقة بان هذا سيكون جوابك، لكنه كان خلال فترة طويلة يزعجني بذلك .

فرد سقراط قائلا :

ـ لا تكترث بامره ! أتوجه اليكم الآن ايها المحلفون ، راغباً في ان اشرح لكم لماذا يبدو لي من الطبيعي انه ينبغي على انسان كرس حقاً نفسه للفلسفة ان يبتهج متهللا امام الموت ، واثقاً من انه سيجد اعظم بركة في العالم الآخر عندما تنتهي حياته . وسأحاول ان اوضح لك يا سيمياس وسيبيس كيف يمكن لهذا الأمر ان يكون على الصورة التي ذكرت .

يبدو ان الناس العاديين لا يدركون ان اولئك الذين يكرسون انفسهم تكريساً صحيحاً للفلسفة ، يكونون بعملهم هذا يعدون انفسهم مباشرة وباختيارهم للموت . فاذا كان ما قلته صحيحاً وكان مثل اولئك الناس يتطلعون طيلة حياتهم الى الموت ويترقبونه ، فعندئذ يكون من السخف ان يتكدروا وينزعجوا حينما يجيء ذاك الشيء الذي اعدوا انفسهم له وترقبوه هكذا طويلا».

فضحك سيمياس وقال :

– اقسم لك يا سقراط على انك قد أضحكتني مع انني لم أكن لأشعر البتة بأية رغبة في الضحك ، وانا لواثق من انهم لو سمعوا ما قلته فان معظم الناس سيعتقدون – كما وان مواطنينا سيوافقون بسرور – على انها لضربة سديدة وجهت الى الفلاسفة حينما قالوا بان الفلاسفة انصاف موتى وهم على قيد الحياة ، وان العاديين من الناس يعرفون حق المعرفة بان الموت يخدم قضية الفلاسفة .

فأجابه سقراط :

– انهم يكونون بذلك قد اصابوا كبد الحقيقة يا سيمياس ، ما عدا اعتقادهم بانهم يعرفون حق المعرفة بذلك . فأولئك العاديون من الناس لا يعرفون بتاتاً ولا يدركون اطلاقاً المغزى الحقيقي للقول بان الفلاسفة انصاف موتى ، ولا يعلمون ما هو معنى استحقاقهم للموت ، ولا أي نوع من الموت يستحقونه . ولكن لنترك أولئك وشأنهم ، ولنتحدث فيما بيننا . هل نعتقد بانه يوجد شيء كذاك الذي يسمونه بالموت ؟

فانطلق سيمياس الذي اخذ الآن يقوم بدور المجيب قائلا :

– طبعاً وتأكيداً .

فاستطرد سقراط سائلا :

– هل الموت فقط تحرر الروح من الجسد ؟ هل الموت اي شيء اكثر او أقل من هذا ، ألا وهو حال الجسد المنفرد بذاته عندما يتحرر من الروح ، وحال الروح المنفردة بذاتها عندما تتحرر من الجسد ؟

هل الموت اي شيء آخر غير هذا ؟

– كلا انه فقط ذلك .

ـ حسناً يا بني فلترَ فيما اذا كنت ستتفق معي ، فانا اعتقد بان هـــذا الأمر سيساعدنا على العثور على الحل لقضيتنا . هـل تعتقدون بانه من الصواب ان يشغل الفيلسوف نفسه بما يسمى باللذائذ المرتبطة بالطعام والشراب ؟

فأجاب سيمياس :

ـ طبعاً لا يا سقراط .

فاسترسل سقراط سائلاً :

ـ وما قولك باللذائذ الجنسية ؟

ـ هذه بتاتاً .

ـ وما قولك بالعنايات الأخرى التي نحيط بها اجسادنا ؟ هل تعتقد بان الفيلسوف يعلق أية أهمية عليها ؟ واعني بهذه العنايات تزويد اجسادنا بالثيـاب الجميلة والاحذية وغيرها من الحلل والزينات الجسدية . فهل تعتقد بان الفيلسوف يقدر هذه الأشياء او يحتقرها ـ وذلك في حالة عدم وجود ضرورة فعليـة تستوجبه هذا النوع من الاشياء ؟

فأجاب سيمياس :

ـ اعتقد بانه يحتقرها .

فاستطرد سقراط يسأل :

ـ إذن فانك ترى بصورة عامة ان انساناً من هذا النوع لا يكون مرتبطاً بالجسد ، بل يحافظ بكل ما له من قوة ، على بقائه بعيداً عن الجسد وموجهـاً نحو الروح ؟

فقال سيمياس :

– نعم هذا ما أراه .

فأجابه سقراط قائلاً :

– إذن فمن الواضح اولاً ان الفيلسوف فيما يتعلق باللذائذ الجسدية يحرر الروح (والى ابعد حد ممكن) من ارتباطها بالجسد ، ويبلغ بتحريره هذا لها حداً ابعد من اي انسان آخر ، أليس الأمر كذلك ؟

فرد سيمياس قائلا :

– ان الأمر يبدو على هذه الحال .

فاسترسل سقراط سائلاً :

– ألا تعتقد يا سيمياس بان معظم الناس يعتقدون بان الانسان الذي لا يجد أية لذة ولا يشارك في مثل هذه الاشياء لا يستحق العيش ، وبان أي امريء لا يبالي باللذائذ الجسدية يكون بذلك قد وضع احدى قدميه في القبر ؟

فرد سيمياس :

– ان ما تقوله لصحيح تماماً .

فاسترسل سقراط قائلا :

– والآن فلنتمعن في أمر اكتساب المعرفة ، ألا ترى ان الجسد يكون عقبة في هذا الطريق اذا اشركناه في التحري والبحث أم لا ؟ ان ما اعنيه في سؤالي هذا هو : هل نستطيع ان نضع أية ثقة في البصر والسمع البشريين ، أم ان الأمر هو كما يجلجل به دائماً الشعراء في آذاننا قائلين باننا لا نسمع ولا نرى اي شيء بصورة صحيحة ؟ ومع ذلك فان هاتين الحاستين اذا لم يكونا واضحتين

وصحيحتين، فبالكاد يكون باقي الحواس على تلك الحال، وذلك لأن الحواس الباقية هي دون الحاستين الآنفتي الذكر مكاناً . ألا توافقني على ذلك ؟

فرد سيمياس :

ـ طبعاً وبالتأكيد .

فقال سقراط :

ـ اذن متى تبلغ الروح الحقيقة ؟ انها عندما تحاول البحث في اي شيء بمساعدة الجسد ، فعندئذ تضل اكيداً .

ـ انه لصحيح تماماً .

فاستطرد سقراط :

ـ أليس خلال التأمل تستحصل الروح على نظرة واضحة الى الحقائق وذلك اذا استحصلت اطلاقاً على مثل هذه النظرة ؟

ـ نعم .

فقال سقراط :

ـ من المؤكد انه بمستطاع الروح ان تكون في أحسن احوال التأمل عندما تكون متحررة من كل ارتباك وشرود كالسمع او البصر او الألم او اللذة من اي نوع كانت ـ اي انها تكون كذلك عندما تتجاهل الجسد ، وتصبح الى أبعد حد ممكن مستقلة عنه ، وتتجنب كل تماس جسدي ، وتتحرر الى اوسع مدى تستطيعه من الارتباط به وذلك حين بحثها عن الحقيقة . أليس كذلك ؟

فقال سيمياس :

ـ نعم انه كذلك ؟

فاسترسل سقراط يقول :

– إذن هنا ايضاً تكون روح الفيلسوف باحتقارها للجسد وتجنبه ،وبسعيها الحثيث الى الاستقلال عنه ، في طليعة سائر ارواح البقية من الناس .

فأجاب سيمياس :

– هذا يبدو لي .

فاستطرد سقراط قائلا :

– هاك بعض المزيد من الأسئلة يا سيمياس ! هل نعتبر ما قلناه ذاك بوصفه صلاحاً مطلقاً .

– بالفعل نعتبره كذلك .

– وهل نعتبره كجمال وخير مطلقين ؟

– بداهة .

– هل سبق لك ان رأيت أيا من هذه الاشياء بناظريك ؟

– طبعاً لا

– حسناً هل سبق لك ابداً ان أدركتها بأية حاسة أخرى من حواسك ؟ وأنا لا أعني بكلمة هذه الاشياء فقط الطول او الصحة او القوة المطلقة ، وإنما أعني كذلك الطبيعة الحقيقية لأي شيء معطى – وما الذي تكونه واقعاً وفعلا. هل نستحصل نحن من خلال الجسد على الادراك الحسي الواقعي لها ؟ أليس صحيحاً انك قد تبلغ في أي بحث أقرب فأقرب الى المعرفة بموضوعك ، وذلك تناسباً والاهتمام والدقة اللذين تكون قد اعددت بهما نفسك لمعرفة الموضوع في ذاته ؟

– طبعاً .

فاسترسل سقراط سائلاً :

ـ ألا تعتقد بأن الشخص الذي يكون من المرجح ان ينجح في هذه المحاولة ويبلغ أكمل درجة من النجاح هو الشخص الذي يدنو من الموضوع الى أقرب مسافة ممكنة ويقترب منه بعقله المجرد من كل عون تقدمه حاسة البصر ، إذ يهملها حين تفكيره ، او هل يحر أية حاسة أخرى الى تفكيره ـ وأعني بهذا الشخص ذاك الذي يلاحق الحقيقة بتطبيق عقله المحض وغير المزغول على الموضوع المحض وغير المزغول ، وبعزل نفسه بكل ما يستطيعه عن عينيه وأذنيه وبقية جسده تقريباً ، بوصف هذا وتلك عائقاً يمنع بحضوره الروح من بلوغ الحقيقة والتفكير الصاف ؟ ألا يكون هذا الشخص يا سيمياس هو الذي سيبلغ هدف الحقيقة ، إذا كان هناك من شخص يستطيع بلوغه .

فرد سيمياس قائلا :

ـ ان ما تقوله يا سقراط هو صحيح الصحة المطلقة .

واستطرد سقراط يقول :

ـ بالتأكيد ان جميع هذه الاعتبارات الخطيرة يجب ان تدفع بالفلاسفة الى اعادة النظر في الوضع باسلوب ما كهذا مثلا : « فهذا الوضع يبدو كما لو انه كان طريقاً فرعياً تؤدي الى الطريق الصحيح . فطالما نبقى ملتصقين بالجسد وتكون روحنا ملوثة بهذا النقص ، فلن تتوافر لنا أية فرصة كي نبلغ ابداً وبنجاح موضوعنا الذي نؤكد على انه الحقيقة . فالجسد اولا يشيع فينا الكثير من الذهول والشديد من الارتباك حين ملاحقتنا لغذائنا الضروري . كما ان أية أمراض تلم بنا فانها تعرقل بحثنا عن الحقيقة . وفضلا عن ذلك فان الجسد يملأنا بالعشق والهوى والرغبات والمخاوف وسائر انواع الأوهام وبمقدار كبير من الهذر ، بحيث تكون النتيجة اننا لا نستطيع حرفياً ان نستحصل أبداً على فرصة للتفكير بأي شيء . زد على ذلك ان الجسد ورغائبه هي مبعث كل أسباب الحروب والثورات والمعارك . فجميع الحروب تشن بغية كسب الثروة ،

والسبب الذي يدفعنا الى كسب الثروة هو الجسد ، وذلك لأننا نكون عبيداً في خدمته . وهذا الذي يجعلنا بسبب كل ما ذكرت لا نخصص سوى القصير من الوقت للفلسفة . واسوأ من هذا كله ، انـه عندما يتوافر لنا بعض الفراغ من مطالب الجسد ونستدير لنمعن النظر في بحث ما ، فعندئذ يتدخل الجسد ثانية في أبحاثنا ويقاطعها ويزعجنا ويشيع فينا الارتباك والشرود ويمنعنا من الحصول حتى على لمحة من الحقيقة . وهكذا تراناً في الواقع راسخي القناعة بأنه إذا كان مقدراً لنا إطلاقاً الحصول على معرفة محضة بأي موضوع ، فيتوجب علينا ان نتخلص من الجسد ، وان نتأمل في الاشياء بذواتها وبالروح بذاتها . ومن هذا التعليل ، يبدو اننا نقرر بأن الحكمة التي نرغب في الحصول عليها ، والتي نعلن جهاراً نهاراً انهـا منية قلوبنا ، لا يمكن بلوغها إلا عندما نتوفى ، إذ اننـا لا نستطيع الحصول عليها في حياتنا هذه . وهكذا فاذا كانت المعرفة المحضة غير ممكنة البتة في رفقة الجسد ، فعندئذ يكون إما من المستحيل كليـاً اكتساب المعرفة ،او انها تكون ممكنة فقط بعد الموت ، وذلك لأنه آنذاك فقط ستنفصل الروح عن الجسد وتمسي مستقلة عنـه . ويبدو انـه طيـلة أجلنا من الحياة ، سنستمر في ان نكون على أقرب مسافة من المعرفة ، وذلك إذا تجنبنا بمقدار ما نستطيعه كل تماس والجسد وارتباط بـه ، وان لا نقدم عـلى أي من تماس او ارتباط به إلا عندما يكونان ضروريين الضرورة المطلقة ، ويتوجب علينا بدلاً من السماح لنفوسنا بالتلوث بطبيعته ، ان ننقي ذواتنا من ادرانه ، الى ان يكتب الله لنا الخلاص . وبهذه الطريقة ، أي بحفاظنا على نفوسنا غـير ملوثة بحماقـات الجسد ، يغدو من المرجح ان نلتحق برفقـة الآخرين من أمثالنا ونكتسب معرفة مباشرة بكل مـا هو نقي طاهر وغير ملوث – وقد تكون هذه هي المعرفة بالحقيقة على الارجح . وذلك لأن بلوغ احدهم ، الذي لا يكون طاهراً بذاته ، مملكة الطهر ، فهذا الأمر سيكون لا شك انتهاكاً للعدالة الكونية . على بعض هذا الشكل يا سيمياس هو ما أراه المتوجب على جميع عشاق التعلم ان يعتقدوا به ، وان يسأل الواحد منهم الآخر . ألا تتفق معي ؟

فأجابه سيمياس :

ـ بكل تأكيد يا سقراط .

فاسترسل سقراط قائلا :

ـ حسناً للغاية ! فاذا كان هذا صحيحاً فهناك سبب كاف لأي انسان يبلغ نهاية هـذه الرحلة التي تطالعني الآن نهايتها ، كي يأمل بانه سيبلغ الهدف الذي استهدفته جميع جهودنا خلال حياتنا الماضية . وهكذا فان هذه الرحلة التي يعدونها لي تشع بأمل سعيد بالنسبة لأي انسان آخر يعتقد بان التطهير قد أعد عقله .

فرد سيمياس :

ـ انها فعلا تشع بهذا الأمل .

فاستطرد سقراط يقول :

ـ أما التطهير فهو يتمثل ، كما رأينا لبرهة خلت ، في فصل بكل ما لدينا من امكان ، الروح عن الجسد وتعويد الروح على الاحجام عن كل تماس معه وتركيز ذاتها على ذاتها . أليس هذا هو الذي يتبع من قولنا ذاك ؟

فأجاب سيمياس :

ـ نعم انه كذلك .

فاسترسل سقراط قائلا :

ـ إذن أليس ما ندعوه بالموت هو انعتاق الروح من ربقة الجسد وانعزالها عنه ؟

ـ بالحق نطقت .

ثم سأل سقراط :

– ألا ترى ان الرغبة في تحرير الروح توجد بصورة رئيسية ، او بالأحرى توجد فقط في الفيلسوف الصحيح ، وان مهمة الفيلسوف تتمثل واقعاً في تحرير الروح من ربقة الجسد وانعزالها عنه . أليس الأمر كذلك ؟

فأجاب سيمياس :

– هذا ما يبدو لي .

فاستطرد سقراط :

– حسناً ! فاذا كان المرء ، كما سبق لي ان قلت في البداية ، قد درب نفسه طيلة حياته على العيش على اقرب مسافة ممكنة من الموت ، أفلا يكون من السخرية ان يتكدر وينزعج عندما يجيئه الموت ؟

– طبعاً انه سيكون كذلك .

فقال سقراط :

– إذن فانها لواقعة كون الفلاسفة الحقيقيين يجعلون من الموت حرفتهم ، وان الموت هو ، من جميع الناس ، بالنسبة لهم أقل تكديراً وازعاجاً . فلتنظر الى هذا الموضوع من الزاوية التالية : اذا كان الفلاسفة غير راضين بتاتاً عن الجسد ويتوقون الى استقلال ارواحهم عن اجسادهم ، فعندما يتحقق مثل هذا الاستقلال ، ألا يكون حينئذ من غير المعقول إطلاقاً ان يرتعبوا من الموت ويتكدروا منه ؟ ألن يكونوا بداهة سعداء لانطلاقهم الى ذاك المكان بحيث يكون لهم الأمل ببلوغ الهدف الذي كانوا يرغبون طيلة حياتهم في بلوغه ، واعني بهذا الحكمة ، وفي الخلاص من رفقة غير مرغوب فيها او مشتهاة ؟ والحق لقد

اختار الكثيرون اللحاق باحبابهم وزوجاتهم وابنائهم الموتى الى العالم الآخر ، مؤملين بذلك ان يشاهدوا ويقابلوا هناك من أحبوهم . فاذا كان هذا هو واقع الحال ، فهل عاشق الحكمة الصادق في حبه لها ، والذي ترسخت فيه هذه القناعة القائلة بانه لن يبلغ ابداً الحكمة الجديرة بان تسمى حكمة في أي مكان آخر ما عدا العالم الآخر – اقول هل يكون مثل هذا العاشق حزيناً متكدراً حينما توافيه المنية ؟ ألن يكون سعيداً بقيامه بتلك الرحلة ؟ يتوجب علينا ان نفترض ذلك يا بني العزيز ، هذا اذا كان مثل ذاك المرء فيلسوفاً حقاً ، لأنه سيؤمن آنذاك الايمان الراسخ بانه لن يجد ابداً الحكمة بكل نقائها في اي مكان آخر ما عدا في العالم الآخر . فاذا كان هذا هو الواقع ، أفلا يكون من غير المعقول تماماً (كما قلت لتوي) ان يكون الموت بالنسبة لإنسان كهذا أمراً لا يثير فيه الخوف او الرعب ؟

فأجاب سيمياس :

– لا شك انه سيكون كذلك .

فاستطرد سقراط :

– وهكذا فانك اذا وجدت أياً من الناس متكدراً حزيناً حينما يطالعه الموت ، فمعنى ذلك انه ليس عاشقاً للحكمة بل للجسد . كما يحملني واقعه ذاك افترض بانه عاشق للثروة والشهرة ، وقد يكون مغرماً باحدى هاتين او بكلتاهما معاً .

فرد سيمياس قائلا :

– نعم انك لمصيب تماماً .

فاسترسل سقراط سائلا :

– ألا يتبع هذا القول ان الفضيلة التي ندعوها بالشجاعة انما تخص بالأصل الفطرة الفلسفية ؟

فأجاب سيمياس :

– لا ريبة في ذلك .

فاستطرد سقراط يقول :

– وما قولك بضبط النفس ، كما هو مفهوم حتى لدى العاديين من الناس – وهو ألا يترك المرء للرغبات ان تجرفه ، بل ان ينظر اليها نظرة لا مبالاة أديبة أريبة – أليس هذا يلائم فقط اولئك الذين ينظرون الى الجسد باشد لا مبالاة ويمضون حياتهم في الفلسفة ؟

فأجاب سيمياس :

– طبعاً وتأكيداً .

فقال سقراط :

– انك اذا توخيت التأمل في الشجاعة وضبط النفس كما يمارسها الناس الآخرون ، فستجد هاتين الفضيلتين غير منطقيتين .

فسأل سيمياس :

– كيف ذلك يا سقراط ؟

فأجاب سقراط :

– أنت تعرف – ولا خلاف – ان كل انسان ما عدا الفيلسوف يعتبر الموت كشر داهم وخطير .

– نعم انه ما تقول .

فاستطرد سقراط قائلا :

– أليس صحيحاً ان الشجاع عندما يجابه الموت ، انما يقوم بذلك مدفوعاً بشيء ما اسوأ من الموت ؟

– تماماً كما تقول .

فسأله سقراط :

– وما قولك بالناس المعتدلين ؟ اليس اعتدالهم ، وبالطريقة ذاتها ، نوعاً من الانغماس الذاتي ، الذي يجعلهم يضبطون نفوسهم ؟ ومن الجائز لنا ان نقول بأن هذا الأمر مستحيل ، ولكن لا فرق في ذلك ، فان من يمارسون هذا الشكل البسيط من ضبط النفس تكون حالهم بالغة المماثلة بحال اولئك الذين وصفتهم آنفاً. فهؤلاء يرهبون فقدان لذائذ أخرى يرغبون فيها ، ولذا تراهم يحجمون عن النوع الواحد منها لانهم لا يستطيعون مقاومة النوع الآخر . وعلى الرغم من انهم يعترفون الانغماس الذاتي بكون المرء محكوماً باللذة ، بيد ان هذا المرء ينشأ ، بسبب كونهم لا يستطيعون مقاومة بعض اللذات ، ولذلك لا يفلحون في مقاومة البعض الآخر منها ، مما يعني تماماً ما قلته لتوي من انهم يضبطون نفوسهم بالانغماس الذاتي .

فأجاب سيمياس :

– نعم ، هذا يبدو صحيحاً .

فقال سقراط :

– اهنئك على ادراكك يا سيمياس . كلا اخشى ألا يكون هذا صحيحاً من وجهة النظر الاخلاقية ، وليس بالنهج الصحيح ان يقوم المرء باستبدال درجة

من اللذة او الألم او الخوف بدرجة اخرى ، كاستبداله القطع النقدية ذات القيم المختلفة. فهناك فقط نقد (عملة) واحد يتوجب علينا استبدال جميع نقودنا به ، وأعني بـه الحكمة . والحق ان الحكمة هي التي تجعـل الشجاعة وضبط النفس والاستقامة ، وزبدة القول يقال الصلاح الحقيقي ، أمراً ممكناً ، وليست هناك البتة أية أهمية لوجود او غياب اللذائذ والمخاوف أو أية أحاسيس أخرى كهذه، في حين ان النظام الاخلاقي المرتكز الى قيم عاطفية او اخلاقية نسبياً ليس سوى وهم ، وتصور سوقي خـال من أي شيء صحيح وحق . فالمثال الأعلى الاخلاقي الصحيح ، سواء تمثل في ضبط النفس او الاستقامة او الشجاعة ، هو في الواقع ضرب من التطهّر من جميع العواطف والانفعالات ، كما ان الحكمة بالذات هي نوع من التطهير. ولربما كان اولئك الذين يوجهون التكاريس الدينية ليسوا ببعيدين عن الهدف، ولقد كان يكمن دائماً مغزى مجازي وراء العقيدة القائلة بأن من يدخل العالم الآخر ، وهو غير مكرس منار سيتردى في الحمأة ، لكن من يدخله وهو مطهر ومنار فسيقيم بين ظهراني الآلهة . ولا شك في أنك تعرف ما يقوله ممارسو التكريس ، انهم يقولون :

« الكثيرون يحملون الشعارات ، لكن القلائل هم المكرسون » . وأنا اعتقد بـأن اولئك المكرسين هم وحدهم الذين عاشوا الحيـاة الفلسفية وفقـاً للطريقة الصحيحة ، وقد بذلت سحابة عمري كل جهد ، وعمدت الى كل وسيلة لأنضم الى صحبتهم ، وقد قمت بكل عمل بغية الوصول الى هذه الغاية . أما ما اذا كنت مصيباً في طموحي هذا ، وما اذا كنت قد انجزت أي شيء ، فهذا مـا سأعرفه بالتأكيد (اذا شاء الله) عندما ابلـغ العـالم الآخر ، ووصولي اليـه سيكون قريباً جداً كما اعتقد .

هذا هو دفاعي الذي اقدمه اليكما يا سيمياس وسيبيس ، كي اريكما ان من الطبيعي - بالنسبة اليّ — ان أبارحكما واغادر حكامي الأرضيين دون ان يخالجني أي شعور بالحزن او المرارة ، لإيماني بأنـني سأجـد هناك ، من الحكام

والاصدقاء من الاخيار عدداً لا يقل عمن أجده هنا . فاذا كان اقناعي في دفاعي هذا أشد من اقناعي في الدفاع الذي ألقيته أمام المحلفين الأثينيين ، فسأكون راضياً عن ذلك » .

وعندما انتهى سقراط من قوله هذا أجابه سيبيس قائلاً :

– ان بقية قولك يبدو ممتازاً ، بالنسبة لي ، لكن ما قلته عن ان الروح تخلّف وراءها الشخص العادي فريسة لهواجس وشكوك خطيرة ، بحيث تجعله يعتقد بأن الروح عندما تتحرر من ربقة الجسد ، قد لا توجد في أي مكان آخر ، بل قد تتبدد وتهلك في اليوم ذاته الذى يتوفى فيه ، وذلك حالما تتحرر من الجسد ، وانها حالما تفارقه تنتثر وتضيع وتتلاشى كالانفاس والدخان وتختفي وتغيب ، بحيث لا يبقى منها أي شيء وفي أي مكان . ومن البدهي ان الروح إذا كانت ما تزال قائمة وموجودة بوصفها وحدة مستقلة ومتحررة من جميع الشرور التي ذكرتها لتوك ، فسيكون هناك يا سقراط أمل شديد وماجد بأن ما قلته حق وصحيح . ولكنني أعتقد بأن هذا الأمر لا يستوجب القليل من الإيمان والتأكيد على الاعتقاد بأن الروح تبقى بعد الموت وتحتفظ ببعض قوة وعقل فاعلين .

فأجابه سقراط :

– ان ما قلته صحيح تماماً ، ولكن ما الذي نستطيع فعله إزاء ذلك ؟ فهل ترغب في ان نستمر بالتأمل في هذا الموضوع لنرى ما إذا كانت هذه النظرة صحيحة على الأرجح أم لا ؟

فأجابه سيبيس :

– فيما يتعلق بي فسأكون مغتبطاً غاية الغبطة لسماع رأيك في هذا الموضوع .

فرد عليه سقراط :

– على كل فأنا أكاد أعتقد بأن أي امرىء استمع الى حديثنا – وحتى لو كان شاعراً هزلياً ماجناً – سيقول إنني ابدد وقتي على بحث مواضيع لا يهمني أمرهـا . ولذا فمن الافضل ان كانت هـذه كيفية شعورك ان نستمر مسترسلين في البحث ولننظر اليه من هذه الزواية : هل توجد أرواح المتوفين في العالم الآخر أم لا ؟

ان هناك اسطورة قديمة ما نزال نذكرها بهذا الخصوص ، وهي تقول بأن الارواح توجد هناك بعد ان تزايل هنا ، وانها تؤوب الى هذا العالم وتخرج من الموتى الى حيز الوجود . فاذا كان هذا واقع الحال – أي ان الاحياء يخرجون من الموتى الى حيز الوجود – ألا يتتبع ذلك ان توجد الارواح في العالم الآخر ؟ فالارواح لن تخرج ثانية الى الوجود ما لم تكن موجودة ، وهذا سيكون برهاناً كافياً على ان مناظرتي صحيحة ، وذلك ان بـدا بالفعـل واضحاً ان الاحياء يخرجون من الموتى ، وليس من أي مكان آخر . ولكن إذا لم يكن هذا واقع الحال ، فسنكون آنذاك في حاجة الى تعليل آخر .

فأجابه سيبيس :

– الأمر كما قلت تماماً .

فاستطرد سقراط :

– إذا أردت ان تفهم هذا الموضوع بمزيد من السهولة واليسر فلتمعن فيه ، لا فـيما يتعلق بالكائنات البشرية فحسب وإنمـا بجميع الحيوانات والنبات . ولـنرَ فـيما إذا كان كل شيء قابل للتوالد يتوالد وفقـاً لهـذه الطريقة فقط – فالنقائض تتوالد من النقائض أنّى يكون هناك نقيض ، فالجمال مثلاً هو نقيض للدمامة ، والحق نقيض الباطل وهكذا دواليك الى مـا لا يعـد ولا يحصى من الامثلة . ولنرَ ما إذا كان ذاك القانون القائل بأن لكل شيء نقيض يتولد منه ،

لا من أي شيء آخر غيره ، أقول لنرَ ما إذا كان هذا القانون قانوناً ضرورياً . فمثلاً عندما يصبح أحد الاشياء أضخم حجماً فيجب كما أعتقد أن يكون فيما مضى أليس كذلك ؟

– نعم .

فاسترسل يقول :

وبالمثل فاذا أصبح أصغر حجماً فقد كان من قبل أضخم حجماً أليس كذلك ؟

فأجابه سيبيس :

– نعم انه كذلك .

فاستطرد سقراط :

– ناهيك عن ان الأضعف ينشأ عن الأقوى ، والاسرع عن الابطأ ألا ترى ذلك ؟

فأجابه سيبيس :

– هذا ما أراه .

فأردف سقراط :

– وأود ان أضرب مثلا آخر وهو : إذا أصبح أسوأ حالاً ، أليس هو ناشئاً عن انه كان أفضل حالاً ؟ واذا أمسى اكثر عدلاً ، ألا يعني انه كان أشد جوراً ؟

فأجاب سيبيس .

– طبعاً .

فقال سقراط :

– إذن هل اقتنعنا بأن كل شيء يتولد وفقاً لهذه الطريقة – أي ان النقائض تتولد من نقائضها ؟

فرد سيبيس :

– انه لكذلك تماماً .

فاسترسل سقراط :

هناك سؤال آخر . ألا تقدم لنا هذه الامثلة ملمحاً آخر ، وهو انه توجد في كل زوجين من النقائض عمليتاً تولد ، بحيث يتولد الواحد منها من الاول الى الثاني ، والآخر من الثاني الى الاول ؟ وألا توجد بين الموضوع الاضخم والاصغر عملية التزايد والتناقص ، وهلا نصفها بأنها يتزايدان ويتناقصان ؟

فأجاب سيبيس :

– نعم .

فسأل سقراط :

– أليس هو الأمر عينه فيما يتعلق بالفصل والجمع ، وبالتبريد وبالتسخين وبكل ما هو متبق من هذه ؟ وحتى إذا لم نستعمل أحياناً المصطلحات الحقيقية ، ألا يتوجب فعلا ان يكون صحيحاً صحة عامة وشاملة ، كون الواحد من كل زوجين ينشأ عن الآخر ، وان هناك عملية تولد الواحد من الآخر ؟

فأجاب سيبيس :

– طبعاً وتأكيداً .

فاسترسل سقراط سائلا :

– حسناً إذن ! هل يوجد هناك نقيض للحياة ، كالنوم نقيض اليقظة ؟
– طبعاً وبالتأكيد .

فسأل سقراط :

– ما هو ذاك النقيض ؟

فأجابه سيبيس .

– انه الموت .

فقال سقراط :

– حسناً ، فاذا كانا نقيضين فيجب ان ينشأ الواحد منهما عن الآخر ، ويجب ان تكون هناك عمليتا توالد بين كلا الاثنين . أليس كذلك ؟

فأجاب سيبيس :

– طبعاً .

فاستطرد سقراط :

حسناً للغاية ! إذن فسأذكر الآن زوجين من النقائض التي كنت قد ذكرتها لتوي ، وسأتلو على مسمعيك النقيضين بذاتيهما ، والعملية بينهما . والنقيضان هما النوم واليقظة ، وأنا أقول ان اليقظة تنشأ عن النوم ، وان النوم ينشأ عن اليقظة ، وان العملية بينهما هي النعاس والاستيقاظ . هل يقنعك ما أقوله ؟

فأجاب سيبيس :

– تماماً .

فاستطرد سقراط يقول :

– والآن جاء دورك لتطلعني ، بالطريقة ذاتها ، عما يتعلق بالحياة والموت .

ألا تسلم بأن الموت هو نقيض الحياة ؟

فأجاب سيبيس :

– نعم ، اسلم بذلك .

– ألا تسلم بأن الواحد منهما ينشأ عن الآخر ؟

– نعم .

– إذن فما الذي ينشأ عن ان تحيا .

– ان أموت .

– وما الذي ينشأ عن ان تموت .

– يجب ان اسلم بأنه ينشأ ان أحيا .

– إذن فمن الاشياء الميتة يا سيبيس تنشأ الاشياء الحية والبشر ، أليس كذلك ؟

فأجاب سيبيس :

– هذا أمر غني عن البيان .

– إذن فأرواحنا توجد في العالم الآخر .

– هذا ما يبدو لي

فاستطرد سقراط سائلا :

– إذن فإحدى العمليتين يجب ان تكون في هذه الحالة أكيدة تماماً . أليس الموت أمراً مؤكداً بما فيه الكفاية ؟

– نعم ، انه كذلك .

– إذن فما الذي ينبغي علينا عمله ؟ هل يتوجب علينا ان نحذف العملية المتممة ، وان نترك هنا نقصاً في قانون الطبيعة ؟ أم هل يتوجب ان نسد تلك الثغرة بالعملية المناقضة لعملية الموت ؟

– طبعاً .

– وما هي هذه العملية .

– العودة الى الحياة .

– إذن ، فاذا كان يوجد أمر كالعودة الى الحياة ، فيجب ان تكون هذه العودة عملية تبدأ بالموت وتنتهي الى الحياة ؟

– إنها تماماً كذلك ؟

فاستطرد سقراط قائلاً :

– إذن فنحن متفقان على هذا الأمر كذلك ، ألا وهو ان الاحياء قد نشأوا عن الاموات نشوءاً لا يقل عن نشوء الموتى عن الاحياء . ولكنني أعتقد بأننا قررنا انه إذا كان ذلك واقع الحال ، فهو بالتالي برهان كاف على ان أرواح الموتى يجب ان تكون موجودة في مكان ما حيث منه تولد ثانية .

– يبدو لي يا سقراط ان ما تقوله يتبع بالضرورة تعليلنا هذا .

فاستطرد سقراط يقول :

– أعتقد يا سيبيس بأن هناك اسلوباً آخر بحيث يكون بمقدورك وفقه ان تقول بأننا لم نغلط في تعليلنا . ولو انه لم تكن هناك مشاكلة دائمة في عملية التولد بين مجموعتي النقائض ، وتدور في نوع من دائرة ، ولو ان التولد كان درباً مستقيماً ينتهي الى الحد الأقصى المضاد بحيث لا عودة منه الى نقطة الانطلاق ، او لا إنحراف ولا زيغان ، ألا ترى آنذاك انه سيكون في النهاية لكل شيء الصفة ذاتها ، وانه سيبلغ الحال الواحدة عينها ، وان التبدل سينتهي جملة وتفصيلا .

فسأله سيبيس :

– ما الذي تعنيه بقولك هذا ؟

فأجابه سقراط :

– ليس فيما أقول أي شيء عسير على الفهم . فمثلا إذا كان النعاس موجوداً، ولم يكن الاستيقاظ يوازنه يجعله لشيء ما يخرج من النوم ، فيجب عندذاك ان تدرك ان كل شيء سيجعل في النهاية الذيبيون يبدو أحمق أخرق ، فهو لن يكون في أي مكان ، وذلك لأن العالم بأكمله سيكون في الحال الواحدة ذاتها – أي سيكون مستغرقاً في نومه . وإذا كان كل شيء مجموعاً ولا يوجد أي شيء معزولاً ، فسرعان ما ستحتشد لدينا جميع « أشياء انا كساغوراس معاً » . ووفقاً للطريقة ذاتها يا عزيزي سيبيس ، فاذا كان يتوجب على أي شيء يملك بعض مسهم من الحياة ان يموت ، وإذا كان الموتي بعد الموت يبقون على تلك الصورة ولم يعودوا الى الحياة ، أفلا يكون من المحتوم تماماً أنه ينبغي في النهاية على كل شيء ان يكون ميتاً ، وألا يكون ثمة من شيء حياً؟ فاذا كانت الاشياء الحية قد نشأت عن أشياء حية أخرى ، ومن ثم ماتت الاشياء الحية ، فأية وسيلة ممكنة بمقدورها ان تمنع الموت من إلتهام عددها واستنزافه ؟

فرد سيبيس قائلا :

– لا أرى هناك من وسيلة ، وان ما تقوله ليبدو صحيحاً تماماً .

فأجاب سقراط :

– نعم يا سيبيس ! إذا كان هناك من شيء صحيحاً ، فأعتقد بأن هذا هو الصحيح ، وأعتقد بأننا لم نكن مخطئين في تعليلنا إياه ، فالعودة الى الحياة حق وواقع ، وانها الحقيقة ان الاحياء ينشأون عن الموتى ، وانها لحقيقة كذلك ان تكون أرواح الموتى موجودة .

فرد سيبيس قائلا :

– وفضلا عن ذلك توجد يا سقراط تلك النظرية التي رددتها مراراً على مسامعنا والقائلة بأن ما ندعوه بالتعلم إنما هو في الواقع تذكر واستذكار . فاذا كانت هذه النظرية صحيحة ، يجب آنذاك ان يكون أكيداً ان ما نستذكره الآن هو ما كنا قد تعلمناه ذات مرة ، مما يترتب عليه ان يكون مستحيلا ما لم تكن أرواحنا قد وجدت في حيز ما قبل ان تحل في صورة إنسانية . وهكذا ووفقاً لهذه الطريقة يبدو من المرجح ان تكون الروح خالدة .

وهنا تدخل سيمياس قائلا :

– كيف كانت براهيننا على تلك النظرية يا سيبيس ؟ انني أرغب اليك في تذكيري بها ، لأنني في هذه اللحظة لا أستطيع استذكارها تماماً » .

فأجابه سيبيس :

هناك برهان حسن للغاية ، وهو البرهان القائل بأنه عندما يطرحون الاسئلة على الناس ، فاذا كان السؤال موجهاً بالطريقة الصحيحة ، فيكون آنذاك بمقدور الناس ان يجيبوا عنه جواباً صحيحاً تماماً ، الأمر الذي لا يستطيعون القيام به ما لم يكن قد توافر لديهم بعض معرفة وادراك سديد للموضوع . ومن ثم فانك إذا جابهت الناس بشكل منحني Diagram او بأي شيء كهذا ، فتكون الطريقة التي وفقها يركسون ، هي البرهان القاطع على صحة النظرية .

وهنا تدخل سقراط ليقول :

– واذا وجدت يا سيمياس هذا القول غير مقنع ، فلترَ فيما اذا كان هذا الأمر يوافقك . فأنا اعتقد انه من العسير عليك ان تفهم كيف يمكن ان يكون ما ندعوه بالتعلم تذكراً او استذكاراً ؟

فأجاب سيمياس :

– كلا بتاتاً ! ان كل ما اريده هو ان تمدوا لي يد العون لأقوم بما نتحدث عنه – أي ان أتذكر . وانا بمقدوري ان أتذكر ما فيه الكفاية لأقنع نفسي بصواب مواجهة سيبيس للموضوع ، ومع ذلك سأكون مسروراً بمعرفة كيفية مواجهتك إياه .

فقال سقراط :

– انني انظر اليه من هذه الزاوية . لقد اتفقنا – كما اعتقد – على انه اذا كان ينبغي ان نذكر احد الناس بشيء ما ، فيجب ان يكون قد عرفه في وقت او في آخر . أليس كذلك ؟

– هو كذلك تماماً .

فاستطرد سقراط :

– وهل نحن متفقون كذلك على تسميته باستذكار عندما تحضرنا المعرفة بطريقة خاصة مميزة ؟ وأنا سأشرح ما أعنيه . فلنفترض ان شخصاً حين مشاهدته او سماعه ، او خلافاً لذلك ، ملاحظته لأحد الاشياء لا يدرك ذاك الشيء وحسب بل يفكر كذلك بشيء آخر غيره ، بحيث يكون هذا موضوعاً لنوع مختلف من المعرفة ، فهل لنا من مبرر للقول بانه قد ذُكر بالموضوع الذي فكر به ؟

قسأله سيمياس مستفسراً :

– ما الذي تعنيه بقولك هذا ؟

فأجابه سقراط :

فلتسمح لي بان اضرب لك مثلا . اعتقد بانك توافقني على ان الانسان

والآلة الموسيقية هما موضوعان للمعرفة ويختلف الواحد منهما عن الآخر .

فأجاب سيمياس :

ـ نعم وتأكيداً .

فاسترسل سقراط يقول :

حسناً ! إذن فانك تعرف ما الذي يحدث للعشاق عندما يشاهدون آلة موسيقية او قطعة من قماش او أي متاع آخر يخص من يتعشقونه ، فعندما يتعرفون على ذاك الشيء ، ترسم اذهانهم صورة لصاحبها او صاحبتها . هذا هو الاستذكار . وبالطريقة ذاتها فان مشاهدة سيمياس تذكر المرء بسيبيس ، ومن البديهي ان هناك الآلاف من الامثلة الأخرى .

فأجاب سيمياس :

ـ نعم هناك الآلاف منها .

ـ إذن فانني اعني بالاستذكار ذاك النوع من الخبرة الذي وصفته لتوي ، ولا سيما عندما يبادرني استناداً الى اشياء لم اكن قد شاهدتها منذ وقت بلغ من المدى حداً جعلني انساها .

ـ تماماً كما تقول :

ـ حسناً ! إذن هل من الممكن ان يكون احدهم الذي يشاهد صورة حصان أو اداة موسيقية ان تذكره هذه او تلك بشخص آخر ، او هل يمكن لأحد الناس الذي يشاهد صورة سيمياس ان تذكره بسيمياس بالذات ؟

فأجابه سيمياس :

ـ نعم انها تذكره به .

فاسترسل سقراط سائلا :

– ألا يستتبع هـذا ان المواضيع المشابهـة أو غير المشابهـة قد تسبب الاستذكار ؟

– نعم انه كما تقول .

فاسترسل سقراط يقول :

– وعندما تذكرك المشابهة فيجب بالتالي ان تدرك كذلك مـا اذا كانت المشابهة مشابهة تامة او جزئية .

– نعم هذا ما يتوجب على المرء ادراكه .

فتابع سقراط يقول :

– فلنخط خطوة أخرى . اننا ، كما افترض ، نسلم بان هناك أمراً كذاك الذي يسمى بالمساواة – وبالطبع لا اعني بمساواة العصـا والعصـا ، او الحجر والحجر وهكذا دواليك ، واما اعني شيئاً ما يكون وراء كل ذلـك ومختلفاً عنه – اعني المساواة المطلقة ، فهل سنسلم بهذا الأمر أم لا ؟

فأجابه سيمياس :

– طبعاً وبكل تأكيد .

– ولكن هل نعرف ما تكون هذه المساواة المطلقة ؟

– طبعاً .

– فمن اين استحصلنا على هذه المعرفة ؟ ألم نستحصل عليها من الامثلة الخاصة التي ذكرناها لتونا ؟ ألم نستحصل عليهـا من مشاهدتنا لعصيّ او حجـارة متساوية او مواضيع أخرى متساوية ، ألم نستحصل من هذه على مفهوم المساواة بالرغم من ان هذا المفهوم يختلف تماماً عنها ؟ فلننظر الى هذا الامر من هـذه الزاوية . أليس صحيحاً ان الحجارة والعصي المتساوية تبدو احياناً ، وبدون اي تبدل يطرأ عليها ، متساوية في نظر احد الاشخاص وغير متساوية في نظر شخص آخر ؟

فأجابه سيمياس :

ـ طبعاً وتأكيداً .

ـ حسناً، ولكن هلا سبق لك ان فكرت بان الاشياء التي تكون متساوية مساواة مطلقة هي غير مستاوية ، او هل فكرت إطـلاقاً بان المساواة كانت اللامساواة ؟

ـ كلا ابداً .

ـ إذن فهذه الاشياء المتساوية ليست الأمر ذاته كالمساواة المطلقة .

ـ كلا وبتاتاً ، كما أرى يا سقراط .

ـ ومع ذلك فان هذه الاشياء المتساوية هي التي اوحت اليـك وأعطتك معرفتك بالمساواة المطلقة ، على الرغم من انها تختلف عما وصفت من مساواة .

ـ تماماً كما تقول .

سواء أكانت مشابهة لتلك الاشياء او غير مشابهة ؟

ـ تأكـيداً .

ـ إذن فالأمر سيان . وما دامت مشاهدتك لأحد الاشياء توحي اليـك بشيء آخر غيره ، فيجب ان يكون ذاك الشيء عـلة للاستذكار وسبباً له ، سواء أكان الشيئان متشابهين أم لم يكونا كذلك .

فأجابه سيمياس :

ـ الأمر كما تقوله تماماً .

فاستطرد سقراط :

حسناً ! ما الذي نجده في مثل العصي المتساويـة والاشياء الاخرى الـتي نتحدث عنها الآن : هل تبدو لنا هذه الاشياء متساوية بما للمساواة المطلقة من مفهوم ، أم انها دون تلك المساواة بحيث تكون تلك الاشياء متقاربة والمساواة وحسب ؟ أم لا تكون دون المساواة المطلقة ؟

– انها تكون دونها الى حد بعيد .

فلنفترض انك عندما ترى احد الاشياء تقول في نفسك : ان هـذا الشيء يميل ليكون مشابهاً لشيء ما آخر ، لكنـه دونه ، ولا يمكن في الواقـع ان يكون مثله ، فهو تقليد هزيـل له وحسب . » ألا توافقني على ان اي انسان يتلقى هذا الانطباع يجب ان تكون لديه في الواقع معرفة سابقة بذاك الشيء الذي يقول عنه بان الشيء الآخر يشابهه ، ولكن شبهه له شبه ناقص ؟

فأجاب سيمياس :

– طبعاً يجب ان يقول ذلك .

– حسناً للغاية ! فهل هذا إذن موقفنـا من الاشياء المتساويـة والمساواة المطلقة ؟

– تماماً .

فاسترسل سقراط :

وهكذا يجب القول انه كانت لدينا معرفة سابقة بالمساواة ، وذلك قبـل الوقت الذي شاهدنا فيه لأول مرة اشياء متساوية ، وادركنا ان هذه الاشياء كانت تجد وتكدح لتبلغ المساواة ، ولكنها قصرت دونها .

– هذا واقع الحال .

– كما اننا في الوقت ذاته نتأمل في النقطة التاليـة كذلك وهي اننـا لم نكتسب ، ولم يكن بمقدورنا ان نكتسب مفهوم المساواة هذا ، إلا بوساطـة النظر او اللمس او بوساطـة احـدى الحواس الاخرى . وانا انظر الى الحواس بوصفها جميعا الشيء الواحد ذاته .

– انها كذلك يا سقراط بالنسبة الى تعليلنا .

فأردف سقراط يقول :

ـ إذن يجب ان نكون قد حصلنا من خلال الحواس على المفهوم القائل بأن جميع المتساويات المحسوسة تجد وتكدح نحو المساواة المطلقة ، لكنها تقصر دونها . هل ما اقوله صحيح ؟

ـ نعم انه كذلك .

ـ إذن فقبل ان نبدأ بان نرى ونسمع ونستعمل حواسنا الأخرى ، يجب ان نكون قد اكتسبنا من مكان ما المعرفة بان هناك شيئاً ما كالمساواة المطلقة ، وإلا فخلافاً لذلك ما كان بمقدورنا البتة ان ندرك ، باستعمالنا المساواة المطلقة كمعيار للمقارنة ، ان جميع مواضيع الحس المتساوية ترغب في ان تكون كالمساواة المطلقة ، لكنها تبقى نسخاً ناقصة عنها .

فأجاب سيمياس :

ـ هذا هو الاستنتاج المنطقي يا سقراط .

فأردف سقراط سائلاً :

ـ ألم نبدأ بالنظر والسمع وامتلاك حواسنا الأخرى منذ اللحظة التي ولدنا فيها ؟

ـ تأكيداً انه كذلك .

ـ ولكننا قد سلمنا فيما سبق باننا استحصلنا على معرفتنا بالمساواة قبل ان نستحصل على الحواس .

ـ نعم لقد سلمنا بذلك .

ـ إذن يجب ان نكون قد عرفنا بالمساواة قبل الولادة .

ـ هذا ما يبدو لي .

فاسترسل سقراط قائلاً :

ـ وهكذا اذا كنا قد حصلنا عليها قبل الولادة وامتلكناها حين ولادتنا ،

فعندئذ تكون لدينا المعرفة قبل الولادة وحينها معاً ، المعرفة ليس فقط بالمساواة والاحجام النسبية ، وانما كذلك بجميع المعايير المطلقة . وان تعليلنا هـذا لا ينطبق على المساواة اكثر من انطباقه على الجمال المطلق والخير والاستقامـة والقداسة المطلقـة ، وعلى جميع تلك المميزات التي ننعتها في بحثنـا بمصطلح « مطلق ». وبذا يجب ان نكون قد استحصلنا على المعرفة بجميع هذه المميزات قبل ولادتنا .

– هذا هو واقع الحال .

فاستأنف سقراط يقول :

ونحن ما لم ننسَ بصورة دائمة تلك المعرفة بعد حصولنا عليها ، يجب ان نكون قد ولدنا ونحن عارفون ، ويجب ان نستمر في ان نعرف طيلة حياتنا ، وذلك لأنه « ان نعرف » يعني ان تحتفظ بالمعرفة التي اكتسبتها ذات مرة وألا تفقدها . أليس ما يدعوه « بالنسيان » هو فقدان المعرفة فقط يا سيمياس ؟

– انه ذلك بكل تأكيد .

– فاذا كان صحيحاً اننا اكتسبنا معرفتنا قبل ولادتنا وفقدناها في لحظـة ولادتنا ، ولكننا فيما بعـد وبممارسة حواسنا على المواضيع المحسوسة – قـد استعدنا المعرفة التي كانت لدينا من قبل ، فاعتقد إذ ذاك بان مـا ندعوه بالتعلم سيكون استعادة معرفتنا الخاصة ، ولا شك في اننا سنكون مصيبين في تسمية هذا الأمر بالتذكر أو الاستذكار . أليس كذلك ؟

فأجابه سيمياس :

– انه كما تقول تماماً .

فاسترسل سقراط قائلاً :

ـ نعم انه كذلك ، لأننا قد شاهدنا ان بامكان الادراك الحسي لموضوع ما بوساطة النظر او السمع او أية حاسة أخرى ، ان يوحي الى المدرك من خلال تداعي المعاني ، (سواء أكانت توجد هناك مشابهة او لا توجد) ، بموضوع آخر يكون المدرك قد نسيه . وهكذا ، وكما أقول ، هناك بديلان : فأما ان نكون جميعاً قد ولدنا ونحن نعرف هذه المعايير ، ونحتفظ بمعرفتنا بها طيلة حياتنا ، او اننا عندما نتحدث قائلين بأن الناس يتعلمون ، فنعني حينئذ انهم يتذكرون فقط ما كانوا يعرفون من قبل ، وبكلمة أخرى تقول ان التعلم هو التذكر او الاستذكار .

فأجابه سيمياس :

ـ نعم يجب ان يكون هذا هو الواقع يا سقراط .

فأردف سقراط سائلا :

ـ أياً من البديلين تختار يا سيمياس ؟ هل تختار القول باننا قد ولدنا مع المعرفة ، او اننا نستذكر بعد ولادتنا الاشياء التي كنا نعرفها قبل ولادتنا ؟

ـ انني لا أعرف أياً أختار في هذه اللحظة .

فاجابه سقراط :

ـ حسناً دونك خياراً آخر ، ما الذي تعتقده بما سأقوله ؟ هل يكون بمقدور الشخص الذي يعرف الموضوع معرفة تامة ان يفسر ما يعرفه ؟

ـ بكل تأكيد ، إنه يستطيع ذلك .

ـ هل تعتقد بان بمقدور كل امريء ان يفسر هذه القضايا التي كنا نتحدث عنها لتونا ؟

ـ أرغب في الاعتقاد بذلك ، ولكنني أخشى للغاية ألا يوجد غداً وفي

هذه اللحظة أي إنسان على الارض يكون بمستطاعه تفسيرها تفسيراً سديداً .

فسأله سقراط :

– إذن فأنت لا تعتقد بان كل امريء يعرفها .
– كلا لا أعتقد بذلك البتة .
– إذن فانهم يستذكرون فقط ما كانوا قد تعلموه ذات مرة .
– ما قلته يجب ان يكون الجواب الصحيح .

فاردف سقراط سائلا :

– متى تكتسب أرواحنا هذه المعرفة ؟ انها لا تستطيع اكتسابها بعد بداية حياتنا الفانية .
– طبعاً لا تستطيع ذلك .
– إذن فيجب ان يكون ذلك قبل بداية حياتنا هذه .
– نعم .

فاردف سقراط قائلا :

– إذن ، فلقد كان لارواحنا وجود سابق يا سيمياس وكان لها ذلك قبل ان تتخذ لها هذه الصورة البشرية ، لقد كانت مستقلة عن أجسادنا ، وكانت تمتلك عقلا .

فأجابه سيمياس :

إذن فوقت إمتلاكنا للمعرفة متوافر أمامنا ، ما لم نكن قد إمتلكناها لحظة ولادتنا .

– لا شك في ذلك يا صديقي العزيز ، ولكن فلتقل لي ما هو الوقت الآخر الموجود هناك لاضاعته عليها ؟ فلقد اتفقنا منذ هنيهة على أننا لا نملك هذه المعرفة حين ولادتنا . فهل نفقدها في اللحظة ذاتها التي نكتسبها خلالها ؟ أم

هل يمكن لك ان تقترح وقتاً آخر غير تلك اللحظة ؟

فأجابه سيمياس :

– طبعاً لا أستطيع ذلك يا سقراط، فأنا لم أدرك أي هذر كنت به.

فاردف سقراط سائلا :

– حسناً أين نقف الآن يا سيمياس ؟ فاذا كانت جميع هذه الحقائق الواقعية المطلقة كالجمال والصلاح مثلا ، والتي كنا وما زلنا نتحدث عنها دائماً ، توجد فعلا ، وإذا كنا ، حينما نعاود اكتشافنا إياها ، نرد اليها جميع مواضيع ادراكنا الحسي الجسدي كنسخ عن نماذجها – أقول إذا كانت هذه الحقائق الواقعية المطلقة موجودة ألا يتبع ذلك ان أرواحنا يجب ان توجد ايضاً ، حتى قبل الولادة ، في حين انه إذا كانت تلك الحقائق لا توجد ، فان بحثنا سيبدو هدراً للوقت ومضيعة له . أليس كذلك ؟ وهل موقفنا هذا يقول بأن من العدل منطقاً ومن الأكيد كذلك ، ان توجد أرواحنا قبل ولادتنا ، شأنها في ذلك شأن وجود هذه الحقائق ، وانه إذا كانت تلك الفرضية مستحيلة ، فيكون كذلك وجود هذه الحقائق مستحيلا ايضاً ؟

فاجابه سيمياس :

– انه لواضح لي كل الوضوح كون الضرورة المنطقية ذاتها تنطبق على كليهما معاً . وانه ليلائمنا غاية الملاءمة ان ينبغي على تعليلك الاستناد الى النقطة القائلة بان وجود روحنا قبل ولادتنا يتفق ووجود درجتنا من الحقيقة الواقعية . وليس بمقدوري ان أتصور أي شيء من الوضوح اكثر مما للحقيقة الواقعية القائلة بان الجمال والصلاح المطلقين وجميع المتبقي مما ذكرته لتوك ، إنما يوجدان وتوجد بكل ما لكلمة وجود من معنى . ولذا تراني أعتقد بان البرهان الذي أوردته مقنع كل الاقناع .

لكن سقراط أردف سائلا :

– ولكن ما قولك بسيبيس ؟ فيجب ان نقنعه هو ايضاً .

فاجاب سيمياس :

– انني راسخ القناعة بانه قانع مقتنع . ومن الأكيد انه أشد الناس في العالم عناداً في مقاومة الحجة والبرهان ، ولكنني أرغب في الاعتقاد بالا يحتاج الى المزيد من أي شيء لحمله على الاقتناع بان أرواحنا كانت توجد قبل ولادتنا ، أما بالنسبة لوجودها بعد وفاتنا كذلك فانا لا أشعر بان هذا الأمر قد برهنت عليه البرهان القاطع ، ولذا تراني ما أزال أعتبر اعتراض سيبيس قائماً ، هذا الاعتراض المتبدي في الخوف العام من انحلال روح الإنسان وتلاشيها لحظة وفاة بالذات ، ومن ان الوفاة قد تكون نهاية وجودها ، فلنفترض ان الروح قد ولدت وتكونت من هذا المصدر او ذاك ، وانها كانت توجد قبل حلولها في الجسد البشري ، ولكن بعد حلولها فيه ، فهل هناك من سبب يحملنا على الاعتقاد بانها حال تحررها من ربقته لن تبلغ نهايتها ولن تنحل وتهلك وتزول ؟

وهنا انطلق سيبيس قائلا :

– لقد أصبت كبد الحقيقة يا سيمياس ، لأنه يبدو لي اننا قد حصلنا من البرهان على نصف ما نريده – أي ان الروح كانت توجد قبل الولادة – ولكننا الآن نحتاج كذلك الى البرهان على انها ستوجد بعد الموت ، وان وجودها لن يقل عن وجودها قبل الولادة ، هذا اذا أردنا ان يكون البرهان كاملا .

فاجاب سقراط :

– الحق يا سيمياس وسيبيس العزيزان ، اننا قد برهنا على ذلك من قبل ، فانتما إذا جمعتما ما بين هذا البرهان الأخير وبين البرهان الاول الذي اتفقنا عليه من قبل ، والقائل بان كل شيء حي يخرج من الميت . وهكذا فاذا كانت الروح

توجد قبل الولادة ، واذا كانت حينما تنطلق نحو الحياة وتولد يجب ان تولد من الموت او من الحال الميتة ،فيجب آنذاك وبالتأكيد ان توجد كذلك بعد الموت، هذا إذا كان من المتوجب عليها ان تولد ثانية ، وهكذا فان النقطة التي ذكرتها قد برهنا عليها من قبل . ولكن على الرغم من ذلك فاعتقد بانك وسيمياس ترغبان في المزيد من التوسع في البحث ، فانتما خائفان ، خوف الاطفال ، من ان تقوم الريح حال خروج الروح من الجسد فتنفخها وتبددها ، ولا سيما إذا لم يمت أحدهم في يوم هادىء بل في يوم قمطرير شديد العواصف .

فضحك سيبيس وقال :

ـ لنفترض أننا خائفان يا سقراط ، فلتحاول اقناعنا ، او لا تفترض باننا خائفان ، ولربما كان يوجد حتى داخل نفوسنا طفل صغير يعصف به هذا الرعب الصبياني . فلتحاول اقناعه بالا يرهب او يخاف من الموت كما لو انه كان روحاً خبيثة .

فاجابه سقراط :

ـ ما الذي ينبغي ان تقوله له ، هل يتوجب عليك ان تعالجه كل يوم بطلاسم السحر الى ان تزيل بالسحر المخاوف من نفسه ؟

فاجاب سيمياس :

ـ ولكن يا سقراط أين سنجد ساحراً كذاك يفهم هذه الطلاسم ، وانت الآن عازم على مغادرتنا ؟

فرد سقراط عليه قائلا :

ـ ان اليونان بلاد واسعة يا سيبياس ، ويجب ان يكون فيها الاخيار من الناس ، فضلا عن ان هناك كذلك العديد من الاقوام الاجنبية . لذا يتوجب

عليك ان تنقب فيها جميعاً بحثاً عن ذاك الساحر ، ويجب عليك ان تبذل كل جهد ، ولا تضن بالمال او تتجنب المشقة او الانزعاج ، ولن يكون بمقدورك البتة ان تنفق المال على وجه اكثر سداداً من هذا . وعليك ان تبحث بكل جهودك مجتمعة ، لأن من الجائز ألا تجد بسهولة أي إنسان يليق بهذه المهمة اكثر من ذاك » .

فأجابه سيبيس :

– سنهتم بهذا الأمر ؛ ولكن لنعد الى النقطة التي توقفنا عندها ، اذا لم يكن لديك أي اعتراض .

– طبعاً ليس لدي اي مانع ، ولِمَ يكون لدي ذلك ؟

– شكراً لك .

فانطلق سقراط يقول :

– اعتقد بانه يتوجب علينا ان نسأل ذواتنا السؤال التالي: أي نوع من شيء هو ذاك الذي سيكون من الطبيعي مصيره التبدد والانتثار ؟ وأي شيء ينبغي ان نخشى له مثل ذاك المصير ، وأي شيء يجب ألا نخشاه له ؟ وعندما نجيب على هذه الأسئلة، علينا ان نتأمل سائلين عن الفصل الذي تنتمي اليه الروح، وعندها سنعرف ما اذا كنا سنشعر بالاطمئنان او بالخوف على مصير ارواحنا .

– لقد صدقت فيما قلت .

فاستطرد سقراط :

– هل تتوقع ان تكون المادة المركبة او ان يكون احد المركبات الطبيعية قابلاً للإنكسار ، بحيث تكون اجزاؤه قد انتظمت معاً ؟ وألا ينبغي على اي شيء لا يكون في الواقع مركباً ، ان يكون شيئاً واحداً من جميع الأشياء الأخرى التي لا تتأثر وفقاً لهذه الطريقة ؟

فاجاب سيبيس :

ـ هذا ما يبدو لي .

ـ اليس من المرجح الى ابعد حد ، ان ما يكون ثابتاً غير متبدل هو غير مركب ، وان ما يكون غير ثابت ومتبدل هو مركب ؟

ـ هذا ما اراه كذلك .

فاسترسل سقراط قائلاً :

ـ اذن فلنعد الى الامثلة ذاتها التي كنا نبحثها من قبل . هل تبقى تلك الحقيقة الواقعية المطلقة التي عرفناها في ابحاثنا دائماً ثابتة غير متبدلة ام لا ؟ وهل تقبل المساواة المطلقة او الجمال المطلق او اية ذاتية مستقلة وتوجد في الواقع ، باي تبدل يطرأ عليها ومن اي نوع ؟ او هل تبقى على الدوام كل ذاتية من هذه الذاتيات المستقلة والمنتظمة ثابتة غير متبدلة ، ولا تقبل البتة باي تبديل لأي وجه من وجوهها او لأي مفهوم او معنى ؟

فاجاب سيبيس :

ـ يجب ان تكون هذه الذاتيات ثابتة غير متبدلة .

ـ حسناً وما قولك بالأمثلة المحسوسة على الجمال ـ كالبشر والخيل والثياب وهكذا دواليك ـ او على المساواة او على اية اعضاء اخرى من فصل ينطبق على ذاتية مطلقة ؟ هل تكون هذه الأمثلة ثابتة ام انها تكون على العكس من ذلك ، لأن من النادر ان تبقى لها العلامة ذاتها إما بينها جميعاً ، او بين الواحد منها والآخر ؟

ـ انها تكون على العكس من ذلك ، لأنها لا تكف ابداً عن التبدل .

فاسترسل سقراط قائلا :

ـ وانك تستطيع ان ترى وتلمس وتدرك بحواسك الأخرى هذه المواضيع المحسوسة ، لكنك لا تستطيع ان تدرك تلك الذاتيات الثابتة الا بواسطة التفكير ، فهذه خارج نطاق بصرنا .

فرد سيبيس معلقاً :

ـ ان ما تقوله لصحيح تماماً .

ـ اذن فأنت تعتقد بأنه يتوجب علينا ان نفترض وجود فصلين من الأشياء، بحيث يكون الأول منظوراً والآخر غير منظور ، اليس كذلك ؟

ـ نعم هذا ما يتوجب علينا .

فاستطرد سقراط :

ـ إذن فان الكائن غير المنظور لا يتبدل ، اما المنظور فلن يبقى ابداً على الحال ذاتها .

ـ نعم هذا ما ينبغي افتراضه .

ـ حسناً ، ألا تتكون من جزئين ، جسد وروح ؟

فاجاب سيبيس :

ـ طبعاً وتأكيداً .

فاسترسل سقراط سائلاً :

ـ لأي فصل يكون الجسد أقرب شبهاً وأوثق علاقة ؟

ـ من الواضح تماماً انه ينتمي الى الفصل المنظور .

ـ وما قولك بالروح هل هي منظورة او غير منظورة ؟

ـ انها على كل حال غير منظورة بالنسبة الى البشر يا سقراط .

فاسترسل سقراط قائلا :

– ولكننا بالتأكيد كنا نتحدث عن اشياء منظورة أو غير منظورة بالنسبة الى الطبيعة البشرية . فهل نعتقد بانه كان امامنا بعض من طبيعة أخرى ؟

– كلا .

– إذن فما قولك بالروح ؟ هل هي منظورة أو غير منظورة ؟

– انها غير منظورة .

– إذن فهي ليست منظورة .

– نعم .

– وهكذا فان الروح تكون اقرب الى اللامنظور ، والجسد اقرب الى المنظور . أليس كذلك ؟

– هذا ما يتبع حتما يا سقراط .

فاستطرد سقراط سائلا :

ألم نقل منذ فترة وجيزة ان الروح عندما تستعمل وساطة الجسد من أجل أي بحث كان ، سواء استعملته من خلال البصر أم السمع أم أية حاسة أخرى ، (وذلك لأن استعمال الجسد يعني استعمال الحواس) ، فعندئذ يجرها الجسد الى ميدان المتبدل ، وتضل طريقها وتصبح حائرة مرتبكة وجاهلة متبلدة ، وتمسي كما لو كانت مخمورة من خلال تماسها والأشياء ذات الطبيعة المتشابهة ؟

– انه بالتأكيد كما تقول .

– ولكنها عندما تقوم بالبحث بذاتها فتنتقل الى ميدان الصفاء والدوام والخلود واللا تبدل ، ونظراً لكونها ذات طبيعة تمت بنسب الى ذاك الميدان ، فانها حالما تستقل وتتحرر من التدخل والمداخلة ، تقترن به دائماً ولا تعود الى الضلال ، بل تبقى في ميدان المطلق ، ثابتة غير متبدلة من خلال تماسها واشياء ذات طبيعة مشابهة لها . وان حال النفس هذه ندعوها بالحكمة .

– انه لوصف رائع وممتاز يا سقراط وصحيح كل الصحة .

– حسناً للغاية ! إذن وعلى ضوء كل ما قلناه الآن ومن قبل ، فبأي فصل تعتقد بان النفس اقرب شبهاً وأوثق علاقة ؟

فأجابه سيبيس :

– اعتقد يا سقراط بانه حتى أشد الناس غباء سيوافق ، انطلاقاً من هـذا الاتجاه في المناقشة العقلانيـة ، على ان الروح في كل وجه ممكن من وجوهها اقرب شبهاً باللا متبدل منها بالمتبدل .

– وما قولك بالجسد ؟

– انه اقرب الى الآخر .

فأردف سقراط يقول :

– فلتنظر الى هذا الأمر من هذه الزاوية كذلك . عندما تكون الروح والجسد معاً في المكان الواحد ذاته ، تُعلم الطبيعة الواحد منهما ان يخدم ويخضع ، والآخر ان يحكم ويسيطر . وفي هذه الحـالة أي منهما يشبه الجزء الإلهي وأي يشبه الجزء الفاني ؟ ألا تعتقد بان من طبيعة ما هو إلهي ان يحكم وان يوجـه ، ومن طبيعة ما يكون فانياً ان يخضع وان يخدم ؟

– نعم هذا ما اعتقد به .

– إذن فما الذي تشبهه الروح ؟

– من الواضح انها مشابهة لما هو إلهي ، وان الجسد يماثل ما هو فانٍ .

– والآن لنرَ يا سيبيس ما اذا كان هذا هو استنتاجنا من كل ما قلناه ، ألا وهو ان الروح أشد شبهاً وذاك الذي يكون إلهياً وخالداً ومـا وراء الحسي ومنتظماً غير قابل لانحلال ، وثابت ابداً غير متبدل ، في حين ان الجسد أقرب ما يكون شبهاً بذاك الذى يكون بشرياً فانياً كثير الصور حسياً قابلاً للانحلال ، ولا يكون ابداً ثابتاً . هل بمقدورنا ان نقدم اي تعليل مخالف لذاك يا عزيزي

سيبيس ، كي نرى ان الحال ليست على ما ذكرنا !

فأجابه سيبيس :

ـ كلا لا نستطيع ذلك .

ـ حسناً ، اذن وفي هذه الحال : أليس من الطبيعي بالنسبة للجسد ان ينحل بسرعة ، وان تكون الروح غير قابلة للانحلال تماماً او تقريباً .

ـ بالحق نطقت يا سقراط .

فأردف سقراط يقول :

ـ من البديهي انك تعلم ان المرء عندما يموت ، وعلى الرغم من ان من الطبيعي بالنسبة للجزء الجسدي والمنظور منه ، والذي يوجد هنا في العالم المنظور وما ندعوه بالجثة ، ان ينحل ويتناثر بدداً ويضمحل ويتلاشى ، ولكن هـذه الأمور لا تحـدث له مباشرة ، فهو يبقى كما كان لفترة طويلة حقـاً ، وحتى لو حدثت الوفاة والجسد في احسن حال من التغذية وفي فصل حار . كما ان الجثة عندما تجفف وتحنط ـ كما يفعلون في مصر ـ تبقى في حالة سليمة تقريباً الى فترة من الزمن لا يصدقها العقل ، حتى ولو انحل وفني ما يبقى من الجثة فان العظام والاوتار وأي شيء يشابهها ـ تكون عملياً خالدة . أليس كذلك ؟

ـ نعم .

فاسترسل سقراط يقول :

ـ لكن الروح ، الجزء غير المنظور ، والتي تذهب الى مكان ما يكون مثلها ، ماجداً ونقياً وغير منظور ـ الى الهاديس الحقيقي او العالم غير المنظور ـ وتدخل عليّ حضرة الله الخير والكريم ، (حيث اذا شاء الله ستذهب روحي الى هناك قريباً) ، ـ فهل هذه الروح ، اذا كانت طبيعتها كما وصفتها ، ستضمحل وتفنى في لحظة انعتاقهـا من الجسد ، كما يرى العامـة من الناس ؟ لا شك في انه لن

يحدث لها ابداً هذا يا عزيزي سيمياس وسيبيس . فالحقيقة هي من وجوه كثيرة للغاية كما يلي : فاذا كانت الروح حين انعتاقها نقية طاهرة وغير ملوثة باي درن من أدران الجسد ، او لم يسبق لها البتة ان خالطته في الحياة راغبة مختارة ، بل تحاشته واعرضت عنه ، وأبقت نفسها بمعزل عنه ، كما هي حالها في ممارستها المنتظمة ـ وبكلمات الأخرى انها اذا لاحقت الفلسفة بطريقة صحيحة ومارست في الواقع كيف تجابه الموت بسهولة : فان هذا الأمر هو ما تعنيه « ممارسة الموت » ، أليس كذلك ؟

ـ انه كما تقول بكل تأكيد .

فاردف سقراط قائلا :

ـ حسناً للغاية ! فاذا كانت هذه حالها ، فانها تغادر هذا العالم الى مكان يكون مثلها ، غير منظور وإلهياً وخالداً وحكيما ، بحيث تنتظرها حين وصولها السعادة والانعتاق من الشك والحماقة والمخاوف والرغبات الجامحة ومن جميع الشرور البشرية الأخرى وحيث ، (كما يقولون في تلقين الأسرار المقدسة) ، تمضي بقية الزمان بصحبة الله . فهل ينبغي لنا ان نتبنى هذه النظرة يا سيبيس او نظرة أخرى غيرها .

فأجابه سيبيس :

ـ علينا بالتأكيد ان نأخذ بالنظرية التي ابديتها لتوك .

ـ ولكنني افترض انه اذا كانت الروح في لحظة انعتاقها ملوثة دنسة ، لانها كانت دائماً تصاحب الجسد وتهتم بامور وتحبه ، وكان الجسد وانفعالاته ورغباته قد غررت بها الى حد لم يعد عنده أي شيء يبدو حقيقياً في ناظريها ، ما عدا تلك الاشياء الجسدية التي تمكن رؤيتها ولمسها وأكلها وشربها واستعمالها للمتعة الجنسية ، واذا كانت قد تعودت على كراهية وخوف وتجنب ما يكون غير منظور ومستوراً عن أعيننا ، لكنه يكون واضحاً ومفهوماً بالنسبة للفلسفة ـ

فاذا كانت الروح على هذه الحال ، فهل تعتقد بانها ستنجو وهي مستقلة وطاهرة غير ملوثة ؟

– كلا ان هذا الأمر سيكون مستحيلاً .

– انني أرى عكس ما تقوله ، فهي كما يخيل اليّ ستكون مثقلة بما هو جسدي ، حيث ان صحبتها ومعاشرتها للجسد تكونان قد صبغتا طبيعتها بالذات بما هو جسدي ، وذلك من خلال معاشرتها الدائمة له وممارستها الطويلة لأموره .

– صدقت فيما تقول :

فأردف سقراط قائلا :

– وهكذا يتوجب علينا يا صديقي العزيز الافتراض بان ما يكون جسدياً يكون ثقيلا ، مرهقاً ، ارضياً ، ومنظوراً . وهكذا تكون الروح الملوثة برفقته أثقل من ان تحلق الى العلاء ، فيجرونها عائدين بها الى العالم المنظور نظراً (كما يقولون) لخوفها من الهاديس او غير المنظور ، فتعود لتحوم فوق القبور والمقابر. وان الاطياف الشبحية التي شاهدوها فعلا هناك ، هي اشباح تلك الأرواح التي لم تتطهر ، لأنها ما تزال تحتفظ بجزء ما مما هو منظور ، وهذا هو الشبح الذي يجعلها تبدو للعيان .

فأجابه سيبيس :

فاستطرد سقراط :

في طوافهم حتى النهاية ، ونتيجة لاشتهائهم مـا هو جسدي ، والذي يلاحقهم ملاحقة مستديمة ، يسجنون ثانية في الجسد . وهم ، كما قد تتوقع ، مقيدون بنوع من خُلق أو طبيعة ، كانوا قد أنموها خلال حياتهم الماضية .

– أي نوع تعني يا سقراط ؟

– أعني ان اولئك الذين تعودوا الشراهة او البطنة ، او الاثانية او الشمل ، فهم بدلاً من مجاهدة رغباتهم لتجنبها ، سيعودون عـلى الارجح الى الحيـاة في أشكال الحمير والحيوانات الأخرى من ضالة وملتوية . ألا تعتقد ذلك ؟

– نعم من المحتمل كثيراً ما تقوله .

فاسترسل سقراط قائلاً :

– كما وان اولئك الذين فضلوا متعمدين حياة التمرد اللامسؤولة والعنف يصبحون ذئاباً وبيزاناً وحدآناً ، وذلك ما لم يكن بمقدورنا ان نقترح حيوانات أخرى تكون أقرب شبهاً بهم ان ما ذكرت من أسماء حيوانات لتوافقهم تماماً .

فأردف سقراط يقول :

– إذن فمن السهل علينا ان نتصور أية أنواع من الحيوانات ستحـل فيهـا جميع الانواع الأخرى من الأرواح ، وذلك وفقاً لسلوكها خلال الحياة .

– نعم انه لمن السهل علينا .

فأردف سقراط يقول :

– أعتقد بأن أسعد البشر ، وبأن اولئك الذين سيبلغون أفضل غاية ، هم أولئك الذين عاشوا الصـلاح المعهود بالمواطن العـادي – والذي يدعى بضبط النفس والاستقامة – هـذا الصلاح الذي يكتسبه عن طريق العـادة والممارسة وبدون مساعدة الفلسفة والعقل .

ـ كيف يكون هؤلاء أسعد البشر ؟

فأجابه سقراط :

ـ لأنـه من المرجح ان يتحولوا الى مخلوقات عمرانية ومنضبطة كالنحـل والزنابير والنمل ، او يمكن حتى ان يعودوا بشراً ويصبحوا مواطنين طيبين .
ـ هذا مرجح تماماً .

ومن ثم أردف سقراط قائلا :

ـ ولكن لا تستطيع أية روح لم تمارس الفلسفة، ولا تكون طاهرة الطهارة المطلقة عندما تغادر الجسد ، ان تبلغ الطبيعة الآلهية ، فهـذه الطبيعة موقوفة فقط على محب الحكمة وعاشقها . وهـذا هو السبب ـ يا عزيزي سيمياس وسيبيس ـ الذي يجعـل الفلاسفة يستنكفون عن جميـع الرغائب الجسدية ويقاومونها ولا يستسلمون لهـا . وهم لا يقومون بذلك لأنهم يخـافون الخسارة المالية ، او يرهبون الفقر كالإنسان العادي الذي يفكر بالمال اولاً ، ولا بسبب كونهم ينكمشون أمام العار والسمعة السيئة ، كأولئك الطموحين الى التفوق والسلطان .

وهنا قال سيبيس :

ـ كلا ان هذه لهي دوافع تافهة يا سقراط .

فأجابه سقراط موافقاً :

ـ حقاً انها كذلك . وهكذا يا سيبيس فان اولئك الذين يهتمون بارواحهم ولا يخضعونها للجسد ، فانهم ينعزلون انعزالاً تامـاً عن غيرهم من الآخرين ويرفضون صحبتهم ومصاحبتهم في رحلتهم العرضية ، وهم اعتقاداً منهم بان لمن الخطأ مقاومة الفلسفة، بما تعرضه من انعتاق وتطهير ،لذلك تراهم يستديرون

ويتبعونها حيثما تقودهم .

ـ ما الذي تعنيه بهذا يا سقراط ؟

فاجاب سقراط :

ـ سأشرح لك ذلك . ان كل طالب للحكمة وباحث عنها يعرف بانه طيلة الفترة التي لم تكن خلالها الفلسفة قد سيطرت على روحه بعد ، يكون سجيناً معدوم الحول والطول ومغلولاً قدماً ويداً بالجسد ، ومرغماً على النظر الى الحقيقة الواقعية نظرة غير مباشرة ، إذ ينظر اليها فقط من خلال قضبان سجنها ، ويكون ايضاً عاميا في جهالة مطبقة . وهنا بمستطاع الفلسفة ان ترى ان رغبة السجين المستبدة هي التي تسببت ، ببراعة ، في سجنه ، هذه الرغبة التي تجعله الشريك الأول في الجريمة التي سجن بسببها ومن ثم تسيطر الفلسفة على الروح ، وهي على تلك الحال التي وصفت ، وتحاول باقناع لطيف تحريرها . فتشير الى ان المشاهدة من خلال العينين والأذنين وجميع الحواس الأخرى ، تكون مشاهدة خادعة غرارة ، وتستحث الروح على الاحجام عن استعمال الحواس ما لم تكن الضرورة تقضي بذلك ، وتشجعها على استجماع وتركيز نفسها بنفسها ، وعلى عدم الثقة باي شيء باستثناء حكمها المستقل ، وألا تعزو الحقيقة الى أي شيء تنظر اليه نظرة غير مباشرة ، بوصفه موضوعاً للتبدل ، لأن أشياء كهذه تكون محسوسة ومنظورة ، لكن ما تراه الروح يكون غير حسي ولا منظور . فروح الفيلسوف الصحيح تشعر بانه يتوجب عليها ألا ترفض فرصة اطلاق سراحها هذه ، وعليها لذلك ان تستنكف كل الاستنكاف عن اللذائذ والرغبات والاحزان ، لأنها تدرك ان نتيجة التسليم للذة او الخوف او الرغبة ، لا يكون لها كما قد يفترض البعض ، ذاك الاثر السيء التافه ، والمتمثل في ان يلم المرض بالإنسان ، او ان يبدد المال على الانغماس الذاتي ، وإنما تكون أقسى النوائب وأشدها ، الأمر الذي لا يدركه من يكابده .

فسأل سيبيس سقراط :

ـ وما هي تلك النائبة يا سقراط ؟

فأجابه سقراط :

ـ عندما تشعر نفس أي امرىء بلذة شديدة او ألم حاد ، فلا تستطيع إلا ان تفترض بأن أي شيء يسبب أشد الاحاسيس عنفاً ، إنما يكون أصدق حقيقة وأصحها ، الأمر الذي لا يكون كذلك . فالاشياء المنظورة تخلف بصورة عامة مثل هذا الأثر ؟ أليس الأمر كذلك ؟

ـ انه تماماً كما تقول .

ـ أليس من خلال هـذا النوع من السانحة تعـبر الروح لتمسي مستعبدة العبودية الكاملة للجسد ؟

ـ كيف تعلل ذلك ؟

فاجابه سقراط :

ـ لأن لكل لذة او ألم نوعاً من قيد يقيد به الجسد الروح ويسمّرها ويجعلها جسدية ، ويرغمها على التسليم بان كل ما يشهد به الجسد يكون صحيحاً . أما نتيجة الاتفاق والجسد وموافقته والعثور على اللذة في الاشياء ذاتها ، فهي ، كما أعتقد ، تجعل الروح لا تستطيع الا ان تكون مثله في الخلق والتدريب ، وبذلك لا تستطيع البتة ان تبلغ العالم غير المنظور وهي نقية طاهرة ، بـل تكون دائماً متشربة بالجسد عندما تنطلق خارجه ، وهكذا سرعان ما ترتد لتحل في جسد آخر ، حيث تضرب بجذورها وتنمو . وبحكم ذلك تحرّم من زمالة ما يكون طاهراً منتظماً وإلهياً .

فقال سيبيس :

ـ نعم ان ذلك لصحيح تماماً يا سقراط .

فاردف سقراط قائلا :

ـ من أجل هذه الاسباب يا سيبيس ، يبدي الفلاسفة الحقيقيون ضبط النفس والشجاعة ، ولا يبدون هاتين الفضيلتين استناداً الى الاسباب التي يفترضها الناس بصورة عامة . او هل تعتقد بأن نظرة العامة من الناس نظرة صحيحة ؟

ـ طبعاً لا .

فاسترسل سقراط قائلا :

ـ طبعاً لا ، فروح الفيلسوف تتخذ لها وجهة النظر التي ذكرت . فهي لن تترقب اولاً من الفلسفة ان تطلق سراحها ، ومن ثم تسمح للذة والألم ان يعودوا بها الى العبودية ، لأنها بذلك تعهد لنفسها بمهمة لا نهاية لها ، وتغدو كبنيلوب عندما حلت غزلها ، لأن هذه الروح توفر لنفسها الحصانة من الرغبات وتوفر ذلك باتباعها للعقل والبقاء دائماً برفقته وبالتأمل في الحقيقي والإلهي وفيما لا يُخمن ولا يُحدس ، وتستمد منه الوحي والالهام ، وذلك لأن روحاً كهذه تعتقد بان هذه هي الطريقة الصحيحة للحياة طيلة ما لها من أجل ، وتؤمن بأنها ستبلغ بعد الوفاة مكاناً شبيهاً بطبيعتها وقريباً لها ، حيث تكون قد تخلصت من جميع الشرور البشرية . وبعد تدريب كهذا ، يا عزيزي سيمياس وسيبيس ، لن يبقى أي سبب يستوجب الروح ان تخاف من انه حالما تنفصل عن الجسد ستذريها الريح بدداً بدداً ، وبهذا تختفي في الهواء وتكف عن الوجود كلياً .

بعد ان نطق سقراط بهذا القول خيم الصمت لفترة من الزمن على الجميع . وقد كشفت اسارير وجهه عن انه كان ما يزال منهمكاً في التفكير بالتعليل الذي كان قد أبداه لتوه ، كما كانت حالنا جميعاً ، غير ان سيمياس وسيبيس استرسلا في الحديث بصوت خفيض هامس . وعندما لاحظهما سقراط وترامى الى اذنيه بعض أقوالهما بادرهما سائلاً :

ـ لماذا تشعران بأن تعليلي غير كاف ؟ لا شك انه لا يزال فيه عدد من الثغرات الجديرة بالشك والاعتراضات ، هذا ان أردتما فحصه فحصاً مفصلاً . أما اذا كان هناك من موضوع آخر تتأملان الآن فيه ، فلا مانع من ذلك ، ولكن اذا كنتما تشعران بأية مصاعب في مناقشتنا هذه ، فلا تترددا في ابداء آرائكما ، وفي الإشارة الى أي نهج او اسلوب يكفل تحسين ما قلته ، وأرجوكما الانتفاع بخدماتي بكل وسيلة ، إذا كنتما تعتقدان بان باستطاعتي تقديم يد العون اليكما لازالة تلك المصاعب .

فاجابه سيمياس :

ـ حسناً للغاية يا سقراط . وأنا ساكون صريحاً معك كل الصراحة . لقد أحسسنا لفترة ببعض المصاعب ، وكان كل واحد منا يستحث الآخر على طرح الاسئلة . لذلك ترانا تواقين لتلقي أجوبتك عنها ، ولكن لم نرد ازعاجك خشية تكديرك وانت تعاني هذه النائبة .

وعندما سمع سقراط ما قاله سيمياس قال مبتسماً :

ـ انني عاجب من أمرك يا سيمياس . ولا شك في انني سأجد من الصعب عليّ ان أقنع العالم الخارجي بانني لا أرى في وضعي الراهن كارثة او نائبة ، وذلك اذا لم يكن باستطاعتي اقناعك انت بالذات ، كما أراك تخشى ان أكون الآن اكثر قابلية للاستثارة مما كنت من قبل . ومن الواضح أنك تعتقد بان بصيرتي في التفكير بالمستقبل هي أقل من بصيرة البجع ، لأن هذه الصور عندما تشعر بان منيتها قد حانت تأخذ بالتغريد بصوت أعلى وأعذب من كل تغريد لها من ذي قبل ، وذلك اغتباطاً بكونها ذاهبة الى حضرة الله ، حيث تعتبر نفوسها خدماً له . ومن الخطأ كل الخطأ ان تستنتج الكائنات البشرية ان البجع تغرد بآخر أغنية لها كتعبير عن حزنها لاقتراب نهايتها ، فالناس الذين يقولون بهذا ، إنما يكونون فريسة لتضليل خوفهم من الموت .

ولا يستطيعون ان يفكروا بأنه يوجد أي طير يغرد عندما يكون جائعاً او مقروراً او حزيناً ، ولا يستطيع ذلك حتى العندليب او الخطاف او الهدهد، الذي يعتبرون تغريده مرثاة . وأنا أرى انه لا هذه الطيور ولا البجع تغرد لأنها تكون حزينة ، وإنما أعتقد بأن للبجع ، بوصفها تنتمي الى أبولو ، قوى نبوية ، وهي تغرد لأنها تعرف الاشياء الطيبة التي تنتظرها في العالم غير المنظور ، ولذا تراها يوم وفاتها في حال من السعادة أعمق من التي شعرت بها في أي يوم آخر من أيام حياتها . وأنا أعتبر الآن نفسي أودي الخدمة ذاتها التي تؤديها البجع ، وأرى ذاتي مكرسة للإله عينه ، وأرى ان سيدي لم يمنحني من القوى النبوية أقل مما جاد به عليها ، وأشعر بأنني لست أقل منها قنوطاً من مغادرتي هـذه الحياة ، أما فيما يتعلق بخشيتك ، فلك ان تقول وتسأل عما تشاء وتريد ، مـا دام موظفو عدالة أثينا يسمحون بذلك .

فأجابه سيمياس :

ـ شكراً لك يا سقراط ! سأطلعك اولاً على المصاعب التي تعترض فهمي ، ومن ثم سيبين لك سيبيس مشيراً الى حيث يجد نظريتك غير مقبولة . فأنا اعتقد كما تعتقد أنت تماماً يا سقراط ، بانه على الرغم من انه من الصعب جـداً ، ان لم يكن مستحيلا على المرء ان يبلغ بقناعته هو اليقين بهذه القضايا والمسائل، بيد انني أرى ان لمن العجز كلياً ألا يبذل المرء كل جهد في امتحان النظريات المفيدة وتمحيصها ، او انه يتخلى عن هذا العمل قبل ان يكون قـد تأمل فيها من كل زاوية وعلى كل ضوء ، وقبل ان يكون قد استنفد كل سهم في جعبته . وأرى ان واجبنا يستلزمنا القيام باحد الأمرين التاليين : فإما ينبغي علينا توكيد الحقائق واثباتها، وسواء بطلب العلم أم بالإكتشاف الشخصي، وإن كان هذا الأمر مستحيلا علينا ، وجب علينا ان نختار أفضل نظرية وأجدر النظريات بالركون والاعتماد عليها ، والتي يكون بمستطاع العقل البشري تزويدنا بها ، وان نستعمل مثل هذه كطوف لركوب بحار الحياة ـ واعني بذلك انه علينا اختيار مثل تلك

النظرية مفترضين اننا لا نستطيع ان نقوم برحلتنا هذه بثقة أرسخ وأمن أشد مما يوفرهما لنا الوحي الإلهي .

وهكذا ، وبعد ما قلته الآن ، فلن أترك لأي حياء او إحجام ان يمنعني من التوجه باي سؤال اليك ، كيلا ألوم نفسي فيما بعد على كوني لم أقل كل شيء مرّ في خاطري . فأنا يا سقراط عندما تأملت في نظريتك ، وبحثتها مع سيبيس هنا ، شعرت بالواقع بان فيها الكثير من المصايب الخطيرة .

فأجابه سقراط :

ـ ان شعورك قريب للغاية من الصواب يا بني العزيز ، ولكن لتقل لي أين تكمن تلك العيوب ؟

فأجاب سيمياس :

ـ ان ما أعنيه هو هذا : بامكانك ان تقول الأمر عينه من دوزنة أوتار آلة موسيقية . وبمقدورك القول بان الدوزنة أمر غير منظور وغير جسدي ورائع وإلهي ، وتوجد في الآلة المدوزنة ، في حين ان الآلة بالذات وأوتارها تكون مادية وجسمية ومركبة وارضية ومرتبطة شديد الارتباط بما يكون فانياً . والآن لنفترض ان الآلة قد تحطمت ، او ان اوتارها قد تقطعت او انفصمت . فوفقاً لنظريتك يجب ان تكون الدوزنة لا تزال موجودة ـ ولا يمكن انتكون قد تلفت وهلكت ، وذلك لانه سيكون من غير المعقول ان ينبغي على الآلة والاوتار ان تبقى عندما تنقطع الاوتار ، حيث ان لهذه وتلك طبيعة فانية ، وان ينبغي على الدوزنة التي لها طبيعة ومميزات ما هو إلهي وخالد ألا يعود لها من وجود بالنظرة لانها تكون قد ماتت قبل جزئها الفاني . وستقول انالدوزنة يجب ان تكون ما تزال موجودة في مكان ما كما كانت من قبل ، وان الخشب والاوتار ستتعفن وتنحل قبل ان يحدث للدوزنة أي شيء . وانا ارغب في قول

هذا يا سقراط ، لاعتقادي بانك تعرف بان لنا نحن معشر الفيثاغوريين نظرية في الروح ، وهذه النظرية هي تقريباً كما يلي : ان الجسد متماسك عند توتر معين يقع بين الحدين الأقصيين من الحرارة والبرودة ، ومن الجفاف والرطوبة ... الخ ان روحنا هي المزاج الطبيعي ، وضبط وتعديل هذين الحدين الأقصيين بذاتيهما، وذلك عندما نكون مركبين بنسبة عادلة وصحيحة .

وهكذا ، فان كانت الروح في الواقع ضبطاً او تعديلا ، فمن الواضح حينئذ انه حالما نخفض او نزيد في توتر جسدنا زيادة او تخفيضاً يتجاوز الحد السديد ، فيجب على الروح آنذاك ان تندثر وتبيد ، رغم كونها إلهية ، وشأننا هذا شأن الموسيقي بالضبط ،او أي من الفنون والحرف،لأنه على الرغم من ان الجسماني ـ في كل حالة مما ذكرت ـ يلبث مدة أطول بكثير من الروح ، ويبقى الى ان يتم احراقه او يتعفن وينحل . فارجوك يا سقراط ان تجد لنا جواباً على هذا التعليل، إذا ما أصر أحدهم على القول بان الروح ـ بالنظر لكونها المزاج الطبيعي للأجزاء الجسدية الموُجدة ـ هي اول ما يتلف ويبيد بما ندعوه بالموت .

جحظ سقراط بعينيه واسعاً ـ وهذه كانت حيلة أثيرة لديه ـ ومن ثم ابتسم وقال :

ـ حقاً ان لنقد سيمياس ما يبرره ، وهكذا فاذا كان بينكم من هو اسرع بديهة مني ، فمن الافضل ان يجيبه عما قال . ويبدو لي ان سيمياس لا يعالج تعليلنا بصورة سيئة تماماً . وعلى كل حال اعتقد قبل ان نستحصل على الجواب ـ بانه ينبغي لنا سماع ما يبديه سيبيس بدوره من نقد ، كيما يتوفر لنا الوقت لنقرر ما الذي يتوجب علينا قوله ، وعندما نكون قد استمعنا اليه ، علينا إما ان نوافقهما على ما قالاه ، اذا ما بدا لنا انهما مصيبان فيما ابديا ـ والا فيجب علينا ان ننطلق للدفاع عن نظريتنا . فهيا يا سيبيس ولتطلعنا عما يقلق خاطرك.

فأجابه سيبيس :

– حسناً للغاية ! يبدو لي ان تعليلنا ما يزال تماماً حيث كان ، واعني بذلك انه معرض للنقد الذي وجهناه من قبل . اما البرهان على ان روحنا كانت موجودة قبل ان تتخذ هذا الشكل الراهن ، فهو برهان مرض تماماً ويمكننا حتى القول بانه مقنع . وأنا لن أبدل نظرتي في هـذا الأمر . ولكن فيما يتعلق بقولك بانها ستبقى موجودة بعد الوفاة ، أعتقد بان برهانـك على ذلك غير مقنع . وبودي هنا ان اذكرك بانني لا أوافق سيمياس على اعتراضه القائل بان الروح ليست أقوى ولا أطول ديمومة من الجسد ، فهي تبدو لي على انها أقوى وأطول بكثير ديمومة منه . وان نظريتك قد تتساءل قائلة : « إذن لماذا ما تزال شاكاً مرتاباً وبمستطاعك ان ترى انه بعد وفاة الانسان يبقى حتى الجزء الأضعف منه مستمراً في البقاء ؟ وهلا تعتقد بان الجزء الاطول ديمومة يجب منطقياً ان يستمر في البقاء تلك المدة التي يستمرها ذاك ؟ » حسناً ! هذا جوابي وأريد منك التروي فيما اذا كان يوجد أي جوهر فيما أقول ، لأنني ، كسيمياس ينبغي عليّ ان أعمد الى رسم صورة .

لنفترض ان خياطاً كهلا قد توفي لتوه . فعندئذ ستقول نظريتك بان هذا الرجل ليس ميتاً ، وانما يوجد في مكان ما آمناً وسليماً ، وتقدم برهاناً على ذلك قائلا بان المعطف الذي خاطه لنفسه وكان يرتديه لم يبلَ ، وانه ما يزال سليماً. واذا وجدت هناك أي امرىء يشك فيما تقوله فستسأله آنذاك ، كما اعتقد ، أيا من المرجح ان يبقى مدة أطول من الآخر ، هل الرجل أم المعطف الذي كان يستعمله ويرتديه ؟ وعندما يجيبك ان الرجل هو الذي يعيش على الأرجح مدة أطول من ذاك ، فستعتقد آنذاك بانك قد برهنت البرهان القاطع على ان الرجل ما يزال آمناً وسليماً بالنظر لكون الموضوع الأقصر ديمومة منه لم يبل ويفن . ولكن ليس الأمر بالتأكيد على هذه الشاكلة يا سيمياس ، لأنني اريد منك وجهة نظرك ايضاً ـ وبامكان أي امرىء ان يدحض ذاك التعليل ، فالخيـاط يخيط ويبلي اي عدد من المعاطف ، ولكن على الرغم من انه قد يعمر ما بعد

جميع المعاطف الأخرى ، فانه يموت قبل ان يبلى آخر معطف خاطه لنفسه ، وهذا القول لا يعني ان الانسان هو دون المعطف ، وان سلطته على الحياة أضعف من سلطة المعطف عليها . وانا أعتقد بان هذا التمثيل ينطبق على علاقة الروح بالجسد ، وأرى من المعقول ان نقول عنهما بالأسلوب ذاته ، ان الروح هي شيء يعاش طويلاً ، وان الجسد يكون نسبياً ضعيفاً ويعاش قصيراً . ولكن ، بينما قد نسلم بان كل روح قد تبلي عدداً من الاجساد ، لا سيما اذا عاشت عدداً عديداً من السنين ـ وذلك لأنه على الرغم من ان الجسد يكون متبدلاً ومنحلاً بصورة مستمرة طيلة الحياة ، بيد ان الروح لا تتوقف البتة عن استبدال ما بلي واهترأ بغيره ـ اقول بينما قد نسلم بذلك الأمر الا انه يتوجب علينا ان نفترض انه عندما تتوفى الروح وتموت ، تكون ما تزال مالكة آخر غطاء لها ، وتفني قبله في هذه الحالة فقط ، علماً بان الروح عندما تفنى يكشف الجسد عن وهنه الطبيعي ويتعفن وينحل سريعاً . وانك اذا سلمت بهذا الرأي فلن يكون هناك من مبرر لثقتنا بان الروح ما تزال باقية في مكان ما بعد الوفاة . ولنفترض ان احدهم قد وافق على دليل الخلود موافقة أشد مما تدعي وتزعم ، ولم يسلم بان ارواحنا كانت موجودة قبل الولادة فحسب ، بل سلم كذلك بان بعضاً منها قد يستمر في البقاء أو يعود الى الوجود بعد الموت ، فيولد ويموت ثانية ولمرات عديدة ، (قائلاً بان للروح حيوية كتلك التي تمكنها من البقاء خلال تجاسيد متتالية) ، فهو فضلاً عن تسليمه بهذا ، يسلم كذلك بان الروح لا تكابد في مختلف ولادتها الجديدة أية آثار سيئة ، لا تكابدها في احدى ميتاتها عندما تفنى كلياً وتبيد ، واذا كان من المتوجب عليه ان يسلم بانه لا يوجد أي انسان يعرف أية من هذه الميتات او الانتعاقات من الجسد ، ستكون مميتة للروح (وذلك لأن مثل هذه البصيرة مستحيلة بالنسبة لأي منا) ، فعندئذ ووفاقاً لهذه الشروط يا سقراط ، لا يستطيع أي انسان ما عدا الأحمق القدم ان يواجه الموت بثقة واطمئنان ، ما لم يكن بمقدوره البرهنة على ان الروح خالدة الخلود المطلق ، وغير قابلة البتة للفناء . وخلافاً لذلك ينبغي على كل امرىء ان يشعر بالرهبة والخوف حين دنو

أجله ، خشية ان يكون في هذا الانعتاق المميز من الجسد الفناء النهائي والكلي لروحه . »

وعندما انتهينا من سماع ما أبداه سيمياس وسيبيس من اعتراضات شعرنا بكدر شديد كما قال أحدنا للآخر فيما بعد . لقد كنا مقتنعين تماماً بالجزء الاول من البحث ، لكننا شعرنا الآن بأنها قد طمسا قناعاتنا ودمرا ثقتنا ليس فقط بما سبق ان قيل قبل ذلك ، وانما كذلك بأي قول قيل فيما بعد ، ولربما كنا عاجزين عن الحكم ، او كانت الوقائع غير جديرة بالاعتماد والركون اليها .

وهنا علق اشيكراتيس قائلاً :

ـ حقاً ان لك مني كامل عطفي ، فبعد سماعي لما رويته أجد نفسي فريسة للريب والشكوك ذاتها . فكيف يكون بامكاننا الإيمان بأي شيء بعد كل هذا ؟ فتعليل سقراط كان مقنعاً الاقناع المطلق ، لكنه أمسى الآن غير جدير أبداً بالثقة والاعتقاد . وان تلك النظرية القائلة بأن روحنا هي نوع من الدوزنة كانت ابداً نظرية تلقى لدي انجذاباً استثنائياً اليها ، وعندما سمعتها تقال ذكرتني بأنني أنا بالذات قدشكلت وجهة النظر ذاتها . وانما احتاج اليه الآن بالفعل لهو برهان آخر ، يبدأ من مستهل البداية ، ليدخل في قناعتي بانه عندما يموت الإنسان لا تموت الروح معه . فلتقل لي كيف عاد سقراط ليتابع نهجه في الحديث ؟ وهل بدت عليه أية بادرة من كدر وانزعاج ، كما بدرت منكم ، أم هل بادر بهدوء لانقاذ تعليله ؟ وهل أنقذه بقوة وفاعلية أم لا ؟ فلتطلعني على كل تفاصيل الحديث وبادق ما يمكنك .

فاجابه فيدو :

ـ استطيع ان اؤكد لك يا اشيكراتيس على ان سقراط كثيراً ما أذهلني ، ولكن لم يسبق لي البتة ان أعجبت به أشد العجب في قلك المناسبة الخاصة .

فان يكن مستعداً للجواب كان أمراً ـ كما افترض ـ ليس غير طبيعي بالنسبة له ، لكنّ ما أثر في نفسي هو ذاك الاسلوب البهيج اللطيف والموزون في تلقيه اعتراضات الشابين ، ومن ثم ادراكه السريع لكيفية تاثير انعطاف البحث فينا ، واخيراً تلك المهارة التي أبداها في معالجة جراحنا وابرائها وفي حشد قوانا المشتتة وتشجيعه إيانا على الانضمام اليه لمتابعة البحث .

ـ كيف قام بهذا الأمر ؟

فأجابه فيدو :

ـ سأطلعك على ذلك . لقد حدث ان كنت آنذاك جالساً الى اليمين من سريره وعلى كرسي خفيض ، وكان هو على ارتفاع بالغ مني . وهكذا وضع يده على رأسي وجمع ضفائر شعري المسترسلة على رقبتي ـ فهو لم يكن ليفوت فرصة ليمازحني في موضوع ضفائري ـ ومن ثم قال: أعتقد يا فيدو بانك ستقص غداً هذا الشعر الجميل .

ـ وأنا أعتقد بذلك يا سقراط .

ـ انك لن تقصه اذا عملت بنصيحتي ؟

ـ لماذا ذلك ؟

ـ لأنني سأقص أنا شعري هذا اليوم وعليك ان تجاريني بذلك ، وأعني اننا سنقوم بهذا الأمر إذا تركنا لتعليلنا ان يفشل ويموت ، ولم نفلح في إعادته الى الحياة . ومما هو أخطر ، انه لو كنت مكانك وتركت للحقيقة ان تفر مني ، لكان من المتوجب عليّ ان أقسم بكالار غايف على الا أدع شعري ينمو ثانية قبل ان اكون قد هزمت تعليل سيمياس وسيبيس في معركة كرارة .

فأجبته معترضاً :

ـ لا يستطيع حتى هرقل ان ينازل اثنين في وقت واحد .

ـ من الافضل لك ان تستنجد بي لأكون ايلوس بالنسبة لك .

ـ حسناً للغاية ! لكنني أنا ايلوس استنجد بهرقل ، ولست بهرقل يستنجد بايلوس .

ـ لكن النتيجة ستكون تماماً واحدة ، ولكن هنـاك خطراً علينا ان نحتاط منه .

ـ أي خطر تعني ؟

ـ خطر ان نصبح أعداء للتباحث ، بالمعنى الذي يغدو وفقه الناس أعداء للبشر . فليس هناك من نائبة يمكن لها ان تنزل بالإنسان أشد من اعتياده على مقت التباحث والحديث . فمقت التباحث وبغض البشر ينشآن بالطريقة ذاتها تماماً . فمقت البشر ينشأ عن اعتقادك بأن أحدهم فوق كل انتقاد ونقد . فقـد تعتقد مثلاً بأن أحد الاشخاص صادق الصدق المحض ، ومخلص ، وموثوق الثقة المطلقة ، ومن ثم ، تكتشف بعد فترة وجيزة انه نسيج رجيع بال وغير جدير بالثقة والاعتماد . ثم يحدث لك الأمر ذاته ثانية . وبعد العديد من خيبات الآمال المتكررة التي تلقاها على أيدي اولئك الناس الذين كنت تعتقد بأنهم هم أقرب الاصدقاء اليك وأشدهم اخلاصاً لك ، ينتهي غيظك الى جعلك تكره كل إنسان ، والاعتقاد بأن الاخلاص لا يوجد في أي مكان . ألم يسبق لك البتة ان لاحظت حدوث مثل هذا الأمر ؟

ـ نعم لقد لاحظته .

ـ ألا تشعر بأن مثـل ذاك المرء الذي يتسبب بمثـل ذاك الشعور يستحق الزجر والتعنيف ؟ أليس من الواضح ان شخصاً كذاك يحاول انشاء علاقـات بشرية دون أي فهم نقدي للطبيعة البشرية ؟ وإلا خلافاً لذلك ، كان من المؤكد ان يتعرف على الحقيقة القائلة بأنه لا يوجد الكثير من الناس الاخيار او الاشرار للغاية ، لأن الاكثرية الساحقة تكون بين هذين الحدين الأقصيين .

ـ كيف تعلل ذلك ؟

ـ تمثيلاً ، وعدد غفير للغاية او ضئيل من المواضيع . فهل بإمكانك ان

تفكر بأي شيء يكون غير طبيعي كمصادفتك لإنسان بالغ الضخامة او ضئيل الجسم للغاية ، او كلباً او أي كائن آخر ؟ او شخصاً سريعاً او بطيئاً للغاية ، جميلاً او دميماً أسود او أبيض للغاية ؟ ألم تدرك أبداً ان الامثلة القصيا تكون قليلة ونادرة ، بينما يكون الوسط منها موفور العدد وغفيراً .

ـ طبعاً .

ـ وهكذا تعتقد بأنه لو كانت هناك منافسة في الشر ، فان عدداً قليلا ضئيلاً من الناس سيبرز فيها . أليس كذلك ؟

ـ هذا ما أرجحه .

ـ نعم هذا هو المرجح ، ولكنك قد دفعت بي على كل حال الى الانحراف . فالمشابهة بين التعاليل والكائنات البشرية لا تكمن فيما قلت لتوي ، بل فيما سبق ان قلته من قبل ، وذلك حينما قلت بأنها تتبدى عندما يعتقد أحدهم بأن التعليل صحيح بدون أي استناد الى فن المنطق ، ومن ثم يقرر بعد قليل ، صواباً او خطأ ، ان التعليل مغلوط ، ثم يحدث الأمر ذاته المرة تلو الأخرى ـ ولا شك انك تعرف كيف تكون الحال ، ولا سيما حال اولئك الذين يمضون وقتهم في مناقشة كلا الجانبين ، فهؤلاء الناس ينتهون الى الاعتقاد بأنهم أعمق حكمة من أي إنسان آخر غيرهم ، لاعتقادهم بانهم هم وحدهم الذين اكتشفوا انه لا يوجد أي شيء ثابت او يمكن الركون اليه في كل من الوقائع والأدلة ، وان كل شيء يترنح رجراجاً تماماً كالماء المتدفقة في قناة مدّية ، ولا يتوقف عند أية نقطة في أي وقت .

ـ ان ما تقوله لصحيح تماماً .

ـ حسناً للغاية ! إذن فلنفترض ان هناك حجة تكون صحيحة ومشروعة ، ويكون اكتشافها أمراً ممكناً ، هذا اذا كان هناك أي انسان ـ على الرغم من خبرته بان هذه الحجج تبدو في نظر الاشخاص ذاتهم أحياناً صحيحة وأخرى مغلوطة ـ لا يلقى بالمسؤولية على نفسه وعلى افتقاره الى المهارة التقنية ، بل يقنع أخيراً ، مدفوعاً بالسخط والغضب ، بتحويل اللوم عن نفسه الى الحجج ،

ويقضي بقية حياته يطعن وينقد بها ، وهكذا يضيع الفرصة السانحة لمعرفة الصحيح عن الحقيقة الواقعية . ألا يكون مثل هذا الأمر باعثاً على الاسف والحزن ؟

ـ لا شك انه يكون كذلك .

ـ حسناً للغاية ! فهذا هو الشيء الاول الذي يتوجب علينا الاحتراس منه ، فيجب ألا نسمح للرأي القائل بانه لا توجد أية صحة في التعليل ، بدخول اذهاننا ، بل على العكس من ذلك ، إذ ينبغي علينا ان نعترف باننا ما نزال مشوهين فكرياً ، ولكن علينا ان نبذل كل جهد ممكن لنبرأ ونتعافى ـ فعليك انت والآخرين ان تقوموا بذلك طيلة ما تبقى لكم من أجل ، بينما اقوم أنا به وأنا انظر مباشرة الى وفاتي ، لانني في هذه اللحظة محاط بالخطر ، من ألا أتأمل في هذا الموضوع تأملاً فلسفياً ، بل تأملا نابعاً من حب التسلط الذاتي . وانت تعلم حق العلم كيف ان الناس ، الذين لم يحصلوا على أية ثقافة حقيقية ، لا يهتمون أدنى اهتمام بوقائع القضية ، وكيف يكونون تواقين فقط الى جعل مستمعيهم يسلمون بوجهة نظرهم . وأنا أشعر في هذه اللحظة الراهنة بانني سيء مثلهم تماماً ، ولا يوجد سوى هذا الفارق بيننا ، وهو ان قلقي الشديد لا يحول دون رغبتي في اقناع المستمعين ـ إلا ان صدفة واتفاقاً ـ بل من عزمي على الحصول داخل ذاتي على أشد قناعة ممكنة رسوخاً وثباتاً . وهذه هي كيفية تقديري للوضع يا عزيزي ـ فلتركم أنا أناني ! فاذا كانت نظريتي صحيحة ، فمن الصواب ان نعتقد بها ، وحتى لوكان الموت هو عدم وانطفاء فانني سأكون ، على كل حال ، في هذه البرهة أخف ميلا الى تكدير رفاقي بافساحي الطريق أمام الاشفاق على النفس الى قلوبهم ، كما ان حماقتي هذه لن تستمر في الحياة معي ، (الأمر الذي يكون كارثة) ، بل ستنتهي خلال فترة جد وجيزة .

ومن ثم استرسل يقول :

هذه يا عزيزي سيمياس وسيبيس ، هي الروح التي اعددت بها نفسي لمناقشة

مواضيع بحثنا . امـا فيما يتعلق بكما ، فانصحكما ، إذا قبلتما بنصحي ، بالا تفكرا الا أقل تفكير بسقراط ، وان تتمعنـا ، اكثر من ذلك بكثير ، في الحقيقة ، فاذا اعتقدتما بأي شيء مما اقوله صحيحاً ، فعليكما ان تسلما بذلك ، واذا لم تكن هذه حالكما تقاوماه بكل دليل او حجة تتوفر لديكما . وعليكما كذلك الا تسمحا لي ، في فورة حماستي ، بأن اخدعكما واخدع نفسي معـاً ، وان أدع ورائي آثار لدغتي والم لسعتي حينما أطير بعيداً .

ثم استأنف يقول :

– حسنا ! يجب ان نمضي في بحثنا ، ولكن عليكما اولاً ان تذكراني بمـا ورد على لسانيكما ، اذا وجدتما ذاكرتي غير دقيقة . اعتقـد ان بأن سيمياس فريسة للريب والشكوك ، فهو يخشى ان تكون الروح – مع انهـا شيء اكثر ألوهية وارفع من الجسد – اول فريسة للهلاك بوصفها نوعاً من دوزنة . ومن جهة ثانية فقد خيل لي ان سيبس يوافقني على القول بأن الروح ابقى من الجسد ، ولكنه عاد ليقول :

لا يستطيع أي انسان ان يكون متأكداً وواثقاً من ان الروح بعد ان تبلي العدد العديد من الاجساد ، لا تهلك بذاتها مخلفة ورائها آخر جسد دبت فيه . وهو يعتقد بأن الموت قد يكون بالضبط هلاك الروح ، وذلك لأن الجسد لا يتوقف عن التفسخ والانحلال طيلة الزمن .

فهل اصبت يا سيمياس وسيبيس في اعتقادي بأن هذه هي الاعتراضات التي يتوجب علينا فحصها وتحريها ؟

فأجاباه موافقين على ما قال .

فاستطرد سقراط سائلاً :

– حسناً ! هل ترفضان جميع حججنا وتعاليلنا السابقة ام ترفضان البعض منها فقط ؟

– نرفض بعضها فقط

– اذن ما رأيكما في محاكمتنا العقلية التي اكدنا من خلالها على ان التعلم تذكر واستذكار ، وعلى انه اذا كانت هذه هي الحال ، فيجب ان تكون ارواحنا قد وجدت في مكان آخر قبل ان جرى سجنها داخل الاجساد ؟

فأجابه سيبيس :

– فيما يتعلق بي فقد وجدت تلك النظرية مقنعة بصورة مذهلة ، وما أزال استمسك بها أشد من استمساكي بأية نظرية اخرى .

وهنا قال سيمياس :

– نعم انها في الواقع لكذلك ، وموقفي منهـا هو تماماً موقف سيبيس ، ولذا فسأعجب من نفسي أشد العجب اذا حدث وبدلت من نظرتي اليها .

لكن سقراط بادره يقول :

– لكن سيكون عليك ان تبدل رأيك يا صديقي « الطبيي » ، اذا مـا استقام المفهوم القائل ان الدوزنة شيء مركب ، وان الروح دوزنة تتألف من عناصر جسدية في حالة توتر معين . ويخيـل الي انك لن تسلم حتى لنفسك اذا قالت إن الدوزنة المركبة قد وجدت قبل العناصر التي كان ينبغي ان تتركب منها . او هل ستسلم بذلك ؟

– طبعاً لن اسلم ابداً بذلك ، وحتى للحظة واحدة يا سقراط .

فاردف سقراط سائلاً :

– الا ترى ان هذا الامر هو تماماً ما يعنيه قولك بأن الروح توجد قبل ان

تحل في شكل بشري او الجسد ، وانها تتألف من عناصر لم توجد بعد ؟ ومن المؤكد ان الدوزنة ليست قطعاً كموضوع مقارنتك . فالآلة والاوتار والنغمات غير الموزونة يجب ان تأتي اولا وتأتي آخر كل شيء الدوزنة لتنشأ ومن ثم لتكون اول ما يهلك ويبيد . فكيف يمكن لهذا القول ان يتناغم وينسجم والاقوال الاخرى ؟

– انه لن يتفق بتاتاً معها

فاستطرد سقراط قائلا .

– ومع ذلك فاذا كان هناك من قول ينبغي له ان يكون متناغماً ، فانه القول بالدوزنة .

فرد سيبيس :

– نعم ينبغي ان يكون ذلك .

– حسنا ! لكن هذا القول لا يتناغم ونظرتك . فلتحزم امرك ولتقل لي اية نظرية تفضل النظرية القائلة بأن التعلم هو تذكر واستذكار ام ان الروح هي دوزنة ؟

فأجابه سيبيس :

– انني افضل الاولى دون تردد ، أما الثانية فقد راقت لي بدون اية دعامة او برهان ، كما لو انها كانت مرتكزة الى تمثيل مستحسن وجميل ، وهذا هو السبب في كون ان معظم الناس يجدها نظرية فاتنة وجذابة . ولكنني ادرك ان النظريات التي ترسي ادلتها على الاستحسان لهي بمثابة الافاكين والدجالين ، وهي ما لم تكن حذراً محترساً فتضللك وتخدعك في كل من الهندسة وغيرها من المواضيع . ومن جهة اخرى فان النظرية القائلة بأن التعلم هو تذكر ، لهي

نظرية تشتق عن فرضية جديرة بالتسليم والقبول . كما ان النظرية القائلة بأن توجد حتى قبل حلولهـا في الجسد فهي نظرية تستقيم او تهوي اكيداً بامتلاك الروح للمعيار النهائي للحقيقة الواقعية ، وهذه نظرة كما اعتقد ارسخ اعتقاداً ، قد سلمت بها تسليماً كاملاً ومصيباً . ولذلك يبدو لي انه يتوجب علي الا أقبل من نفسي او من أي انسان آخر الزعم بأن الروح هي دوزنة .

غير ان سقراط اجابه :

– هاك هذه الزاوية للنظر منها اليها ايضاً . هل تعتقد بأن الدوزنة او أي شيء مركب آخر ينبغي ان يكون في حال تختلف عن حـــال عناصره المكونة او الموجدة ؟

– كلا لا اعتقد بذلك ؟

– كما وانه ينبغي كما افترض الا يفعل او يُفعل فيـه على شكل مختلف وعناصره ، أليس كذلك ؟

– نعم انه كما تقول .

فاستطرد سقراط سائلا :

– اذن لا ينبغي على الدوزنة ان تضبط عناصرها، بل عليها ان تتبع توجيه تلك العناصر وارشادها .

فوافق سيمياس على ذلك واستطرد سقراط يقول :

– ليس هناك من اي وجه لاصطدام الدوزنة بعناصرهـا سواء في الحركة او الصوت او اي شيء آخر غير هذين .

– كلا بتاتاً

– حسناً جداً ؟ أليست طبيعـة كل دوزنة ان تكون دوزنـة من حيث كونها مدوزنة ؟

– انني لا أفهم ما ترمي اليه ؟

فاجابه سقراط :

– تأكيداً ، انه اذا دخل عليها المزيد من الدوزنة ، أي انها أمست دوزنة على درجة ادق (مفترضين بأن ذلك ممكن) ، فيجب آنذاك ان تكون اكثر من دوزنة ، لكنها اذا جرت دوزنتها بمقدار اقل ، أي على درجـــة دون العادية ، ينبغي آنذاك ان تكون اقل من دوزنة .

– تماماً كما تقول

فاردف سقراط يقول :

– وهل هذه هي الحال والروح ايضاً – أي هـل تكون احدى الارواح حق في كل دقيقة من دقائقها اكبر او اصغر من روح اخرى .

– كلا انها لا تكون كذلك اطلاقاً

– والآن فلتعرني كل ما لديك من انتباه واصغاء ! هل نقول بأن نوعاً من روح تميل الى الذكاء والخير ، ولذلك فهي صالحـة ، وان روحاً اخرى هي فريسة للغباء والشر ، ولذلك تكون شريرة ؟

وهل هذا القول صحيح ؟

– نعم ...

– إذن كيف يعلل شخص يقول بأن الروح هي دوزنة ، وجود الخير والشر فيها ؟ فهل سيصف هـذين بأنهما دوزنة أخرى او بوصفهما افتقاراً للدوزنـة ؟ وهل سيقول بأن الروح الصالحة هي روح مدوزنة وليست فقط دوزنة بالذات ، وانما تحتوي على دوزنة أخرى ، في حين ان الروح الطالحة هي روح غير مدوزنة ولا تحتوي على دوزنة اخرى ؟

فاجابه سيمياس قائلا :

انني حقاً لا استطيع قول ذلك ، ولكن من الواضح ان أيا امريء يستمسك بهذا الرأي ينبغي عليه ان يقول شيئاً ما من هذا النوع .

فاردف سقراط يقول :

– لكن قد سبق لنا ان اتفقنا قبل ذلك على انه لا يكون بامكان أي روح ان تكون أكبر او أصغر من روح أخرى ، وهذا القول هو تماماً كاتفاقنا على القول بأنه لن يكون بمقدور أية دوزنة ان تكون أدق من دوزنة على درجة رفيعة او أقل منها وعلى درجة دون الأخرى . أليس كذلك ؟

– تأكيداً .

– واتفقنا على ان ذلك الذي لا يكون لا أكثر ولا أقل من دوزنة يكون أيضاً لا أدق ولا أقل تدوزناً . أليس كذلك ؟

– نعم .

– وهل يحتوي ذاك الذي يكون أدق او أقل تدوزناً ، على نسبة أكبر او أصغر من الدوزنة ، او على نسبة واحدة متساوية ؟

– انه يحتوي على نسبة واحدة متساوية .

فأردف سقراط قائلا :

– إذن نظراً لأنه لا توجد روح تكون أكثر او أقل من روح تماماً ، لذلك لا تكون أكثر ولا أقل تدوزناً .

– ان الأمر كما تقوله .

– إذن فبموجب هذا الشرط لا يمكن ان تحتوي على نسبة أعلى من النشاز او الدوزنة .

– طبعاً لا تستطيع ذلك .

– بموجب هذا الشرط هل يستطاع احدى الأرواح ان تحتوي على نسبة

من الشر او الخير أضخم مما تحتوي منها روح أخرى ، مفترضين هنا بأن الشر هو النشاز والخير هو الدوزنة .

– كلا لا يكون ذلك بامكانها .

– لنفترض يا سيمياس بالتعقل الصارم ان الدوزنة لن تحتوي على أية روح محتويـة عـلى أي مسهم من الشر اذا كانت دوزنة ، ونظراً لأن الدوزنة هي بالتأكيد دوزنة مطلقة وليست أي شيء آخر غير تلك ، لذلك لن يكون بمستطاعها ان تحتوي على أي مسهم من النشاز .

– كلا لن يكون بمقدورها ذلك البتة .

– كما لن يكون بامكان الروح ، نظراً لكونهـا روحـاً مطلقة ، ان تحتوي على أي مسهم من الشر .

– كلا لن يكون بمقدورها ذلك على ضوء ما قلناه .

– إذن واستناداً الى هـــذه النظرية تكون روح كل مخلوق حي روحـاً صالحة – وذلك بناءً على الافتراض بأن من طبيعـة كل الأرواح ان تكون أرواحاً بالتساوي ، وليس أي شيء ما عدا أرواح .

– أعتقد بأن هذا هو ما يتبع .

– هل تعتقد بأن هذا الرأي مصيب ؟ وهـل كان بامكان التعليل ان يبلـغ أبداً هذا الاستنتاج لو ان فرضيتنا القائلة بأن الروح هي دوزنة ، كانت فرضية صحيحة ؟

– كلا لن يبلغها بتاتاً .

– حسناً ، وهـل تعتقد بـأن هناك جزءاً آخر من أجزاء الإنسان غـير الروح ، هو الذي يسيطر على الإنسان ، ولا سيما اذا كانت روحاً حكيمة ؟

– كلا لا أعتقد بغيرها .

– وهل تستسلم الروح لأحاسيس الجسد او تقاومها ؟ وأعـني بذلك انـه عندما يكون المرء محموماً وظامئاً تستوجبه الروح سلوك الطريق الأخرى أي ان لا يشرب ، وعندما يكون جائعاً تستلزمه ألا يأكل ، وهناك الآلاف من

الطرق الأخرى بحيث نرى الروح تقاوم الغرائز الجسدية .

أليس كذلك ؟

– بالتأكيد انه لكذلك .

– ألم يسبق لنا منذ برهة ان اتفقنا على انه اذا كانت الروح دوزنة ، فلن تستطيع أبداً ان تجهر بنغم يصدم توتر او استرخاء او ذبذبة او أي حال أخرى من أحوال أجزائها الموجدة، بل يتوجب عليها أبداً اتباع تلك الاجزاء؟

– طبعاً لقد اتفقنا على ذلك .

– حسناً ! بالتأكيد بامكاننا ان نرى الآن ان الروح تعمل تماماً بعكس ما تعمل الدوزنة . فهي توجه جميع العناصر التي يقولون بأنها تتألف منها ، وتقاومها في كل أمر وشيء طيلة الحياة ، وتمارس كل شكل من اشكال الرقابة والضبط ، واحياناً تمارس ذلك بطرق صارمة وغير مبهجة ، كطرق التدريب الجسدي والدواء ، وحيناً بوسائل الطف من تلك ، وتارة بالزجر والتوبيخ ، واحياناً بالتشجيع ، وتعاكس الرغبات والانفعالات والمخاوف كما لو انها كانت جزءاً منفصلاً وبعيداً تماماً عنها . انها تماماً كما وصفها هوميروس في الاوديسية ، حيث يقول عن اديسوس :

ومن ثم لطم صدره ، وهكذا وبخ قلقه قائلا :

فلتحتمل يا قلبي ، فاسوأ من هذا سبق لك احتماله .

فهل تعتقد بأن هوميروس عندما كتب ذلك كان يعتقد بأن الروح دوزنة قابلة لأن تنحرف بها الاحاسيس الجسدية ؟ لا شك انه قد اعتبرها قادرة على السيطرة على تلك الأحاسيس وضبطها ، بوصفها شيئاً ما فيه من الالوهية اكثر بكثير من ان تكون على مستوى الدوزنة .

– هذا يقيناً ما يبدو لي يا سقراط .

– حسناً للغاية ! ففي هذه الحالة لا يوجد أي مبرر للقول بأن الروح هي ضرب من دوزنة. وعلينا ألا نوافق هوميروس ولا ان نكون متشبثين الى حين.

– هذا ما يجب ان يكون .

– يبدوا اننا هدأنا من روح السيدة « الطبيبة » هارمونيا ، ولاقينا في ذلك نجاحاً لا بأس به ، ولكن ما قولك بقدموس يا سيبيس ، فكيف ينبغي لنا ان نهدىء من روعه ، وأي تعليل او حجة ينبغي ان نستخدمها في ذلك ؟

فاجابه سيبيس :

– اعتقد بأنك ستجد طريقاً الى ذلك . فهذه الحجة التي ابديتها ضد نظرية الدوزنة قد تجاوزت ببعيد كل ما كنت ارقبه . وعندما كان سيمياس يشرح مفسراً ما يلقاه من مصاعب ، كنت أتساءل عاجباً شديد العجب ، عما اذا كان هنـاك من إنسان ان يقوم بأي عمل إزاء حجته وتعليله ، ولذلك ذهلت تماماً إذ وجدت تعليله عاجزاً عن الصمود أمـام هجمتك الأولى . ولن أعجب اذا لاقت حجة قدموس المصير ذاته .

فأجابه سقراط :

– لا تتبجح يا صديقي العزيز ! وإلا فان بعضاً من النحس قد يقلب التعليل التالي رأساً على عقب ، لكننا ، على كل حال ، سنترك هذا الأمر لله ، فواجبنا الآن بلوغ مفاهيم أوضح ووفقاً للاسلوب الهوميري وامتحان صحة مناظرتك .

ان ما تحتاج إليه داخل صدفة الجوزة هو ان تتأمل في انه مـا لم تكن ثقة فيلسوف على وشك ان يموت تؤمن بان حاله ستكون بعد الموت لأنه عاش حياته وانهاها في الفلسفة ، حالاً افضل من اية حال أخرى ناشئة عن أي طريق آخر غير الفسلفة ، فعندئذ تكون هذه الثقة عمياء خرقاء ، ولذا يتوجب علينا ان نبرهن على ان الروح خالدة غير قابلة للفناء . وعلينا ان نظهر ان لها حيوية

شديدة وطبيعة مشابهة لطبيعة الله ، وانها قد وجدت حتى قبل ولادتنا – فعن جميع هذه الامور ، قد تقول بانها قد تشير بصورة واضحة للغاية لا الى كون الروح الخالدة ، بل الى كونها فقط معاشة طويلاً ، وكان لها وجود سابق في مكان ما ولفترة هائلة من الزمان حيث كانت تتمتع بمقدار ضخم عن المعرفة والفاعلية . ولكن جميع هذه الامور لا تجعلها مع ذلك خالدة ، وان حلولها في الجسد كان في الواقع كمرض ، والبداية لهلاكها ، وانها تعيش هذه الحياة بقلق متزايد ، وأخيراً تهلك وتبيد فيما ندعوه بالموت . وانك لتقول كذلك إن الامر سيان بالنسبة لمخاوفنا الفردية سواء أحلت الروح في الجسد مرة واحدة أم مرات عديدة ، وان أي انسان لا يعرف ولا يستطيع أن يبرهن على ان الروح خالدة، يجب عليه ان يرهب ويخاف ما لم يكن أحمق الرأي أخرقه .

ثم استطرد سقراط يقول :

– هذا على ما اعتقد ، هو جوهر اعتراضك يا سيبيس . ولقد تعمدت عرضه اكثر من مرة كيلا يفلت أي شيء منه ، وكي يكون بمستطاعك أن تضيف إليه أو تحذف منه أي شيء تريد وتختار .

فأجابه سيبيس :

– في اللحظة الراهنة لا يوجد لدي أي شيء أضيفه اليه او احذفه منه ، فما ابديته كان بالضبط وجهة نظري .

وبعد ان أمضى سقراط بعض الوقت في التأمل قال :

– ان ما تطلبه يا سيبيس ليس بالأمر الهين اللين . فهو يستوجب معالجة كاملة لعلل التولد والهلاك . واذا رغبت فسأدلي إليك بخبراتي الخاصة في هذا المضمار ، فاذا وجدت اي شيء يقدم اليك يد العون في تعليلي ، فبمقدورك ان تستخدمه لاقناع نفسك ثانية باعتراضاتك .

فأجاب سيبيس :

– نعم ان ارغب في ذلك كل الرغبة .

– إذن فلتصغِ وأنا سأطلعك على ما لدي . عندما كنت شاباً كنت اشعر بشغف شديد بذاك الفرع من التعلم الذي ندعوه بالعلم الطبيعي ، ولقد اعتقدت بأنه من المدهش ان يعرف المرء العلل التي يجيء بموجبها كل شيء الى الوجود ويكف عن الاستمرار في البقاء . وهكذا كنت أبداً تراني اتطلع يمنة ويساراً وخلفاً واماماً مرتبكا بصورة رئيسية ومختاراً من هذا النوع من الاسئلة : هل عندما تُولّد الحرارة والبرودة الاختمار تولد المخلوقات الحية كما يقول البعض ؟ وهل نحن نقوم بالتفكير بواسطة الدم ام الهواء أم النار التي تشتعل داخلنا ؟ أم انه لا يقوم أي مما ذكرت بذلك ، بل يقوم الدماغ بتزويدنا بحواس السمع والبصر والشم ، وان الذاكرة والفكر ينشآن عن هذه الحواس ، وتنشأ المعرفة عن الذاكرة والفكر عندما يتم ترسخهما ؟

ومن ثم كنت أتأمل ثانية في كيفية ضياع هذه الملكات ، وبعدها كنت انطلق الى دراسة الظاهرات السماوية والارضية ، حتى توصلت أخيراً الى الاستنتاج بانني غير صالح اطلاقاً لهذا النوع من البحث . وسأقدم لك الدلائل الكافية على ما اعنيه . لقد سبق لى وفقاً لتخميني وتخمين الآخرين ان فهمت بعض الاشياء فهماً واضحاً نيراً ، لكن هذه التأملات قد أحاطتني الآن بستار كثيف من الضباب بحيث نسيت معه ما كنت اعتقد بانني اعرف به ، ولا سيما علة النماء في الكائنات البشرية . ففي السابق كنت اعتقد بأن النمو البشري أمر شديد الوضوح ، وان سببه يعود الى الأكل والشرب ، وانه عندما يضاف من الطعام الذي نستهلكه ، اللحم الى اللحم والعظمة الى العظمة ، ووفقاً للطريقة ذاتها ، عندما تمسي اجزاء الجسد نامية متنامية بدقائقها المعينة ، يغدو الحجم الذي كان صغيراً كبيراً ، وبهذه الطريقة يصبح الانسان الصغير كبيراً . هذا ما كنت أعتقد به فيما مضى ، ألا ترى ذلك معقولاً ؟

ـ طبعاً أرى ذلك .

ـ فلنتأمل فيما هو أبعد قليلاً . لقد كنت أغتبط عندما ارى انساناً طويلاً يقف الى جانب انسان قصير القامة ، فأفكر بانه الاول اطول من الآخر بطول رأس واحد ، وكذلك كانت حالي والخيول . كما بدا لي بمزيد من الوضوح ان العشرة تكون اكثر من الثمانية لأنها تزيد عليها باثنين ، وان القدمين اكبر من القدم الواحدة لأنها يتجاوزان الثانية بنصف طولها .

فبادره سيبيس سائلاً :

ـ وما الذي تعتقد بها الآن ؟

فأجابه سقراط :

ـ اقسم لك على انني بعيد جداً عن الافتراض بانني اعرف باي تفسير لهذه الاشياء ، فليس بمقدوري حتى اقناع نفسي بأنك عندما تضيف الواحد الى الواحد ، فلا أدري أياً من هذين العددين هل الأول أم الثاني منهما يصبح اثنين ؛ او ان كليهما يصبحان اثنين عن طريق جمع الواحد منهما والآخر وأجد من الصعوبة بمكان ان أعتقد بأنه ، على الرغم من أننا عندما فصلنا بينهما كان كل واحد منهما واحداً ولم يكن اثنين ، غير انهما بعد ان أصبحا الآن معاً فان علة صيرورتهما اثنين تكون متمثلة في اتحادهما الناشىء عن تجاورهما . كما ليس بمقدوري ان أعتقد الآن بأنك عندما تقسم الواحد ، تكون علة صيرورته اثنين ماثلة في القسمة ، وذلك لأن هذه العلة لصيرورة الواحد اثنين مناقضة للعلة الأولى : لأننا في الحالة الأولى جمعنا بينهما وأضفنا الواحد منهما الى الآخر ، لكننا في الحالة الثانية قد فصلنا بينهما وأخذنا كلا منهما على حدة . كما انني عاجز عن اقناع نفسي بأنني أفهم كيف يصبح ذاك الشيء واحداً ، وزبدة القول لا أستطيع ان أفهم لماذا يأتي أي شيء آخر الى هذا الوجود او يكف عن البقاء او يستمر في الكينونة وفقاً لهذا المنهج من البحث . وهكذا وجدتني أرفض

ذاك المنهج جملة وتفصيلاً واضح بارتباك وحيرة منهجاً اعتباطياً خاصاً بي .

وعلى كل لقد سمعت ذات مرة أحدهم يتلو من كتاب (زعم بأن) أنكساغوراس هو واضعه، وكان ما يتلوه يزعم بأن العقل هو الذي يدخل النظام على كل شيء وهو علته. ولقد أشاع هذا التفسير الغبطة في نفسي. فلقد بدا لي على وجه من الوجوه ان من الصواب الاعتقاد بأن العقل علة كل شيء ، كما واعتقدت متأملاً في ان هذا هو واقع الحال ، فالعقل في ادخاله النظام يضع كل شيء في حال منتظمة ، ويتدبر أمر كل شيء بمفرده بأفضل ما يوافقه من أسلوب . ولذا فان أراد أي إنسان ان يكتشف السبب وراء مجيء أي شيء او نهايته او استمراره في البقاء ، فيتوجب عليه ان يجد لماذا كانت الكينونة أفضل أمر بالنسبة لذاك الشيء، او ان يفعل او يُفعل فيه وفقاً لأي منهج آخر او اسلوب. واعتماداً على هذه النظرة لم يكن هناك بالنسبة للانسان غير شيء واحد للتأمل فيه واعتباره فيما يتعلق بالذات . وبأي شيء آخر معاً ، وأعني بهذا الشيء الخير الأفضل والأعلى ، علماً بأن هذا القول يتضمن الدلالة على المعرفة بما يكون أقل خيراً ، نظراً لكون المعرفة ذاتها تغطي كليهما، وقد جعلتني هذه التأملات افترض فرحاً ومغتبطاً ، بأنني وجدت في انكساغوراس مرجعاً ضليعاً في التسبيب ومستنداً يطلبه قلبي . ولقد افترضت انه سيبدأ باطلاعنا على ما اذا كانت الارض مستديرة او مستوية مسطوحة ، ومن ثم سينطلق ليشرح باسهاب السبب الكامن وراء ذلك وضرورته المنطقية ، مقرراً بالأدلة والوقائع لماذا كان من الافضل للأرض ان تكون على حالها هذه .

فلقد اعتقدت بأنه اذا قال بأن الارض قائمة في مركز الدائرة ، فعندئذ سيفسر تفسيراً مسهباً ويقول بأن الافضل لها ان تكون هناك ، ولو انه كان قد أوضح لي هذا الأمر لكنت مستعداً للتخلي عن شوقي الى أي نوع آخر من علة . كما وكنت مستعداً كذلك ، ووفقاً للنهج ذاته لتلقي العلم عن الشمس والقمر والاجسام السماوية الأخرى ، وعن سرعاتها النسبية ومداراتها وجميع

الظاهرات الأخرى المرتبطة بها – ووفقاً لذاك النهج سيكون من الأفضل لكل واحدة من هذه ، ان تفعل او يُفعل فيها كما هو واقع حالها . ولم يراود عقلي أي خاطر بأن ذاك الرجل ، الذي قال بأن الفضل في تنظيم الاشياء يعود الى العقل ، سيقدم لنا أي تفسير آخر لكل ما ذكرت ما عدا قوله بأنه لمن الافضل لها جميعاً ان تكون على الحال الكائنة فيها . ولقد اعتقدت بأن بتخصيصه علة لكل ظاهرة بمفردها ، وللكون ككل كامل سيوضح الايضاح التام ما الذي يكونه الافضل لكل واحدة منها وللخير الكوني العام . ولم يكن لأي مبلغ من المال ان يغريني بالتخلي عن آمالي . لذلك لم أضع أي وقت للحصول على الكتب وبدأت بقراءتها بأسرع ما يمكنني ، كي أعرف بأسرع ما يمكن ما يكونه الخير الأفضل والخير الأقل .

لقد كان أملي هذا يا صديقي العزيز أملاً رائعاً وجميلاً ، لكنه سرعان ما خاب واندثر . إذ تبين لي فيما كنت مسترسلاً في القراءة ان ذاك الشخص لم ينتفع أي انتفاع بالعقل ولم يخصه بأية سببية او علية بالنسبة لنظام العالم ، بل كان يقدم العلل كالهواء والأثير والماء وغير هذه العديد من السخافات المنافية للعقل . وبدا لي انه متناقض ونفسه تقريباً كتناقض أحدهم لو انه قال « بأن العقل هو علة كل فعل يأتيه سقراط » ، ومن ثم ، ومحاولة منه لتعليل افعالي العديدة ، يقول أولاً بأن سبب اضطجاعي هنا يعود الى كون جسدي يتألف من العظام والاوتار والى كون العظام يابسة وصلبة ومنفصلة عند المفاصل ، لكن الاوتار قابلة للانقباض والاسترخاء وتشكل غلافاً للعظام وذلك بمساعدة اللحم والجلد ، ونظراً لأن العظام تتحرك بحرية عند مفاصلها ، لذلك فان الاوتار باسترخائها وانقباضها تمكنني بطريقة ما من ثني أطرافي ، وان هذا هو سبب جلوسي هنا بشكل منحن او كما لو انه حاول ان يعلل بالاسلوب ذاته حديثي واياكم مقدماً في تعليله هذا عللاً كالصوت والهواء والسمع والفاً من علة أخرى ، ولم يهتم أدنى اهتمام بذكر الاسباب الحقيقية ، ونظراً لأن اثينا رأت من الافضل ان تحكم علي بالادانة ، وجدت من جانبي ان من الافضل لي ان

أجلس هنا ، ومن الأعدل ان أبقى حيث أنا وأذعن لأي عقاب تأمر أثينا بانزاله بي – وذلك لأنه ، وبالروح اقسم ، يخيل الي ان هذه الاوتار والعظام كانت ستكون في جوار ميغارا اوبيوتيا منذ زمن طويل ، (مدفوعة بالقناعة بما هو الافضل) ، لو انني لم أعتقد بأن اذعاني لأية عقوبة تأمر بلادي بانزالها بي ، لاكثر عدلاً وأنصع شرفاً من فراري . ولكن ان ندعُ أشياءً كهذه بعلل فهو لأمر مناف للعقل . فلو انهم قالوا انني بدون عظام وأوتار كهذه وكل ما تبقي غير تلك من الجسد ، لن اكون قادراً على فعل ما أعتقده عدلاً وصواباً ، لكان قولهم هذا صحيحاً ، لكن ان يقولوا بأنني افعل ما أنا فاعله بسببها ، وليس انطلاقاً من اختيار ما هو الافضل فهذا الأمر سيكون – على الرغم من ان العقل يسيطر على أفعالي – شكلاً من تعبير محلول ومتهاون وغير دقيق للغاية . فلتتصوروا كون المرء عاجزاً عن التمييز بين علة أحد الاشياء وبين الشرط الذي لا تستطيع العلة بدونه ان تكون علة ! وفي هذا الأمر الاخير يبدو لي ان معظم الناس يعمه في الظلام إذ يدعون ذاك الشرط لعلة – بحيث يطلقون عليه اسماً لا يحق لهم إطلاقه وهذا هو السبب الذي يحدو أحد الاشخاص الى إحاطة الارض بالزوبعة ، وهكذا يبقيها في مكانها بواسطة السماوات ، وهو كذلك السبب الذي يدفع بشخص آخر الى اسنادها وتركيزها على قاعدة من هواء ، كما لو انها كانت صفحة واسعة فسيحة . أما فيما يتعلق بالقوة التي تحافظ على انتظام الاشياء بأفضل صورة ممكنة ، فانهم لا يبحثون عنها ولا يقتدون بأن لها أية قدرة خارقة للطبيعة ، فهم يتصورون انهم سيجدون في يوم من الايام أطلسها أشد جبروتاً وخلوداً وكلي الاسناد والدعم ، ولا يعتقدون بأن الخير او الواجب الاخلاقي يربط أي شيء بعضه ببعض ويبقيه متراصاً متماسكاً . أما فيما يتعلق بي فانني سأسر بتعلم أفعال علة كهذه من أي امريء كان ، ولكن لما كانت المعرفة بأفعال مثل هذه العلة ممتنعة علي ، وكنت عاجزاً عن اكتشافها بنفسي او المعرفة بها من أي امريء آخر ، لذلك قمت فاستنبطت وسيلتي الخاصة لمواجهة قضية السببية . هل ترغب يا سيبيس في ان

اقدم اليك برهاناً عليها ؟

فأجابه سيبيس :

ـ سأكون شديد الشوق لسماعه .

فاستطرد سقراط يقول :

ـ حسناً ، وبعد ذلك ، وعقب ان انهكتني ابحاثي الطبيعية ، خطر لي انه يتوجب علي ان احترس من المغامرة ذاتها التي يقدم عليها الناس . حين مراقبتهم ودراستهم لكسوف الشمس ، فهم يلحقون أحياناً الأذى بعيونهم ما لم يدرسوا انعكاسه على صفحة الماء او بواسطة وسيلة أخرى . ولقد شعرت بشيء ما كهذا يحدث لي ، فخشيت من انني بمراقبتي المواضيع بعيني ومحاولتي لادراكها بكل حاسة من حواسي الأخرى ، فقد أضرب روحي بأكملها بالعمى . وهكذا قررت بأن من المتوجب علي ان الجأ الى النظريات ، وان استعملها محاولاً بذلك اكتشاف الحقيقة حول الاشياء . ولربما كانت هذه الصورة التي رسمتها ليست من المهارة بما يكفي ، لأنني لا اسلم البتة بأن البحث بواسطة النظرية يعمد الى « الصور » اكثر من البحث الذى يحصد نفسه بالوقائع ، لكن مهما تكن الحال ، فلقد انطلقت على هذه الطريق ، وكنت في كل قضية من القضايا اضع أولاً النظرية التي احكم على انها اسلم النظريات لتلك القضية ، ومن ثم كنت افترض أي شيء يبدو متوافقاً معها ـ وذلك فيما يتعلق بالعلل او بأي شيء آخر غيرها ـ كنت افترضه صحيحاً ، أما أي شيء آخر يخالفها فكنت افترضه غير صحيح . ولكن أرغب في التعبير عما اعنيه بمزيد من الوضوح ، وذلك لأنني لا اعتقد حالياً يا سيبيس بأنك قد فهمت ما أعنيه .

فأجابه سيبيس :

ـ الحق انني لم افهم اي شيء مما تعنيه .

فاستطرد سقراط شارحاً :

– حسناً ! ان ما اعنيه هو هذا وليس هناك من جديد فيه ، ولقد كنت دائماً اقول به ، والحق انني لم اتوقف البتة عن قوله ، ولا سيما في الجزء المتقدم من مناقشتنا هذه . وأنا في محاولتي شرح نظرية السببية التي وضعتها بنفسي ، اقترح بأن ابدأ مجدداً من مبادئي التي تعرفها حق المعرفة ، اي انني افترض وجود الجمال المطلق والخير والعِظَم المطلقين ووجود البقية من مثيلات هذه . فاذا اجزت فرضيتي هذه وسلمت بأن تلك الأمور قائمة وموجودة ، وآمل عندئذ ان اتمكن بمساعدتها من ان اشرح لك السببية ، ومن العثور على البرهان المدلل على خلود الروح .

فأجابه سيبيس :

– انني اجيزها اكيداً ، وليست بك حاجة الى إضاعة الوقت على استخلاص استنتاجك .

فاسترسل سقراط يقول :

– إذن فلنتأمل في الخطوة التالية . ولترَ ما إذا كنت تشاركني فيما اراه . يبدو لي ان كل شيء آخر ما عدا الجمال المطلق، يكون جميلاً ، انما يكون كذلك لانه يأخذ مسهمه من ذاك الجمال المطلق ، وليس هناك من سبب آخر لجماله . فهل تسلم بهذا النوع من السببية ؟

– نعم اسلم بها .

– والآن الى الحد الذي يبلغه عقلي ، فليس بمقدوري فهم نظريات السببية البارعة الأخرى . فاذا قال لي احدهم بأن السبب الذي يجعل موضوعاً معيناً جميلاً هو ان لذاك الموضوع لوناً بديعاً او صورة رائعة او اية صفة أخرى مثل هذه الصفات ، فسأهمل آنذاك جميع هذه التفاسير الأخرى – فانا أجدها باعثة

للحيرة والارتباك – وسألتصق فقط وبقوة ، ولا شك بحماقة ، بالتفسير القائل بان الشيء الواحد الذي يجعل ذاك الموضوع جميلاً انما هو وجود او ارتباط الخير المطلق به ، (مهما تكن علاقة ذلك الارتباط) . ولن أبلغ من البعد ما يجعلني أصر على التفاصيل الدقيقة ، بل أصر فقط على الواقعة القائلة بأنه بالجمال تكون الاشياء الجميلة جميلة . وهذا كما اعتقد هو أوفر الاجوبة أمنا بالنسبة لي أو لاي انسان آخر ، واعتقد كذلك بأنني حينما استمسك بقوة بهذا الأمر ، ولا استطيع عندئذ ان اسقط . وانه لمن الأمان بالنسبة لي او لاي شخص آخر غيري ان يجيب انه بالجمال تصبح الاشياء الجميلة جميلة ، ألا توافقني على هذا القول ؟

– نعم اوافق على ذلك .

– إذن فبالضخامة تكون الاشياء الضخمة ضخمة ، وتكون الأشياء الأضخم من تلك أضخم ، وبالصغر تكون الاشياء الأصغر أصغر .

– نعم .

فاسترسل سقراط يقول :

– وهكذا فانت ايضاً مثلي سترفض التسليم بصحة القول القائل بان أحد الناس هو أطول من الآخر بهامة ، وان الاقصر طولاً من ذاك هو اقصر بهامة منه ، وانت ستعترض قائلاً بان النظرية الوحيدة التي يكون بمقدورك الاستمساك بها تقول بان اي شيء يكون أطول من شيء آخر غيره انما يكون كذلك فقط بالطول – اي بسبب الطول ، وان اي شيء يكون اقصر من غيره ، إنما يكون كذلك فقط بالقصر – أي بسبب القصر . فانت ستخشى كما افترض ، من انك إذا قلت بان أحدهم اطول من الآخر بهامة ، فعندئذ سيجابهك الاعتراض المنطقي التالي: اولاً ينبغي ان يكون الاطول أطول والاقصر اقصر بالشيء الواحد ذاته ، وثانياً ان الاطول يجب ان يكون أطول بهامة الأمر الذي يكون شيئاً قصيراً ، وانه ليس من الطبيعي ان ينبغي علينا إطالة احدهم بشيء قصير . أليس كذلك؟

فضحك سيبيس وقال :

– نعم انه كذلك .

فاردف سقراط قائلاً :

– إذن فستخشى القول بان العشرة هي اكثر من الثمانية « باثنين » او ان الاثنين هما علة زيادتها على الثمانية ، وذلك بدلاً من قولك بانها اكثر من الثمانية بكونها او سبب كونها عدداً أضخم منها ، كما وانك ستخشى القول بان طول قدمين هو أطول من القدم بنصف طولها ، بدلاً من قولك بانها أطول بحجمها الاضخم منها وذلك لاننا هنا نجابه الخط ذاته ايضاً .

– تماماً كما تقول :

فاستطرد سقراط قائلاً :

– ومن ثم فلنفترض أننا أضفنا واحداً الى واحد ، فأنك بالتأكيد ستتجنب القول بان سبب حصولنا على اثنين هو الجمع ، او انه القسمة في حالة وحدة مقسمة . وستعلن بصوت عال عن كونك لا تعرف باية طريقة أخرى يمكن وفقها لأي موضوع معين ان يخرج الى ميدان الوجود ما عدا اسهامه في الحقيقة الواقعية الخاصة بكلّيه المناسب ، وانك في الحالات التي ذكرتها انما لا تدرك اية علة أخرى لخروج الاثنين الى ميدان الوجود غير اسهامها في الثنائية ، وان أي شيء مقدر له ان يكون اثنين يجب ان يسهم في الثنائية ، وان اي شيء مكتوب عليه ان يكون واحداً يجب ان يشارك في الوحدة . وهكذا فستطرح جانباً هذه التقاسيم والجموع واناقات أخرى كهذه ، وستتركها لأناس اوسع حكمة منك ليستعملوها في تفاسيرهم ، بينما ستستمسك ، وانت منفعل عصبياً من ظلك ، كما يقول المثل ؛ ومن قلة خبرتك ، بالأمن الذي توفره لك فرضيتك وتجيب باجوبتك وفقاً لها . واذا قام أي أمريء فتمسك بالفرضية ذاتها ، فانك ستهمله وترفض الاجابة عن اسئلته الى ان يكون بامكانك ان ترى ما إذا كانت نتائجها خالية من التناقض بصورة متبادلة أم لا . وعندما يكون عليك ان تدلل على الفرضية بالذات ، فستنطلق ، وفقاً للنهج ذاته ، مفترضاً

وباحثاً عن اية فرضية اكثر غائية وتروق في ناظريك اكثر من غيرها ، الى ان تعثر على الفرضية التي ترضى عنهـا . وانت لن تمزج بين الشيئين معاً بمناقشتك للمبدأ ونتائجه معاً ، كما يفعل أحد هؤلاء النقـاد الهدامين - وأعني بذلك إذا كنت تريد ان تكتشف إي جزء من الحقيقة. فهم تخميناً لا يهتمون ابداًبموضوع كهذا ، وذلـك لان شطارتهم تمكنهم من تشويش كل شيء بدون ان يكدروا صفو اكتفائهم بقدرتهم الذاتية .غير انني اعتقد بانك اذاكنت فيلسوفاً فستسلك الطريق التي رسمتها .

فاجاب سيمياس وسيبيس معاً .

ـ لقد أصبت كل الصواب فيما ابديته .

وهنا انبرى اشيكراتيس مخاطباً فيدو :

ـ استطيع ان اوكد لك يا فيدو على انني لم اعجب من ذلـك . فيبدو لي ان سقراط قد اوضح مـــا يعنيه وضوحاً استثنائياً حتى بالنسبة لذوي العقول المحدودة .

فاجابه فيدو .

ـ هذا حقاً كان شعورنا جميعاً ممن حضر مجلسه ذاك .

ـ لا شك فيما تقـوله يا فيدو فان هذا ايضاً شعورنا نحن ممن لم نحضر تلـك الجلسة ونسمع الآن لاول مرة بمـادار فيها من حديث . ولكن كيف تابـع البحث مجراه ؟

فأجابه فيدو :

ـ اعتقد بانه عندما لاقى سقراط التسليم بمـا قاله ، واتفق الحضور على ان شتى الصور قائمة وموجودة ، وعلى ان السبب الذي يجعل الاشياء الأخـرى

تسمى باسم الصور هو كون تلك الأشياء مسهمة فيها ، انطلق بعدئذ سائلاً .

ـ حسناً ! اذا كنت تقـول بهذه النظرية فأفترض انـك عندما تقول بان سيمياس هو أطول من سقراط ، لكنه اقصر قامة من فيدو ، فانت تعني انه يوجد في تلك اللحظة في سيمياس طول وقصر معاً . أليس كذلك ؟

ـ نعم هذا ما افترضه .

فاردف سقراط سائلاً :

ـ ولكن هل توافق على ان العقول بان سيمياس هو أضخم من سقراط ليس صحيحاً في الشكل الذي عبرت به عنه ؟ فمن المؤكد ان السبب الذي يجعل سيمياس أضخم لا يتمثل في كونه سيمياس بل في القامة التي يمتلكها عرضياً ، والعكس بالعكس ، فان السبب الذي يجعله أضخم من سقراط لا يعود الى كون سقراطاً سقراطاً ، بـل لأن لسقراط صفات القصر حـين مقارنة قامته بقامة سيمياس .

ـ صدقت فيما تقول .

فاستطرد سقراط :

ـ وايضاً فان كون سيمياس اقصر قامة من فيدو لا يعود الى كون فيدو هو فيدو ، بل الى ان لفيدو صفات الطول حين مقارنته بقصر سيمياس .

ـ انه تماماً كما تقول .

فأردف سقراط :

ـ إذن فالسبب الذي يجعلنا نصف سيمياس بالطويل والقصير معـاً يعود لكونه وسطاً بين الاثنين ، ويسمح لقصره بأن يتجاوزه طول احدهم ، بينما يؤكد هو طوله الأطول مستنداً الى قصر الآخر .

ثم اضاف سقراط قائلاً وهو يبتسم :

– يبدو انني أنشيء اسلوباً اصطناعياً، لكن الوقائع هي بالتأكيد كما اقول .

فوافق سيمياس على ذلك واستطرد سقراط يقول :

– أنا ادلي بكل هذا لأنني اريد منكم ان تشاركوني وجهة نظري . ويبدو لي انه لا صورة الطول بالذات فقط تنحط اطلاقاً لتمسي قصيرة وطويلة ايضاً ، بل ان الطول الذي يوجد فينا لا يقبل ابداً بالصغر ويرفض لأي شيء ان يتجاوزه . وهو يقوم بأحد الأمرين : فهو إما ان يتراجع وينسحب حينما يدنو نقيضه القصر ، او لا يعود له وجود عندما يبلغ القصر حيث يكون الطول . فهو لا يستطيع ان يصمد مكانه ويُصبغ بصفة القصر كما فعلت انا . فاذا صمد وبقي فسيصبح مختلفاً عما كانه من قبل ، في حين انني لم افقد هويتي باكتسابي صفة القصر ، فأنا هو الرجل عينه ، لكنني قصير فقط ، لكن طولي لا يستطيع احتمال ان يكون قصيراً بدلاً من طويل . ووفقاً للنهج ذاته يرفض القصر الموجود داخلنا ان يصبح او ان يكون أبداً طولاً ، كما لن تقبل أية صفة أخرى ، حينما تكون لا تزال باقية ما كانته ، بأن تصبح او ان تكون في الوقت ذاته الصفة المناقضة لها ، ففي حال كهذه إما ان تنسحب او لا يعود لها وجود.

فأجابه سيبيس :

– انني اوافقك على ما قلته .

وعندما بلغ البحث هذه النقطة هب أحد رفاقنا من الحضور ، وأنا لا استطيع ان اذكر أياً منهم كان ، يقول متسائلاً :

– فلتصغوا اليّ ، ألم يسبق لنا ان اتفقنا في الجزء المتقدم من البحث على النقيض كل نقيض ما تقوله الآن ، وذلك عندما قلت بأن الاكبر يخرج من الاصغر ، وان الاصغر يخرج من الاكبر ، وان النقائض تنشأ تماماً عن نقائضها ؟

أما الآن فيبدو ان هذه النظرية تقرر استحالة ذلك .

أصغى سقراط ورأسه متجه نحو المتكلم ومن ثم قال .

– انهـا لشجاعة منـك ان تنعش ذاكرتي وتنشطها ، ولكنك لا تدرك الفارق بين ما نقوله الآن وبين ما قلناه آنذاك . لقـد قلنـا آنذاك ان الاشياء المتناقضة تخرج من الاشياء المتناقضة ، أما الآن فاننا نقول بأن النقيض بالذات لا يستطيـع ابـداً ان يصبـح نقيضاً لذاته – ولا يستطيع هـذا الأمر النقيض الموجود داخلنا ولا النقيض الموجود في العالم الواقعي . ولقـد كنـا يا صديقي العزيز آنذاك نتحدث عن المواضيع التي تمتلك صفات متناقضة وكنا نسميها باسماء تلك الصفات ، ولكننا الآن نتحدث عن الصفات بذواتها التي تستمد من وجودها المواضيع المتسمية باسمها اسماءها . ولقد قلنا ان النقائض ترفض رفضاً باتاً التسامح في ان تخرج من بعضها البعض الى ميدان الوجود .

وكان سقراط يتطلع الى سيبيس أثناء حديثه ، ومن ثم بادره سائلاً :

– أعتقد بأنه لم يقلقك أي أمر مما قاله يا سيبيس ؟

– كلا لم أقلق هذه المرة ، مع ان هناك أشياء عديدة للغاية تثير هاجسي وبلبالي .

فسأله سقراط :

– إذن فهل نحن متفقون على هذا كمبدأ عام يقول بأن النقيض لا يستطيع أبداً ان يكون نقيضاً لذاته ؟

– كلياً .

– إذن فلتتأمل في هذه النقطة ايضاً ، ولترَ ما اذا كنت ستوافق عليها كذلك . فهل تسلم بأنه توجد أشياء كالحرارة والبرودة ؟

– نعم اسلم بذلك .

– هل تعتقد بأنهما الشيئان ذاتهما كالثلج والنار ؟
– تأكيداً لا .
– إذن فالحرارة تختلف تماماً عن النار والبرودة عن الثلج ؟
– نعم .

فأردف سقراط سائلاً :

– ولكنني أعتقد بأنك – على ضوء ما قلناه سابقاً – توافق على ان الثلج بالنظر لأنه هو ما هو ، لا يستطيع البتة ان يقبل بالحرارة ويبقى مع ذلك ثلجاً ، كما كان قبل ذلك تماماً ، وباضافة الحرارة فحسب ، بل يجب إما ان ينسحب حين دنو الحرارة ، او ان يكف عن الوجود .
– الأمر كما تقوله تماماً .
– وأيضاً يتوجب على النار إما ان تنسحب او ان تكف عن الوجود حين دنو البرد . فهي لن تتوافر أبداً لديها الشجاعة للقبول بالبرودة ، ومن ثم ان تبقى مع ذلك ناراً ، كما كانت من قبل تماماً ، ولكن بالاضافة الى البرودة فحسب .
– صدقت فيما تقوله .

فاستطرد سقراط :

– وهكذا نجد ، وفي حالات معينة كهذه ، ان اسم الصورة لا ينطبق الى الابد على الصورة بالذات فحسب ، بل على شيء ما آخر كذلك ، بحيث لا يكون هذا الصورة ، لكنه يكون شيئاً يمتلك بصورة ثابتة خصائصها المميزة . ولكن ربما يجعل مثل آخر معناي أشد وضوحاً . الاعداد الفردية يجب ان يكون لها دائماً الحق بهذا الأسم الذي أطلقه عليها الآن ، أليس كذلك ؟
– انه تماماً كما تقول .
– اليك هذا السؤال : هل تكون الفردية فريدة في نوعها في هذا الخصوص ، او هل يوجد شيء ما غيرها لا يكون مطابقاً للفردية ، والذي نكون مرغمين

على ألا نطلق عليه اسمه وحسب ، وإنما كذلك كلمة فردي ، لأنه بطبيعته بالذات لا يفقد أبداً فرديته ؟ وان ما أعنيه سأصوره بالعدد ثلاثة ، وهناك الوفير من الأمثلة ، ولكن فلنأخذ المثل ثلاثة . ألا تعتقد بأن هذا العدد يجب ألا يوصف فقط باسمه ، بل يجب ان تضاف اليه كلمة فردي ، مع ان الفردي والثلاثة ليسا بالشيء الواحد ذاته ؟ وان كل طبيعة العدد ثلاثة وخمسة وجميع الاعداد الصحيحة المتبادلة تقضي بأن يكون كل عدد من هذه الاعداد فردياً مع انه لا يكون مطابقاً للفردية . وبالمثل فان العددين اثنين واربعة ، وما تبقى على شاكلتهما من اعداد ، ليسا بمطابقين للزوجية ، لكن كل عدد منها يكون زوجياً . فهل تسلم بهذا أم لا ؟

— طبعاً اسلم به .

— إذن فلتنتبه الانتباه الشديد للنقطة التي سأبديها لتوي وهي : يبدو ان النقائض بذواتها لا يقبل الواحد منها بالآخر ، ولكنه يبدو كذلك ان أية أشياء أخرى لا تكون بذواتها نقائض ، تكون لها دائماً نقائض داخل ذواتها ، وهذه ايضاً بالمثل لا تقبل بالصورة المناقضة لما يكون داخلها ، إذ انها إما ان تكف عن الوجود حين دنو الصورة منها او ان تنسحب من امامها . وبالتأكيد يتوجب علينا ان نفترض ان عدد ثلاثة سرعان ما يكف عن الوجود او يكابد أي مصير آخر ، ولا يقبل بأن يصبح عدداً زوجياً وهو لما يزل ثلاثة . ألا ترى ذلك .

فأجاب سيبيس :

— طبعاً هذا ما أراه .

— ومع ذلك فان اثنين وثلاثة ليسا بمتناقضين .

— كلا انهما ليسا كذلك .

فأردف سقراط يقول :

— إذن فليست الصور المتناقضة وحدها هي التي لا تستطيع ان تجابه

الواحدة منها دنوا الأخرى واقترابها منها ، بل ان هناك أشياء أخرى كذلك لا تستطيع ان تجابه دنو النقائض .

– هذا صحيح تماماً .

هل ينبغي ان نحاول تعريض ما يكونه هذا النوع من الاشياء .

– بكل تأكيد .

– حسناً يا سيبيس ، هل سيصف هذه الاشياء القول بأن تلك الاشياء هي الاشياء التي ترغمها احدى الصور التي تستولي عليها ، على ان لا تتخذ لها صورتها فقط بل كذلك ودائماً صورة احدى الصور الأخرى التي تكون مناقضة لها .

فسأله سيبيس :

– ماذا تعني بقولك هذا ؟

فاجاب سقراط :

– اعني فقط ما كنا نقوله منذ برهة . فأنا اعتقد بأنك تدرك ان صورة ثلاثة عندما تستولي على أية مجموعة من المواضيع ، ترغمها على ان تكون فردية كالعدد الفردي ثلاثة .

– هذا صحيح .

– إذن ، فأقول بأنه ليس بمقدور الصورة المناقضة لتلك ان تدخل على مجموعة كهذه .

– نعم .

– كما وانه كان لصورة الفردي هذا الأثر . أليس كذلك ؟

– نعم .

– وان نقيض هذه الصورة هو صورة الزوجي .

– نعم .

إذن فان صورة الزوجي لن تدخل ابداً على الثلاثة .

– كلا لن تدخل ابداً .

– وبكلمات أخرى ، تكون الثلاثة نقيضاً للزوجية .

– تماماً .

– إذن فان العدد ثلاثة هو عدد غير زوجي .

– نعم انه كذلك .

فأردف سقراط قائلاً :

– لقد اقترحت لتوي ان اعرف ما الذي يكونه نوع الأشياء التي ، على الرغم من انها لا تكون بذواتها متناقضة تناقضاً مباشراً وذات نقيض معين ، غير انها لا تقبل مع ذلك بذاك النقيض ، كما هي حالنا في المثل الراهن ، إذ ان الثلاثة ، على الرغم من انها ليست نقيضاً للزوجي ، الا انها لا تقبل به ، وذلك لأن الثلاثة تكون أبداً مرفوقة بنقيض الزوجي ، وكذلك هي ايضاً الحال والعدد اثنين والفرهي ، او حال النار والبرد ، وحال حشود غفيرة من أشياء أخرى كهذه . والآن فلتر ما اذا كنت تقبل بهذا التعريف التالي : ليس ان أحد النقائض لا يقبل فقط بنقيضه ، وإنما اذا كان هناك أي شيء مرفوقاً بصورة ذات نقيض ، ويصادف ذاك النقيض ، فعندئذ لا يقبل أبداً الشيء المرافق بنقيض الصورة التي يرافقها . ولتسمح لي بأن أنعش ذاكرتك ، فليس هناك من ضرر في سماع الأمر ذاته مرات عديدة . ان الخمسة لا تقبل أبداً بصورة الزوجي ، كما لن تقبل العشرة ، وهي مضاعف الخمسة ، صورة الفردي ، للمضاعف نقيضاً خاصاً به ، ولكن المضاعف في الوقت ذاته لا يقبل بصورة الفردي . كما ولن يقبل الواحد والنصف او الكسور الأخرى كالنصف وثلاثة أرباع وهكذا دواليك بصورة العدد الكامل . واعتقد بأنك تتابع ما أعنيه .

فأجابه سيبيس :

ـ نعم واوافق كلياً على ما تقوله .

فاستطرد سقراط :

ـ إذن فلتركض معي في الحلبة ذاتها ابتداءاً بالبداية ، ولا تحب بالمصطلحات الدقيقة للسؤال ، بل فلتحذُ حذوي .

وأنا أقول ذلك ، لأنه علاوة على « الجواب المأمون » الذي ذكرته في البداية كنتيجة لبحثنا ، أرى وسيلة ، أخرى من وسائل الأمان . فلنفترض مثلاً انك سألتني عما يجب ان يكون موجوداً في الجسد كي يجعله حاراً او دافئاً ، فأنا لن اجيب عن سؤالك هذا بالجواب المأمون ، لكنه البارع والقائل : انها الحرارة ، بل سأجيب عنه بجواب اكثر منه سفسطة ومرتكز الى بحثنا واقول انها النار . واذا سألتني عما يجب ان يكون داخل الجسد ليجعله مريضاً ، فلن اجيب انه المرض ، بل انها الحمى . وبالمثل اذا سألتني عما يجب ان يوجد داخل أحد الأعداد ليجعله عدداً فردياً ، فلن أقول انها الفردية بل الوحدة . وهكذا دواليك . وهكذا فلتر ما اذا كان قد توافر لديك الادراك الكافي لما اريده منك .

ـ انه كاف تماماً .

فأردف سقراط سائلاً :

ـ إذن فلتقل لي ما الذي يجب ان يكون موجوداً داخل الجسد ليجعله حياً ؟

ـ الروح .

ـ هل يكون دائماً هذا واقع الحال ؟

ـ طبعاً .

ـ إذن فان الروح كلما استولت على الجسد تحمل معها الحياة اليه . أليس كذلك ؟

ـ نعم .

ـ هل يوجد هناك نقيض للحياة ؟
ـ نعم .
ـ ما هو ذاك النقيض ؟
ـ انه الموت .

فأردف سقراط سائلاً :

ـ هل يتبع إذن من اتفاقنا الأسبق ان الروح لن تقبل أبداً بنقيض ذاك الذي يرافقها ؟
ـ بكل تأكيد .
ـ حسناً للغاية !أي أسم اطلقناه لتونا على ذاك الذي لا يقبل بصورة الزوجي؟
ـ غير الزوجي .
ـ وبمَ نصف ذاك الذي لا يقبل بالعدالة او الثقافة ؟
ـ نصفه بغير المثقف وبغير العادل .
ـ حسناً للغاية ! وبم نصف ذاك الذي لا يقبل بالموت ؟
ـ نصفه بالخالد .
ـ والروح ألا تقبل بالموت ؟
ـ كلا .
ـ إذن فان الروح خالدة .
ـ نعم انها كذلك .
ـ حسناً ! هل بامكاننا القول بأننا قد برهنا على ذلك ؟
ـ البرهان القاطع يا سقراط .

فأردف سقراط يقول :

ـ هاك سؤال آخر يا سيبيس . اذا كان غير الزوجي بالضرورة غير قابل للفناء ، ألن يكون العدد ثلاثة غير قابل للفناء ؟

ـ طبعاً انه يكون كذلك .

ـ وايضاً اذا لم يكن ما هو ساخن بالضرورة غير قابل للفناء ،وذلك عندما تكون قد استخدمت النار على الثلج ، فعندئذ ألن ينسحب الثلج وهو ما يزال سليماً وغير مذاب ؟ فهو لن يستطيع ان يكف عن الوجود ، كما وانه من الجهة الأخرى لن يتمكن من البقاء حيث كان ويقبل بالنار .

ـ ان قولك هذا لصحيح .

فأردف سقراط قائلاً :

ـ وبالطريقة ذاتها اقول انه اذا كان ذاك الذي لا يكون بارداً غير قابل للفناء عندما يدنو أي شيء بارد من النار ، فلن يستطيع أبداً الانطفاء او الكف عن الوجود ، بل سيغادر مكانه ويذهب سليماً من كل أذى .

ـ هذا ما يجب ان يكون .

ـ ألسنا مرغمين على قول الأمر ذاته عما هو خالد ؟ فاذا كان ما هو خالد غير قابل للفناء ، فسيكون من المستحيل عليه ان يكف عن الوجود حين دنو الموت منه . ويتبع ما سبق لنا ان قلناه : ان الخالد لا يستطيع ان يقبل بالموت ، او ان يموت ، وذلك تماماً كقولنا بأن الثلاثة لا تقدر على ان تكون عدداً زوجياً ، وكذلك العدد الفردي ، ولا يمكن للنار ان تكون باردة ، وكذلك الحرارة الموجودة داخل النار . « ولكن » قد يعترض أحدهم قائلاً ، فلنسلم جدلاً ، (كما سبق لنا ان اتفقنا) ، بأن العدد الفردي لا يصبح عدداً زو حين دنو الزوجي ، فلم لا ينبغي عليه ان يكف عن الوجود ، وان يحل محله شيء ما يكون زوجياً ؟

ونحن جواباً عن هذا السؤال لا نستطيع ان نصر على ان الفردي لا يكف عن الوجود بسبب ان ما لا يكون زوجياً لا يكون غير قابل للفناء ، ولكن اذا سلم احدهم بذلك ، فبمقدورنا بسهولة ان نصر على ان الفردي والثلاثة ، حين

دلو الزوجي ، ينسحب من مكانه ويغادره . وبامكاننا ان نصر ، بالحاح متساو وذاك ، على مثل النار والحرارة وجميع ما تبقى من أمثلة ، ألا يكون بمقدورنا ذلك ؟

ـ طبعاً وتأكيداً .

ـ والآن وفيما يتعلق بما هو خالد ، فاذا سلموا بأن هذا يكون غير قابل للفناء ، فعندئذ تكون الروح غير قابلة لذلك كالخالد تماماً . والا فسنكون خلافاً لذلك بحاجة الى تعليل آخر .

غير ان سيبيس أجاب :

ـ لا أرى من ضرورة تستوجب ذلك . فاذا لم يكن باستطاعة الخالد والسرمدي ان يتجنبا الهلاك ، فمن العسير علينا ان نرى كيف يكون بمقدور غيرهما القيام بذلك .

فعلق سقراط يقول :

ـ انني اتصور ان كل إنسان سيسلم بأن الله ، على كل حال ، وصورة الحياة وأي شيء آخر غير هذين ويكون خالداً لا يستيطعون ابداً الكف عن الوجود.

ـ نعم انه بالفعل كذلك ، فمن المؤكد ان جميع الناس يسلم بما قلته لتوك ، وحتى اكثر من هؤلاء كما اعتقد ، فالآلهة تسلم به ايضاً .

فأردف سقراط قائلاً :

ـ إذن ونظراً لأن ما يكون خالداً يكون غير قابل للهلاك ، لذلك اذا كانت الروح خالدة فيجب ان تكون أكيداً غير قابلة للفناء ايضاً .

ـ ان هذا لأمر حتمي تماماً .

فاسترسل سقراط :

ـ وهكذا يبدو ان الموت عندما يحضر الإنسان ، فحينئذ يموت منه الجزء الفاني ، لكن الجزء الخالد منه ينسحب عند اقتراب الموت وينجو سليماً من كل أذى ويكون غير قابل للهلاك .

ـ هذا بين وواضح .

ـ إذن فلمن اليقين كل اليقين يا سيبيس ، ان تكون الروح خالدة غير قابلة للفناء وان توجد حقاً أرواحنا في العالم الآخر .

فأجابه سيبيس :

ـ فيما يتعلق بي يا سقراط ليس لدي أي نقد او اعتراض على ما قلته . كما وان حقيقة تعليلك لا يأتيها الباطل من خلف او قدام . ولكن اذا كان سيمياس او أي شخص آخر هنا يريد ان يبدي نقداً او اعتراضاً ، فمن الأفضل له ألا يحتفظ به لنفسه ، لأنه اذا كان يوجد أي شخص يرغب في قول او سماع المزيد عن هذا الموضوع فلا أرى الى أية فرصة أخرى يريد تأجيل ذلك .

وهنا انبرى سيمياس قائلاً :

ـ الحق انه لا تخالجني الآن أية شكوك فيما كنت تقوله لتوك . ولكن الأمر سيان لدي فالموضوع واسع وعميق ، وان لي نظرة في طبيعتنا البشرية الضعيفة وهي نظرة بائسة كتلك التي تجعلني لا أستطيع الا ان اشعر معها ببعض الريب والشكوك .

فأجابه سقراط :

ـ لقد أصبت تماماً يا سيمياس ، ومما هو اكثر من ذلك ، انك حق لو وجدت فرضياتنا مقنعة ، غير انها ما تزال تحتاج الى المزيد من التأمل والامعان. فانت واصدقاؤك اذا أمعنتم النظر فيها بصورة كافية ، فستبلغون ، كما اعتقد ، حقيقة الموضوع ، وذلك من حيث يكون بامكان العقل البشري بلوغها ، واذا

كنت واثقاً من انك قد قمت بذلك وحققته ، فلن تكون آنذاك بحاجة الى المزيد من الاستقصاء والبحث .

– ان ما تقول لصحيح .

واردف سقراط قائلاً :

– هناك نقطة أخرى أيها السادة وهذه تستحق عنايتكم واهتمامكم . فاذا كانت الروح خالدة، فلتستوجبنا الاهتمام بها ليس فقط طيلة تلك المدة من الزمن التي ندعوها بالحياة ، وإنما طيلة الزمان بأكمله . والحق انه ليبدو لي الآن انه لمن الخطر كل الخطر اهمالها . واذا كان الموت انعتاقاً من أي شيء ، فسيكون بركة ونعمة بالنسبة للاشرار ، لأنهم بموتهم لن ينعتقوا من الجسد فقط وإنما من شرهم وروحهم معاً ، ولكن ، نظراً لأن الروح خالدة بوضوح ، فلا تستطيع ان تجد لها مفراً او مأمناً من الشر الا ان تصبح خيرة وحكيمة الى أبعد حد تستطيعه . لأنها لا تأخذ معها أي شيء الى العالم الآخر ما عدا ثقافتها وتدريبها ، وان هاتين كما يقولون لعله درجة بالغة من الاهمية بالنسبة لمساعدة او الاضرار بالموتى الجدد في مستهل رحلتهم الى هناك .

وها كم ما تقوله الرواية . عندما يموت أي إنسان تحاول روحه الحارسة التي كانت تتولى أموره في هذه الحياة ، ان تقوده الى مكان معين حيث يتوجب على الجميع ان يجتمعوا فيه ، وحيث ، بعد ان يقدموا قضاياهم العديدة للحكم فيها ، يتوجب عليهم الانطلاق منه الى العالم الآخر بارشاد ذاك الذي يقوم بحراسة الارواح طيلة طريقها من هذا العالم الى العالم الآخر . وعندما تكون هذه الارواح قد اختبر الخبر الضرورية ، يقوم مرشد آخر باعادتها الى هذا العالم بعد مضي العدد العديد من الحقبات الطويلة من الزمان .

ومن البديهي ان هذه الرحلة ليست كما يصفها آشيل تليفوس . فهو يقول ان الدرب الى هادز درب مستقيمة . لكن تبدو لي انها ليست بمستقيمة وليست

بالدرب الوحيدة . فلو انها كانت كذلك لما كانت بحاجة الى دليل او مرشد ، لأن من المؤكد انه لا يستطيع أي إنسان ان يضل طريقه اذا كانت هناك أمامه طريق واحدة فقط . والحق انها على الارجح ذات عدد غفير من المعابر ومفارق الطرق ، وذلك استناداً على ما في هذا العالم من طقوس وتقاليد دينية .

وتتبع الروح الحكيمة والمنضبطة مرشدها، ولا تكون جاهلة بما يحيط بها ، لكن الروح التي تكون مشغوفة للغاية بالجسد ، كما قلت سابقاً ، تحوم حول الجسد والعالم المنظور مدة طويلة من الزمن ، وفقط بعد الشديد من المقاومة والألم ، تقودها قوة وارغاماً الروح القيمة عليها من العالم المنظور الى العالم الآخر . وعندما تبلغ المكان ذاته الذي بلغته بقية الارواح ، تلقى الروح النجسة بسبب اقترافها بعض الاعمال الدنسة ، إما لغمسها يدها بدم غير مشروع او لاقترافها جرائم مشابهة لتلك التي تقترفها الارواح المشابهة لها ، أقول تلقى تلك الروح كل تجنب واعراض عنها لدى كافة الارواح . ولن تجد هناك أية روح ترافقها او ترشدها ، وهكذا تتجول وحيدة متوحدة التوحد الكامل الى ان تتصدم أزمان معينة ، وإذ ذاك تحمل بالضرورة الى مكان اقامتها اللائق بها . ولكن تتمتع كل روح عاشت طيلة حياتها بطهارة ووقار برفقة وارشاد إلهيين ، وكل واحدة من هذه تسكن وتقيم في المكان المناسب لها . وان هناك العديد من الاقاليم الرائعة في الارض وان الارض بالذات ليست في الطبيعة ولا في الحجم كما يفترضها الجغرافيون ان تكون ، وهذا ما أكده لي أحدهم .

وهنا سأله سيمياس قائلاً :

– كيف يمكنك قول هذا الأمر يا سقراط ، وأنا بذاتي قد سمعت العدد العديد من النظريات عن الارض ، ولكن لم اسمع بمعتقدك هذا بها . ولذا تراني شديد الرغبة في سماعه .

فأجابه سقراط :

الحق يا سيمياس انـي لا أعتقد بـأن المرء بحاجة الى مهارة غلاوكوس كي يفسر ما يكونه معتقدي ، ولكن ان يبرهن على ان هذا المعتقد صحيح يبدو لي انه سيكون لأصعب عليه من ان يقوم غلاوكوس بالبرهنة عليه . فأولاً من الارجح ألا اكون قادراً على القيام بالبرهنة عليه ، وثانياً حتى لو علمت كيف يبدو لي ، فـان حياتي يا سيمياس هي اقصر من ان تمكنني من تقـديم شرح طويل له . وعلى كل لا أرى هناك من سبب يمنعني من اطلاعك على ما أعتقده بمظهر الارض وبالاقاليم الموجودة فيها .

فقال سيمياس :

– حسناً للغاية يا سقراط فحتى هذا يكفيني .

فاستطرد سقراط قائلاً :

– هذا ما أعتقده. أولاً اذا كانت الارض كروية وقائمة في وسط السماوات، فعندئذ لن تكون بحاجة الى الهواء او الى أية قوة أخرى كهذه ، كي تحافظ عليها من السقوط . فاطرادية السماوات وتوازن الارض بالذات كافيان لدعمها وتعضيدها . فأي جسم يكون في حال من توازن ، فانه اذا كان موضوعاً في وسيط منتظم ، فعندئذ لن ينزع الى الفرق او الارتفاع في أي اتجاه ارتفاعاً أعلى من غيره او غرقاً أعمق من غيره ، ونظراً لأن له دوافع متساوية ، لذلك فسيبقى معلقاً . هذه هي العقيدة الأولى من عقائد إيماني .

فأجابه سيمياس :

– وانها لصحيحة تماماً ايضاً .

فاسترسل سقراط قائلاً :

– ومن ثم أعتقد ثانياً بأن الارض ضخمة في حجمها ، ومنفسحة وسيعة ،

ونحن الذين نسكن بين نهر فاسيس وأعمدة هرقل نحتل فقط جزءاً صغيراً منها ، فنحن نعيش حول البحر كالنمل او الضفادع العائشة حول البركة ، كما وان هناك الكثير من الاقوام الأخرى التي تعيش في أقاليم أخرى . وهناك ايضاً العديد من الاماكن المجوفة في كل مكان من الارض ، أماكن من كل شكل وحجم ، حيث تجمع فيها الماء والضباب والهواء . ولكن الارض بالذات هي نقية طاهرة نقاء السماء المرصعة بالنجوم وحيث تقع الارض ، فانه المكان الذي يسميه معظم علمائنا بالأثير . وان الماء والضباب والهواء لهي رواسب هذا الأثير وثقالاته ، وهذه تجمع بصورة مستمرة في مجاري تصب في الاماكن المجوفة من الارض . ونحن لا ندرك اننا نعيش في تجاويفها ، بل نزعم بأننا نعيش على سطح الارض . فلتتصور أحد الكائنات يعيش في أعماق البحر . فهذا قد يفكر بأنه عائش على السطح ، وهو إذ يرى الشمس والاجرام السماوية الأخرى من خلال الماء ، قد يعتقد بأن البحر هو القبة الزرقاء . وقد يبلغ بـــه الضعف والترهل مبلغاً لا يكون معه قد بلغ ابداً سطح البحر وقمته ، ولا يكون قد سبق له ابداً ان رفع برأسه فوق سطح الماء الى عالمنا هـــذا ، وشاهده بنفسه — او سمع بـــه من أي شخص آخر سبق له ان شاهده — وكيف ان عالمنا هذا يكون أشد نقاء وأروع جمالاً بكثير من العالم الذي يقيم فيه قومه . ونحن الآن في وضع لا يختلف ابداً وضع ذاك الكائن ، لأننا على الرغم من عيشها في تجويف من الارض ، بيد اننا نزعم بأننا عائشون على السطح، وهكذا تراانا ندعو الهواء بالسماء ، كما لو كان للسماء التي تتحرك فيها الكواكب . وشأننا في ذلك شأن ذاك الكائن تماماً ، فنحن أشد ترهلا وضعفاً من ان نشق طريقنا الى الحد الأعلى من الهواء . فاذا كان بمقدور أحدهم ان يبلغ تلك القمة ، او ان يتخذ له جناحين ويطير عالياً ، فسيرى حالما يرفع رأسه العالم من فوقه تماماً كما ترى الاسماك عالمنا هذا عندما تخرج بروؤسها من الماء . واذا كانت طبيعته قادرة على احتمال رؤية ذاك المشهد، فسيدرك ان ذاك هو السماء الحقيقية والنور والارض الحقيقيان . وذلك لأن هـــذه الارض وحجارتها وجميع المناطق الـــتي نعيش فيهـــا هي جميعـــاً مشوهة

ومهترئة ، تماماً كما هي الحال في البحر إذ ان كل شيء فيه قد افترسه الأجاج ، وليس فيه أي نبات جدير بالذكر ، ومن النادر ان تجد فيه أية درجة من التكون الكامل، بل تجد فقط الكهوف والرمال وطيناً لا حد له وبقعاً من مادة غروية (الحُمر) حيثما توجد تربة ، وهكذا لن تجد فيه البتة أي شيء يمكن ان تنعته بالجمال وفقاً لمعاييرنا . لكن الاشياء الكائنة فوقنا تتجاوز في جمالها وروعتها أشياء عالمنا بدرجة رفيعة للغاية . واذا كانت هذه هي البرهة الصالحة للوصف الخيالي يا سيمياس ، فسيكون لأمراً جديراً بالاصغاء الى ما يكونه حقاً ما هو كائن فوق الارض الواقعة تحت السماوات .

فأجابه سيمياس :

– لا شك انه سيكون كذلك ، وسنسر أعمق السرور لسماع هذا الوصف .

فقال سقراط :

– حسناً للغاية يا بني العزيز ، من المفترض انه اذا نظرنا الى الارض الحقيقية من الجو (من فوق) فستبدو كاحدى تلك الكرات المصنوعة من اثنتي عشرة قطعة من الجلد : مرقشة ومميزة بألوان مختلفة ، حيث تكون الالوان التي نعرفها من تلك كنماذج محدودة ، كالالوان التي يستخدمها الفنان ، ولكن الارض هناك مصنوعة بأكملها من ألوان كتلك ، ومن أخرى أشد تألقاً ونقاء . فأحد مقاطعها ارجواني فاتن وآخر ذهبيّة ، وكل ما تراه من بياض فيها لهو أنصع بياضاً من الطبشور والثلج ، كما ان بقية مقاطعها مصنوعة بالمثل من ألوان أخرى ، وهي مع ذلك أشد بهاءً وأروع جمالاً من تلك الالوان التي شاهدناها . وحق هذه التجاويف من الارض والمليئة بالماء والهواء ، تتخذ لها نوعاً من لون عندما تتلألأ في وسط الالوان المختلفة وحولها ، وهكذا يبدو ان هناك سطحاً مستمراً من مختلف الالوان ، وان الاشجار والازهار والثمار التي تنمو على هذه الارض تكون جميلة بالتناسب . وان للجبال والحجارة نعومة وشفافية متناسبة ،

كما ان ألوانها أبهى جمالاً . وان العقيق الذي يحظى بقيمة كهذه في عالمنا – واليشب والزمرد والياقوت – ليست سوى شظايا من هذه الحجارة ونثرات منها ، إذ ان كل شيء هناك جميل كجمال هذه الحجارة الكريمة ، لا بل وأروع جمالاً منها .وهذا الأمر عائد الى كون الحجارة هناك ما تزال على حالها الطبيعية ولم يصلها الماء الأجاج يفتتها او يلتهمها ، كحجارتنا التي اتلفتها الرواسب المتجمعة هنا ، هذه الرواسب التي تتسبب في تشويه حجارتنا وأرضنا ، وتنزل الأمراض بالحيوان والنبات كذلك . وان الارض بالذات لا تزينها هذه الحجارة الكريمة وحسب وإنما يزينها كذلك الذهب والفضة والمعادن الأخرى،لأن هناك الكثير من عروق هذه المعادن تطالع البصر في جميع أجزاء العالم ، كي يراها الإنسان المبارك بناظريه .

وهناك العديد العديد من الحيوانات التي تدرب عليها ، ناهيك عن الكائنات البشرية ، وبعضها يعيش في المناطق الداخلية ، يعيش في الهواء ، كما نعيش نحن حول البحر ، ويعيش آخرون في جزء يحيط بها الهواء ، لكنها قريبة من الارض . وأعني بذلك انه كما يكون الماء والبحر بالنسبة لاغراضنا ، كذلك يكون الهواء بالنسبة لاغراض تلك الكائنات الموجودة في جزر تحيط بها . بحار من الهواء . ومناخ تلك الجزر يبلغ من الاعتدال مبلغاً يجعل سكان تلك الجزر لا يعرفون المرض ولذا فهم يعمرون فترة أطول بكثير مما يبلغه أجل الناس هنا ، وهم كذلك حاستي البصر والسمع وغيرها ، وفي الفهم وجميع الملكات الأخرى أسمى ببعيد منا ، كسمو الهواء على الماء ، او الاثير على الهواء في حال من نقاء .

ولهؤلاء ايضاً أماكن للعبادة وهياكل تسكنها – واقعاً – الآلهة ، ولهم عرافات ونبوات ورؤى ، كما ان جميع وسائل الاتصال الأخرى بالآلهة تطالعهم هناك وجهاً لوجه . وهم يرون الشمس والقمر والنجوم كما هي صورها في الواقع تماماً ، أما المتبقي من سعادتهم فطريقه هو ذاك الطريق بالذات .

« على هذه الحال هي طبيعة الارض ككل وطبيعة الاشياء الموجودة على سطحها ، وفي الارض بالذات ، وعلى سطحها بأكمله يوجد العدد العديد من المناطق المجوفة ، وبعض هذه تكون أعمق وأوسع انفساحاً من المناطق التي نعيش فيها ، ويكون البعض الآخر أعمق من مناطقنا لكنه أقل اتساعاً منها ، وهناك بعض منها يكون أضحل وأعرض . وجميع هذه تربط بينها تحت الارض أقنية عديدة ، ويكون بعض هذه الأقنية أضيق وأصغر من البعض الآخر ، وهناك بعض غيره يكون اكثر اتساعاً ، بحيث تتدفق من خلاله ، ومن حوض الى آخر ، سيول من الماء ، وتجري تحت الارض أنهار هائلة لا ينضب لها معين ، مياهها حارة وباردة ، كما وتسيل انهار جبارة من النار ، والعديد من الطين والسائل ، ويكون البعض من هذه اكثر نقاء من الآخر ، وغيره اكثر وحلا منه ، كالانهار الجارية في صقلية ، بحيث تتدفق بالوحل قبل ان تسيل السيول والمقذوفات البركانية ، وبشأن هذه مناطق عديدة مترعة ، تسيل بدورها عندما يبلغها الفيضان .

ويسبب هذه الحركة بأكملها ذهاباً وايابا تنوس او تذبذب داخل الارض ، وهذا التذبذب تحدثه وسائل طبيعية على الشكل التالي :

يكون أحد التجاويف في الارض ليس اضخم من جميع التجاويف الباقية فحسب ، وإنما يخترقها مباشرة من الجانب الواحد الى الآخر ، كما تحدث عنه هوميروس حينما قال :

« بعيداً بعيداً من هنا حيث تقع أعمق مهواة تعرفها الارض » .

بينما نجد ان هوميروس هذا ، وشعراء عديدين غيره ، يشير في مواضع أخرى غير هذه الى تلك المهواة بوصفها جهنم . ففي هذه المهواة تسيل جميع الانهار معاً ، ومنها تنطلق ايضاً ، وكل نهر منها يكتسب طبيعة ذاك الجزء من الارض الذي يجري فيه . ومرد تدفق جميع هذه الانهار من تلك المهواة

وانصبابها فيها يعود الى ان هـذه الكتلة من السائل ليس لها قرار او أساس ، ولذا تراها تتذبذب وتترنح وتجيش جيئة وذهاباً ، شأنها في ذلك شأن ذلك الشهيق والزفير اللذين لا ينقطعان حين تتنفس الهواء ، وذلك لأن هذه الانفاس ترافق السائل حين اندفاعه متدفقاً الى الجانب الآخر من الارض وتعود معه حين عودته الى تلك المهواة ، كما وتسبب العواصف الهائلة والزوابع المرعبة ، وذلك في ذهاب ذاك التيار وايابه . وهكذا فـان الماء عندما ينحسر الى مـا يُدعى بالمنطقة السفلى فان تلك الانهار الموجودة داخل الارض تجري وتسيل على تلك الأجزاء وترويها رياً كاملاً .

وعندما تنحسر بدورها عن تلك الاجزاء وتتدفق عائدة على هذه الطريق، تملأ انهارنا ثانية ، وعندما تمتلىء تجري في مجاريها ومن خلال الأرض ، وعندما تبلغ تلك المناطق التي أعدت مراراً طريقها إليها تشكل البحـار والبحيرات والأنهار والينابيع . ومن ثم وهي تغوص ثانية تحت سطح الأرض ، يكون بعضها قد سلك طريقه في مناطق أكثر عدداً وأبعد مسافة ، واتخذ آخر سبيله في مناطق أقل وأقرب ، تصب وتفرغ ثانية مياهها في التارتاروس ، ويكون بعضها أكثر انخفاضاً بكثير ، والآخر أكثر انخفاضاً بقليل من مستوى السطح الذي انطلق منه ، إنما تجري جميعاً على مستوى أعمق من مستوى انطلاقه . والبعض منها يجري باتجاه المعاكس للمجرى الذي تدفق خارجاً منه ، والبعض الآخر يسيل في اتجاه الجانب ذاته ، بينما يجري غيره دورة كاملة ويلتف كالأفعى مرة بل العديد من المرات حول الأرض ، وينحدر أشد انحدار ممكن قبل أن يفرغ مياهه ثانية . ويكون بالامكان الانحدار في كلا الاتجاهين لكن حده يبلغ نقطة المركز ولا يتجاوزها، وذلك لأن ضفاف المجاري في كلا الاتجاهين تكون عند نقطة المركز هضبة شاخة مهما تكن المجاري التي تتخذها لها الأنهار .

ومن بين هذه الأنهار الجبارة توجد أربعة انهار بصورة خاصة . وأضخمها ذلك النهر الذي يرسم بمجراه أقصى دائرة ، يدعى اوسانيوس . ويجري تجاهه

مباشرة ، وبمجرى معاكس لمجراه نهر اشيرون ، الذي لا يجري فقط خلال مناطق مهجورة بل يمر كذلك متدفقاً تحت الأرض ويبلغ البحيرة الاشيروسية ، التي يفد إليها معظم أرواح الموتى ، وبعد أن تبقى تلك الأرواح في هذه البحيرة فترة تطول لبعضها وتقصر للبعض الآخر ترسل ثانية لتحل في مخلوقات حية وعند منتصف المسافة الفاصلة بين هذين النهرين ينبع النهر الثالث ، ويشكل بالقرب من منبعه حوضاً كبيراً يتأجج بالنيران ، حيث تتكون منه بحيرة تفور وتغلي بالماء الموصل الحار ، وهذه البحيرة أضخم اتساعاً من بحرنا . ومن هذه البحيرة ينطلق في مجرى دائري يتدفق وحلاً وطيناً ، وعندما يلتف دائراً داخل الأرض يبلغ حافة البحيرة الاشيروسية ، لكنه لا يمتزج بمياهها ، وبعد العديد من الالتفافات تحت الأرض يغوص في التاراروس عند نقطة واطئة . وهذا هو النهر المدعو بيريفليجثون والذي يقذف تياره الناري بشآبيب من المقذوفات البركانية هنا وهناك وفي جميع أجزاء العالم . ويقابل هذا النهر مباشرة النهر الرابع ، الذي يتفجر ويسقط أول ما يسقط – كما يقولون في منطقة موحشة مرعبة مصبوغة باللون الرمادي الرصاصي تدعى ستيجيا كما وان البحيرة التي يشكلها النهر عند مدخلها تسمى ستيكس . وبعد أن يصب في هذه البحيرة ويكتسب بمياهه قوى غامضة ، ينطلق تحت الأرض في مجرى حلزوني معاكس لمجرى بيريفليجثون ، حيث يلتقي به أخيراً عند الاتجاه المعاكس ، وفي البحيرة الاشيروسية ، ولا يمزج هذا النهر مياهه بمياه أي نهر آخر ، بل يصب وهو يستدير في التاراروس ومقابل بيريفليفيثون . ويقول الشعراء بأن هذا النهر يدعى كوكيتوس .

ومن ثم استرسل سقراط قائلاً :

– على هذا الشكل هو تركيب الأرض وصورتها وأنهارها . وعندما يبلغ الموتى الجدد المكان الذي تسير بهم إليه أرواحهم الحارسة ، يخضعون أولاً للمحاكمة وتصدر عليهم الاحكام ، ويمثل أمام هذه المحكمة اولئك الذين عاشوا

حياتهم بقداسة وطهر ، وغيرهم من الذين لم يعيشوها على هذه الصورة . أما اولئك الذين يصدر عليهم الحكم بأنهم قد عاشوا حياة حيادية بين الخير والشر ، فينطلقون إلى الشيرون ويبحرون في المراكب التي تنتظرهم وتقلهم إلى البحيرة ، حيث يسكنون ، وحينما يطهرون تغفر لهم ، بعد تنفيذ العقوبة بهم أية خطيئة قد اقترفوها ، كما ويتابون على الاعمال الخيرة التي أروها ، وينال كل منهم ما يستحقه من ثواب وعقاب . أما اولئك الذين يحكم عليهم ، نظراً لضخامة خطاياهم ، بأن الاشقاء لهم ، ولا أمل فيهم أو رجاء ، بسبب ما اقترفوا من عديد الجرائم . كتدنيس المعابد وانتهاك حرمات الأديان ، أو جرائم القتل أو أية جرائم كتلك وهذه – فهؤلاء يساقون إلى المكان المناسب لهم ويلقي بهم في التارتاروس ، حيث لا يخرجون منه أبداً .

وهناك آخرون يدانون بخطايا هي رغم بشاعتها قابلة للعلاج والشفاء . فأمثال هؤلاء إذا كانوا قد اقترفوا ضد آبائهم أو امهاتهم بعض أعمال العنف ، وقاموا بذلك في لحظة من انفعال وغضب ، لكنهم أمضوا بعد ذلك ما تبقي لهم في حياة الندم والكفارة ، أو اقترفوا جرائم القتل في ساعة غضب ، فهؤلاء أيضاً يلقى بهم في التارتاروس ، وبعد أن يتم القاؤهم فيه ويلبثون مدة سنة من الزمن ، يقذف بهم جيشان التارتوروس خارجاً ، فيكون القتلة من نصيب نهر كوكيتوس ، والمسيئون لوالديهم من نصيب بيريفليفيتون . وعندما تجرفهم سيول هذين النهرين ويمرون بالبحيرة الاشيروسية ، حيث ينتحبون ويولولون ويستنجدون بأولئك الذين قتلوهم أو اساءوا إليهم ، ويستعينون ويسترحمون ويتضرعون طالبين السماح لهم بالخروج من تياري النهرين إلى البحيرة ، وبانزالهم لديهم . فاذا اقنعوهم بذلك خرجوا من تياري النهرين وبهذا تنتهي محنتهم ، إما إذا لم يقنعوهم فسوف يجرفهم النهران عائدين بهم ثانية إلى التارتاروس ، ومن ثم يقذف بهم التارتاروس ثانية إلى لجج النهرين ، ولن يجد هؤلاء الخلاص من آلامهم ألا بعد أن يقنعوا ضحاياهم بالغفران لهم ، وذلك لأن هذه هي العقوبة المقدرة لهم .

ولكن اولئك الذين يحكم عليهم بانهم قد عاشوا حيـاة من قداسة فائقة – فهؤلاء هم الذين تحرورا واطلق سراحهم من السجن في هذه المنـاطق من الأرض ، وهم حينما يرتفعون علاء الى مسكنهم الطـاهر يتخذون من سطح الأرض ، (لا من تجاويفها – المترجم) دار لهم . وبالنظر لكونهم قد طهروا نفوسهم بالفلسفة تطهيراً كافياً ، فانهم يعيشون جميعاً بدون أجساد ، ويبلغون دوراً أروع جمالاً من منازلهم الغانية وأبهى إلى حد ليس من السهل وصفها ، كما انه ليس لدينا من الوقت ما يسمح لنا بتصويرها . وهكذا فان الأسبـاب التي ذكرتها توفر يا سمياس من المبررات ما يكفي لنقوم بكل عمل كي نبلغ – خلال الحياة – بعضاً من الصلاح والحكمة ، وذلك لأن الثواب مجيد وسعيد ، والأمل عظيم وشديد .

ومن ثم استرسل سقراط يقول :

ومن البدهي أنه لا ينبغي على أي انسان عامل الاصدار على ان هذه الوقائـع هي بالضبط كما ذكرت ووضعت ، ولكنه في رأيي حقيق وبالنظر كوجود الدليل ومنازلها الواضح على خـلود الروح ، فأعتقد بأن ما قلته هو مناظرة معقولة واعتقاد جدير بأن يجازف المرء فيؤمن به ، لأن مثل هذه المجازفة مجازفة نبيلة . ويجب علينا أن نستخدم مثل هذه التعاليل والروايات لنوحي لأنفسنا بالثقة والاطمئنان . وهـذا هو السبب الذي جعلني أطيل في اسطورتي التي رويتها باسهاب .

إذن فهناك وسيلة واحدة تمكن الانسان من التحرر من كل قلق على مصير روحه ، ان كان قد تخلى في حيـاته عن جميع اللذائذ والزخارف الجسدية ، بوصف هذه وتلك غريبـة عن اغراضه ، وهي للاضرار به أقرب من تحقيقها للخير له ، ومن ثم كرس حياته للذة اكتساب المعرفة ، فعندئذ بتزيينه لروحه لا بجمال مستعار بل بجمالها الخاص – بالصلاح والشجاعة والكرم والحقيقة – يكون قد

اعد نفسه الاعداد اللائق لترقب رحلته إلى العالم الاخر. وانك ياسيمياس وياسيبيس والباقين ، وكل واحد منكم سيقوم بهذه الرحلة في أحـد أيام المستقبل . ولكن بالنسبة لي فقد حانت « ساعد القدر » (كما قد يقول امرؤ ذو خلق مأساوي)، أو بمعنى آخر لقد حان الوقت لأستحم وأغتسل . فالاستحمام قبل تجرعي السم أفضله على ازعاج النساء بتغسيلي بعد وفاتي .

وعندما أنهى سقراط قوله هذا بادره كريتو سائلا :

– حسناً للغاية يا سقراط ! ولكن هل لديك أية توجيهات للآخرين أو لي بالذات حول ما يتعلق بأولادك أو أي شيء آخر ؟ فما الذي نستطيع أن نفعله لنحقق لك أعمق غبطة وسرور ؟

فأجابه سقراط :

– ليس لدي من قول جديد يا كريتو . فلتفعلوا فقط ما كنت دائماً أردده على مسامعكم . فاذا احطتم نفوسكم بالرعاية اللازمة واوليتموها الاهتمام الكافي ، فيشيع أي فعل تأتونه السرور في قلبي وقلب آلي وقلبك أيضـاً ، حتى ولو توافقني الآن على ما قلته . ومن جهة أخرى ، فاذا اهملتم نفوسكم ولم تسلكوا خط الحياة الذي رسمته لكم الآن ومن قبل ، فمهما بلغ اتفاقك الآن معي من الغيرة والحماسة فلن يسمن ولن يغني من جوع .

– اننا سنبذل كل جهد لنقوم بما تقوله . ولكن كيف تريد لنا أن ندفنك ؟

فأجابه سقراط :

بأية طريقة تشاءها وتختارها ، وذلك إذا كان بمقدورك الامساك بي ، وإذا لم أنزلق من بين أصابعك .

قال هذا وهو يرسل ضحكة لطيفة ، ومن ثم استدار بعينيه نحونا واسترسل يقول :

– لا أستطيع أن اقنع كريستو بانني أنا هو هذا الـ سقراط الذي يتحدث اليكم ويدير المناقشة ويرتب الحجج ، فهو يعتقد بانني ذاك الذي سرعان ما سيراه ميتاً ، ولذلك يسأل الآن كيف يريـد أن يدفنني ! فتفسيري الطويل والمتقن والقائل بانه عندما أتجرع السم فلن أبقى معكم بل سأغادركم إلى حال من سعادة سماوية ، فهذه المحاولة التي بذلتها لأعزيكم وأعزي نفسي معاً قد ذهبت كما يبدو ادراج الرياح بالنسبة لكريتو. لذلك يتوجب عليكم إن تكونوا لي عنده الان كفلاء، كما كان هو كفيلي عند المحاكمة ، فقد كان كفيل للقضـاة انني سأبقى ولكن يتوجب عليكم أن توكدوا له انه عندما أموت فانني لن أبقـى بل سأغادركم وأكون قد ذهبت . فهذا قد يساعد كريتو على الاحتمال بيسر وسهولة أكثر ، ويجنبه الحزن عندما يرى جثتي طعماً للنار أو نذيلة القبر ، كما لو كان هذا الأمر أمراً رهيباً مرعباً ، أو قد يوفر عليه القول في جنازتي بأن هذا هو سقراط على سرير الموت أو الذي نحمـله إلى قبره أو ندفنه . فلتصدقني يا صديقي العزيز كريتو ، بأن الأقوال الفاسدة لا تؤلم فقط بمغزاها المباشر ، بل ان لها أثراً سيئاً في الروح . فلتبسط أساريركم ولتقولوا بأنكم تدفنون فقط جسدي ، وبامكانكم دفنه كما ترغبون ، وبأية طريقة تعتقدون بأنها الأفضل .

وعندما تفوه بهذه الكلمات هب منتصباً على قدميه ودخل غرفة أخرى ، ومنها سار إلى الحمام ، وذهب كريتو وراءه لكنه طلب الينـا الانتظار ، فانتظرنا نتحدث ونستعيد ما دار من أقوال ، كما وأخذنا نتأمل في فداحـة الكارثة التي نزلت بنا ، وذلك لأن شعورنا كان تماماً كشعور من يشعرون بأنهم على وشك أن يفقدون اباهم ويغدون ايتاما طيلة ما تبقى لهم من حياة. وعندما استحم سقراط وخرج الى الغرفة الأخرى أحضروا له أولاده، وكانوا ثلاثة، طفلين وصبياً بالغاً كما ووصلت مدبرة منزله – التي تعرفها . فتحدث الى أبنائه بحضور كريتو وأدلى إليهم بتوجيهاته في تحقيق رغبـاته ثم طلب من المرأة والأطفال العودة الى المنزل ، وعاد لينضم الينا .

ها قد حانت ساعة الغروب ، لأن أمضي في الحمام وقتاً طويلاً . فجاءنا وجلس الينا منتعشاً ، ولم يمضي على حديثه معنا سوى بضع دقائق حتى دخل ضابط السجن واتجه نحوه وخاطبه قائلاً :

يا سقراط ! انني لن أجد لديك أية زلة على كل حال ، كما أجد لدى الآخرين الذين يغضبون مني ويشتمونني عندما أطلب اليهم تجرع السم – تنفيذاً لأوامر الحكومة . لقد أصبحت اعرف خلال هذه الفترة بأنك أنبل وألطف وأشجع من جميع من حل في هـذا المكان ، وانني لمتأكد الآن ، بصورة خاصة ، من انك لست غاضباً علي ، بل عليهم ، لأنك تعرف من هم المسئوولون عن ذلك . وانك لتعلم بأنني جئتك الآن لأقول وداعاً فلتصحبك السلامة ولتحاول أن تحتمل بيسر وسهولة ما يجب أن يكون .

وعندما كان السجان يتحدث انفجر بالبكاء فاستدار وغادرنا .

فتطلع سقراط نحوه وقال :

– وداعاً لك أيضاً ، فسنقوم بما تقول .

ثم التفت الينا وخاطبنا قائلاً :

– يالهذا من انسان فاتن ودود ! فمنذ أن حللت هنـا لم ينقطع البتة عن زيارتي ، وكانت تدور في بعض الأحيان بيننـا بعض المناقشات والأحاديث ، ولقد أبدى كل لطف ورعاية ، وكم هو كريم إذ يذرف الدمع حزناً على فراقي ، ولكن هيا ياكريتو فلننفذ ما قاله . فمن الأفضل أن يأتي أحدهم بالسم إذا كانوا قد أعدوه ، وإذا لم يكن قد اعدوه بعد فلتطلب من الرجل اعداده .

وهنا أجابه كريتو :

ولكن الشمس يا سقراط ما تزال على قمم الجبـال ولم تتحدر منها بعد . وفضلاً عن ذلك فانني أعرف بأن المحكومين في قضايا أخرى ، كانوا بعد انذارهم

بوقت طويل ، يتناولون عشاءهم ويتمتعون باحتساء خمرتهم وأحيـاناً برفقة من يحبون ويعشقون ، ولم يكونوا ليتجرعوا السم إلا في ساعة متأخرة من الليل . فليس لديك من حاجة للعجلة ، فلا يزال أمامنا الطويل من الوقت .

فأجابه سقراط :

– من الطبيعي يا كريتو أنه ينبغي على من ذكرت أن يفعلوا ذلك . فهم يعتقدون بانهم يحققون كسباً بذلك . ومن الطبيعي كذلك ألا ينبغي علي أن أقوم بما قاموا به ، فأنا أعتقد بأنني لن أربح أي شيء إذا تجرعت السم في وقت متأخر قليـلاً – فلن يكون بمقدوري سوى السخرية من نفسي إذا تشبثت واحتضنت حياة لم يعد لديها أي مزيد تقـدمه أو تعطيه . فهيا ولنفعل ما قلت لك ولا تثر المتاعب .

وعندما سمع كريتو ما قاله سقراط أومأ الى الخادم الذي كان يقف بالقرب منا ، فخرج الخادم وبعد أن غاب عنا وقتاً طويـلاً عاد برفقة الرجل المكلف بتقديم السم ، وكان يحمله في كوب . وعندما شاهده سقراط بادره سائلاً :

حسناً يا زميلي الطيب فأنت تفهم في هذه الأمور ، فمـا الذي يتوجب علي فعله ؟

– فلتشربه فقط ! ومن ثم فلتتجول سائراً إلى أن تشعر بثقل يغل ساقيك ، وحينئذ فلتضطجع ، وبعدئذ سيفعل السم بمفعوله .

وعندما كان ذاك الرجل يتحدث قدم الكأس الى سقراط فتلقـاها منه بانشراح تام ، وبيدين ثابتتين ، ولم تبدر منه أية رعشة أو اختـلاج ، ولم يطرأ على لونه أو لهجته أي تبدل ، ومن ثم سأل وهو يحملق من تحت حاجبيه تلك الحملقة المألوفة .

– ما رأيك في إراقة سكيبة [1] ؟ هل مسموح بها أم لا ؟

فأجابه :

– اننا نعد يا سقراط فقط ما نعتبره جرعة عادية .

فقال سقراط :

– لقد أدركت ما تعنيه ، ولكنني اعتقد بأنه لمن المسموح لي، أو بالأحرى، انني ملزم بالصلاة إلى الآلهة كي تجعل انتقالي من هذا العالم إلى الآخرة مكللا بالنجاح والفلاح . إذن فهذه صلاتي ، وآمل بأن تستجاب . وبعد هذا ، وبهدوء تام ، وبدون أن تبدر منه أية بادرة من تقزز أو اشمئزاز تجرع ما في الكأس دفعة واحدة .

كنا حتى تلك اللحظة قد حافظنا بنجاح على حبس دموعنا ، ولكن عندما شاهدناه يشرب السم ، ورأيناه قد شربه فعلاً ، لم يعد بامكاننا أن نطيق المزيد من الصبر أو الاحتمال، وهكذا رأيتني والدموع تتفجر بالرغم مني، وتسيل مدراراً على وجنتي ، فغطيت وجهي وأخذت أنشج كسير القلب باكياً – لم أكن أبكيه، بل كنت أبكي الكارثة التي نزلت بي في فقداني صديقاً ورفيقاً . ولقد تهاوى كريتو قبلي وعندما رأى نفسه عاجزاً عن حبس دموعه هب واقفاً وخرج . ولكن ابولودوروس الذي لم يكف البتة عن البكاء ، انفجر في تلك اللحظة بعاصفة من النحيب والعويل، اجتاحت كل واحد منا وحطمته، ما عدا سقراط إذ قال :

– حقاً يا أصدقائي ، ياله من نهج تسلكونه ! لقد كان هذا هو السبب الرئيسي الذي جعلني أطلب إخراج النساء من هنا ، وذلك لكي أحول دون

(١) السكيبة خمرة تراق على الأرض تكريماً لإله .

هذا النوع من الازعاج ، فلقد قيل لي بأنه ينبغي على المرء أن يواجه نهايته بعقل مطمئن هادىء . فلتسكنوا من روعكم ولتكونوا شجعاناً !

جعلنا قول سقراط هذا نحس بالخجل فسيطرنا على دموعنا وكبحنا من جماحها . أما سقراط فكان يمشي داخل الغرفة جيئة وذهاباً ، وبعد هنيهة سمعناه يقول بأنه يشعر بثقل يغل ساقيه فاستلقى على ظهره — وهذا ما أوصى به الرجل فوضع الرجل (وهذا كان من قدم اليه السم) ، يده على سقراط وأبقاها لفترة عليه ، ومن ثم فحص قدميه وساقيه ، وقرص بعد ذلك قدمه قرصاً شديداً وسأله عما إذا كان يحس بها . فأجاب سقراط نافياً . ومن ثم انطلق يقرص ساقيه صعوداً فصعوداً ، وقد أرانا بذلك انه غدا بارداً ومخدر الأحساس ، وعاد فتحسسه ثانية وقال :

— عندما يكون السم قد بلغ القلب يكون سقراط قد ذهب .

كان البرد قد انتشر في جسده حتى بلغ خصره وذلك عندما حسر سقراط الغطاء عن وجهه (إذ ان جسده كان قد دثر باكمله بدثار) ، وقال :

— كان من المتوجب علينا تقديم ديك لاسكليبيوس ، قم بهذا الأمر ولا تنس ذلك .

فأجابه كريتو :

— سأقوم به ، وهل أنت واثق من انه ليس هناك من شيء غيره ؟

لكن سقراط لم يجب عن هذا السؤال ، غير انه ارتعش بعد فترة قليلة ، وعندما حسر الرجل الغطاء عنه بدأ جاحظ العينين . وحالما شاهد كريتو ذلك سارع فأطبق فم سقراط وعينيه .

على هذه الصورة انتهى يا إستيكراتيس رفيقنا الذي يجوز لي أن أصفه ، وبحق ، بأنه كان أشد من جميع ما عرفنا في زماننا شجاعة واستقامة وحكمة .

فهرست

	صفحة
سقراط حياته وفلسفته	٥
يوثيفرو	١٧
سقراط امام المحكمة	٤٧
دفاع سقراط	٤٩
سقراط في السجن	٩٠
كريتو	٩١
ملحوظة – المحادثة الأخيرة	١١٣
فيدو	١١٤

مطابع
مرتوق اخوان
بيروت - لبنان